الجمهوريـــــة الجزائريـــــة الديمقراطيـــة الشعبيـــــة

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة منتوري قسنطينـــــة

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم علم الاجتماع

الهياكل الإجتماعية و التحولات المجالية في حي النزلة -تقرت-

(مقاربة أنثروبولوجية للهياكل الإجتماعية و الأسرية و تحولات المجال

في واحة من الجنوب الشرقي الجزائري، النزلة - مدينة تقرت -)

مذكرة ماجستير في الأنثربولوجيا الإجتماعية و الثقافية

(المرسوم التنفيذي رقم 254-98 المؤرخ في 17 أوت 1998)

إعـــــداد الطالب:

خليفة عبد القادر

إشراف الأستاذ:

د.عابد بن جليد

قسنطينة0 2003

فهرس الموضوعات

الموضوعات **الصفحة**

مقدمة البحث

الإشكالية والمنهج

1 - الإشكالية ومنهج المقاربة المسعى الأنثروبولوجي وأدوات العمل الميداني

1- **الإشكالية**..... 9

1- الإشكالية 9

2- الفرضيات.....11

2- **المسعى الأنثروبولوجي**.... 11

3 – **منهجية المقاربة و أدوات العمل الميداني**.....12

1 التحقيق النوعي 13

2 المحادثات 13

3 الإستجواب الميداني 14

4 سجلات عقود الزواج 15

5 – التحليل 15

4 – **ميدان الدراسة** 16

5 – **صعوبات العمل** 17

6 - **مفاهيم في البحث** 18

1 - حقول أنثروبولوجية إطار للدراسة..... 18

1. أنثروبولوجيا التغير الاجتماعي 18

2. أنثروبولوجيا المدينةو أنثروبولوجيا السكن..... ... .19

3. – المجال الاجتماعي 20

2 - مفاهيم نظرية وتعريفات 17

1. المجال السكني، الهيكلة الاجتماعية والثقافة.....22

2. تعريفات أساسية 25

المدخل

وادي ريغ جغرافيا وتاريخ

1 – الوسط الطبيعي 29

1 **جيومرفولوجيا**.....32

2 **هيدروغرافيا وهيدرولوجيا**.....32

3 **المناخ**.....33

2 - بين الأسطورة والتاريخ.....35

1 **قديما، أصل ريغة** 36

2 **العرب الفاتحون**.....38

3 **تقرت عاصمة وادي ريغ، عهد الدولة المحلية**.....39

4 **الإحتلال الفرنسي**.....43

الفصل الأول

النسق المجالي التقليدي وتحولاته (دراسة مونوغرافية)

1 - شبكة القصور والمدن التاريخية في وادي ريغ نشأتها وظائفها.

مقدمة 45

1– **شبكة القصور والمدن في وادي ريغ، النشأة والوضائف** 45

1. المنطق المجالي التقليدي 45
2. المدينة التاريخية (مستاوة) تقرت 49
3. القصر 51
4. المنزل، فضاء مغلق ذو دلالة هندسية.....51
5. القصر مجال متناغم متدرج 57

2 - الهيكلة الإجتماعية والحياة في المجال.....58

1. الحياة الاقتصادية، الإنتاج الفلاحي والنشاط التجاري 58
2. الحقل السياسي 61
3. الحقل الديني 62

3 - <u>التحولات وأشكال الإندماج في المجمع الوطني العام</u>.....63
1 **وظائف العمران الجديدة وتحول هيكل النشاطات**.....66
1. النشاط التجاري 66
2. الزراعة والعلاقة الجديدة ريف مدينة .....67.
2 **هياكل اجتماعية جديدة، إعادة التشكل**..... 67
1. بروز الطبقات الوسطى 68
2. الهيكلة الشعبية والفقر الجديد 68

3 **التعمير والأنمسجة العمرانية** 69
1. التدهور الحتمي للقصور..... 70
2. مخططات التعمير والرسومات الجديدة..... 71
3. التوسعات الجناحية والسكن الفردي الذاتي.....72

خلاصة الفصل: (من المدينة القصر إلى المدينة " الحديثة ") 75

الفصل الثاني

حي النزلة، المجال الأوساط والهياكل الاجتماعية (دراسة ميدانية)

مقدمة 77
1 – منطق المجال العمراني في النزلة..... .....78.
1- المدينة – تقرت - 78
2– النزلة الحي 81
3- السكن من منطق التوسع الأفقي إلى العمودي 83

2- المجموعات الاجتماعية في النزلة، مجموعات أصيلة بين التمايز والذوبان.... 87
1. الحشاشنة انتماء لأصل أم لحرفة؟.....87
2. الحشاشنة والمجاهرية..... 90
3. أصول بدوية متمدنة (بين النظام السلالي وظروف التمدن) 91
- أنصاف البدو 91
- بدو أولاد نايل..... 94

3 - الهياكل الاجتماعية الجديدة، إعادة التشكل..... 97
1. الحشاشنة، العائلة الكبيرة 97
2. البدو، القبلية نحو التمدن 98
4- الأنساق العائلية الأسر والعائلات في النزلة 98
1. .أنواع التعايش في المجال السكني 100
2. الأسرة في المجال السكني 101

5 - الزواج القرابة السكن ، نطاق للتعبئة..... 104
1. الزواج الأسرةعند المجموعات..... 104
2. من يتزج من في النزلة.....105
3. الزواج بين المجموعات بين انفتاح الامكانيات وترسيخ الشبكات القديمة 111
4. حركة الأزواج .....114.

- خلاصة الفصل.....114

الفصل الثالث

التعبئة السكنية، الممارسات، الاستراتيجيات والتمثلات الاجتماعية في النزلة

مقدمة 117
1 – **خطاب الفاعلين الرسميين، التخطيط لحي لبلدية أم لمدينة؟** 118
1. خطاب الرسميين 118
2. التوجيهات العمرانية من خلال مخططات التعمير.....118
2 – **النشاطات والمهن الجديدة لسكان النزلة،نشاطات تؤهل لتملك المجال** 120
1. الحشاشنة لم يعودو فلاحين 120
2. البدو المتمدنين، مهن جديدة 121
3. أولاد نايل لم يجدوا مهنا في المدينة 122
3 – **الممارسات السكنية في النزلة، مجال للتعبئة**.....123
1. الحصول على الأرض للبناء 123
2. مصادر تموين مشروع السكن 125
3. أي هندسة جديدة للتوسعات الجديدة ؟.....127
4. الأسرة وتملك المجال السكني .....130.

4 – **الإستراتيجيات السكن رهان عقاري وهوياتي** 130
1. مسارات الإقامة والعلاقة مع المجال 130
2. تصور مخطط للإستراتيجيات.....133

5 - **التمثلات المجال، السكني عالم للطقوس للهوية وللرمزية**.....119
1. تمثل المجال الإقاماتي في النزلة.....136
- الحشاشنة.....136
- البدو المتمدنين في النزلة أي تمثل للمجال؟.....137
- المجال البيتي تمثله والمخيال الذي يحمله.....138

خلاصة الفصل 139

خلاصة عامة (مترجمة بالفرنسيةو الإنجليزية) 140

البيليوغرافيا.....146

الملاحق.....152

مقدمة البحث

الإشكال، المنهج والمفاهيم النظرية

1. الإشكالية
2. منهج المقاربة
3. المسعى الأنثروبولوجي وأدوات العمل الميداني
4. مفاهيم في البحث

1 - الإشكاليـــــة

1 – الإشكالية

منذ عشريات قليلة تشهد الصحراء الجزائرية حركة عمرانية وتعميرية متسـارعة[1]، واقـع أصبح يطبع مدن الصحراء اليوم، أفرزته عوامل التحديث بالاندماج في المجتمع الوطني العـام وأيضا الدنياميكية الداخلية لمجتمعات هذه المدن. مما يدفع للتساؤل بالدرجة الأولى عن طبيعة هذه الحركية، هل هي عمرانية صحراوية أم عمران في الصحراء[2]؟

العمران بمفهومه الاجتماعي، يرسلنا مباشرة إلى أشكال تمتلك الفضاءات العمرانية، وإلـى الممارسات الاجتماعية لساكنيها، وإلى طرق وأنماط الحياة التي تدخلها المدينة وتحولاتهـا علـى المجموعات الاجتماعية. لهذا فإن كل نوع من التعمير تصاحبه أشكال من العمران وطرق الحيـاة وممارستها وتمثلها، العمران هو أيضا و في نفس الوقت العلاقة مع المجال السكني ومع الحيـاة الاجتماعية والأسرية.

تمثل مدينة تقرت عاصمة إقليم وادي ريغ نموذجا هاما لهذه الحركية العمرانية في واحـات الصحراء الجزائرية. إذ و منذ عقود قليلة كانت المدينة لا تزال مرتبطة بالنظام الفلاحي- الواحاتي وحركة قوافل التجارة. ونتيجة لتحولات داخلية وخارجية أصبحت مشروعا عمرانيا واسع ومفتوح في طور التشكل والإنجاز، وذلك بعد أن تجاوزت المدينة أسوارها التاريخية للبحث عن أفق جديد تحولت فيه الهيكلة الاجتمـاعية والأسريـةو أنماط السكن والحياة.

بالنظر إلى أن تشكيل وتنظيم المجال هو ثمرة قرون طويلة من تراكم خبرة الإنسان في بيئته، كما هو إنجاز ثقافي مادي يعكس الهيكلـة الاجتماعية والأسـرية لهـذا الإنسـان و يـوحي بتمثلاته. فإن التحولات التي طرأت على هذا المجال والذي نأخذه في هذه الدراسة كزاوية مقاربة لواقع المدينة اليوم، هذه التحولات تتصاحب في جدلية مع تحولات البنية الاجتماعية والأسرية، في الممارسات والإستراتيجيات والتمثلات ذات العلاقة بالمجال. إن بروز أنمـاط سـكنية وتسـكنية متنوعة، عوضت السكن التقليدي في القصور القديمة والمدينة التاريخية. وتوزيـع مجموعـات إجتماعية مختلفة الأنساق الاجتماعية على أحياء سكنية، تخفي وراءها مسـارات وتشـكلات أسريـة واجتماعية متنوعـة.

من خلال اختيارنا لحي نموذجي من مدينة تقـرت، أجرينا فيه دراسة ميدانية نوعية، حـي **النزلة** المتكون من نسيج تقليدي "القصر" إضافة إلى حي تثبت فيه البـدو الرحـل، و توسـعات

---

[1] (اتساع العمراني في 10 ولايات من الجنوب كان سنة 1987، 60% في الوقت الذي كان فيه في الشمال 50%.)
Marc COT: « *Dynamique urbaine au Sahara* » ; in **Insaniyat** (Revue algérienne d'anthropologie et sciences sociales) n°05. Mai Août 1998. p89.

[2] هذه الإشكالية هي الآن في طور الدراسة من طرف مجموعة بحث " عمرانية في الصحراء " الأستاذ **مارك كوت** هو المشرف عليها، وقد شاركنا المجموعة في جزء من عملها الميداني أكتوبر 2002.

عمرانية في مراحل مختلفة. أصبح هذا الحي من مدينة تقرت، بلدية مستقلة إثر التقسيم الإداري لسنة 1984 ، التقسيم الذي جزأ مدينة تقرت بين أربع بلديات تتقاسم نفس النسيج العمراني هي (تقرت، النزلة، تبسبست ، الزاوية) - هي في الواقع أنوية قديمة من القصور تشكلت المدينة من تطورها وتوسعها- .

تتوفر معطيات إحصائية هامة حول السكن والسكان، تتعلق بمجال دراستنا، معطيات ذات طابع كمي لها أهميتها في تتبع الدنياميكية العمرانية والاجتماعية في هذا الميدان، لكن الافتقار إلى **معطيات نوعية** حول العلاقة الواقعية بين السكان ومجالهم و الهيكلة الاجتماعية الجديدة والتمثلات والممارسات تجعل من الضروري **تعبئة الوسائل المعرفية النوعية** لفهم هذه العلاقة ودلالات الهياكل الاجتماعية الجديدة ورسم حاضر المدينة الصحراوية اليوم.

من خلال محاولة فهم نوعي، للهياكل الاجتماعية والأسرية للمجموعات الإجتماعية المكونة لهذا المجال وأشكال التعبئة من أجل السكن والإستراتيجيات التي تتخذها المجموعات الاجتماعية المختلفة، من القرويين مزارعي الواحات القدامى، و البدو المتمدنين في مراحل مختلفة، والوافدين إلى هذه المنطقة بحثا عن العمل والإستقرار، ومفصلة هذه المسارات والاستراتيجيات مع التحولات التعميرية التي شهدتها المدينة. يمكن هذا أن يلقي الكثير من الأضواء و يجيب على إشكاليتنا المتعلقة **بالهياكل الاجتماعية اليوم ونوع علاقاتها بمجالها الإقاماتي والسكني من خلال استراتيجياتها وممارساتها وتمثلاتها**، هي جوانب أهملتها التقصيات الكمية، إذ خارج هذه التقصيات نادرة هي الدراسات في مجال العلوم الإنسانية التي حاولت فهم الكيفيات السكنية وكيفيات تملك المجال خاصة في مدن الصحراء اليوم، بالرغم من كون التساؤلات الاجتماعية والأنثربولوجية حول هذه المسألة متعددة، ناجعة وواعدة.

هذه التساؤلات العامة يمكن أن تحصر في أسئلة فرعية من شأنها أن تقود وتوجه مسار البحث:

1 – ماهو منطق تنظيم المجال التقليدي في المنطقة، كونه جزء من الصحراء المنخفظة الذي يشكل المرجعية الثقافية الاجتماعية التقليدية وتاريخ تكوينه ووظائفه والهياكل والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية التي جعلت منه مجالا منظما متناغما، وماهي التحولات التي شهدها والتي أثرت على الهيكلة الجتماعية و المجال في إطار الإندماج في المجتمع الوطني العام؟

2- كيف تشكل المجال العمراني الحالي، والمجموعات الاجتماعية التي تحتله كيف تتوزع على المجالات العمرانية، و هيكلتها الأسرية وعلاقاتها بالمجال ؟

3- كيف تكيفت المسارات الأسرية والاجتماعية من خلال إستراتيجياتها ذات العلاقة بالمجال وماهي أنماط حياتها الجديدة، وممارساتها وتمثلاتها بين منطقها الاجتماعي والمنطق المؤسساتي الرسمي المنظم للتوسع العمراني؟

2- الفرضيات

من خلال هذه التساؤلات، والتي كان مصدرها ملاحظاتنا في الميدان، هذه الملاحظات التي تشهد على تحولات عميقة هي في طور التشكل في مدن الصحراء المنخفظة في مجالها العمراني و هيكلتها الاجتماعية في العشريات الأخيرة، ننطلق من فرضيات عامة كون المجال في منطقة وادي ريغ ومناطق الصحراء المنخفظة (الجنوب الشرقي) على العموم كان ولمدة طويلة مهيكلا ومنظما في شكل نسق (systeme) من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية، من خلال وظائف المدن والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية .

منذ مدة لا تتجاوز العشريات القليلة بدأ يشهد التحول وبعمق، إبتداء من العهد الاستعماري أين تحطم هذا التناغم وهذه التكاملية بفعل مشاريع استعمارية كبرى غيرت من هيكلة المجال ومن وظائف المدن والقصور وشكل العلاقات بين المجموعات الاجتماعية من بدو وقرويين مزارعي النخيل. بعد الاستقلال بدأ شكل الإندماج في المجتمع الوطني العام في إطار مشاريع تطوعية غيرت كليا من معالم الصحراء في مدة قياسية في أفق عمراني غير واضح المعالم والمرامي، هو في طور الانجاز. تتشكل معه أوساط اجتماعية متمايزة، من سكان الواحات القدامى، و بدو متمدنين، ذات هياكل أسرية واجتماعية مختلفة تتقاسم هذا المجال في إطار هوياتي يتميز بإعادة إنتاج هياكل أسرية جديدة ومجال سكني جديد، تؤازرها أشكال من التضامن الاجتماعي والأسري من أجل تملك المجال ورسم اجتماعية جديدة، هي الطابع الثقافي الاجتماعي النوعي لواقع المدن الصحراوية في الجنوب الشرقي اليوم.

عبر تحليل الممارسات والتمثلات والاستراتيجيات تبرز مظاهر ثقافية واجتماعية هي في الواقع مقاومة هوياتية اجتماعية بين المنطق الثقافي المحلي لكل مجموعة اجتماعية مشبع بالعادات والتقاليد والرمزية في مواجهة منطق رسمي تمثله الجهات الرسمية المديرة والمنظمة للتعمير المشبعة بالخطاب العصراني التمدني[1] لإنتاج مدينية صحراوية جديدة لاتزال في طور المشروع.

2- المسعى الأنثروبولوجي

مؤسسة الأنثروبولوجيا ترتكز في جوهرها على البحث عن المعنى(le sens)، وهدف أي بحث أنثروبولوجي هو بلوغ هذا الهدف، والوصول إلى الدلالات الأساسية، يمر ذلك في موضوع دراستنا حتما عبر تأسيس علاقة لمعرفة الغير، أين نحاول الفهم من داخل عالم المبحوثين، إذ أن الربط بين المجموعة الاجتماعية ومجالها، بين الساكنين ومسكنهم هي أبعد من أن تكون علاقة آلية، هي تعتمد بالأساس على روابط نوعية عاطفية وهوياتية. وإن ما يهمنا هو تحولات الهياكل الاجتماعية والأسرية وعلاقتها بالمجال الإقاماتي أي الحي وبالمجال السكني أي المنزل ، أصالة هذه العلاقة وهذه التحولات، وحتى يتم الولوج إليها، يستلزم الأمر رصد الممارسات وتحليل خطاب الساكنين أنفسهم لكشف تمثلاتهم، وذلك بالانخراط في الحياة اليومية لهؤلاء، في هذا الأفق

[1] **بن جليد عابد** : *" أنثروبولوجيا مجال جديد مسكون: رهانات عقارية ومجالية الطبقات الوسطى بوهران وضواحيها (الجزائر)"* في **إنسانيات** ، (المجلة الجزائرية في الأنتربولوجية والعلوم الاجتماعية) ، عدد 2 خريف 1997 ص 6.

نركز على التمثلات كدلائل على الطريقة التي يفهم بها الفاعلون واقعهم[1]. إذمن الموقف الأنثروبولوجي يمكن فهم المجال الاجتماعي ومناويل احتلاله وتملكه.

يبدأ المسعى الأنثروبولوجي عادة من الملاحظة، الملاحظة "الإشكالاتية" المثيرة للتساؤلات التي تقود للبحث عن دلالات المتغيرات[2] ضمن هذا المفهوم يتوجب استعمال إطارا مونوغرافيا[3]، لأن الباحث الذي يحصر تقصياته في مجال محصور أو في الحدود الضيقة لميدانه الذي سيجه لبحثه ويعتقد أنه يهمه دون غيره، يحتمل جدا أن يصل به المطاف إلى عجز فاضح في التفسير، هناك علاقة جدلية بين فرضيات البحث وملاحظات الميدان، ولا يمكن لها أن تثمر **إلا إذا كانت الإشكالية ممركزة على موضوع دقيق وواضح وناجع، والتقصيات ممارسة في ميدان محدد والملاحظة " مونوغرافية "** إذن من الضروري وجود إطارا مونوغرافيا للإجابة على الإهتمامات الخلاصية للتخصص، تأخذ منها الإشكالية روحها. وأيضا توسيع البحث إلى ما بعد الحدود الموسومة له سلفا.

هناك مبادئ عامة راعيناها كونها تشكل أساس أي مسعى أنثروبولوجي، أولها إكتشاف الآخر، أي الخروج من الذات والالتقاء مع الفاعلين. ثانيها تركيز التقصي الأثنوغرافي في ميدان سوسيو ــ ثقافي مصغر ومحدد لأنه كلما وسعنا مجال وحدود ميدان البحث كان الالتقاء الحقيقي مع الفاعلين أصعب وأكثر سطحية وكلما كان أضيق يسمح ذلك بتعميق المعارف والتطورات الاجتماعية، ثالثا فك رموز التنوعات والمتغيرات الاجتماعية والثقافية وقد بحثنا عن هذه المتغيرات ضمن المجموعات الاجتماعية والأسر التي وقعت عليها الدراسة وقد راعينا في ذلك أربع متغيرات (مهنية اجتماعية، المستوى الدراسي، الأصل الجغرافي، الخصائص التقنية والتاريخية للسكن). أما المدى الذي حاولنا التموقع فيه بالنسبة لموضوعنا فقد راعينا التموقع موضوعيا ليس بالقريب جدا- قد يعطينا ذلك العديد من المكتسبات المعرفية والتعمق في الميدان- . وليس بالبعيد جدا أيضا . إن هذا القرب لم يمنع من الحذر النقدي[4] وحساسية الملاحظة إذن فبالإحتفاظ بمسافة معقولة وحذرة تسمح بالوقوف على نسبية الممارسات والتمثلات.

3- منهجية المقاربة وأدوات العمل الميداني

إن أدوات المعرفة الأنثروبولوجية تقدم لنا وسائل وأدوات هامة لفهم موضوعنا وتحليله، فإذا كان الهدف هو محاولة فهم نوعي، أنثروبولوجي والتمعن في عملية السكن والتسكن في العلاقة بين المجموعة الاجتماعية والمجال. في هذه المنطقة من الصحراء. التواصل مع الساكنين والتمعن في خطابهم في ممارستهم في إستراتيجياتهم الولوج إلى واقعهم اليومي ومساراتهم حياتهم و دراسة التمثلات تمثلان الفهم العميق للموضوع.

---

[1] **Abdelkader LAKJAA ;** *« L'habiter identitaire : Eléments pour une problématique d'une urbanité en émergence ».* **In Insaniyat** ; (Revue algérienne d'anthropologie et de sciences sociales ; N°2 – Automne - 1997

[2] **F rancois LAPLANTINE** « *la description éthlnogaphique*; » Nathan ; Paris 1996. p15.

[3] **Robert CHESSWELL** et **Maurice GODELIER***; « outil d'enquête et d'analyses anthropologique »* Maspero ; Paris, 1976**.** P22.

[4] **Kilani MONDHER**; *« introduction a l'anthropologie* » Ed : Payot Lausanne sciences humaines. p47

1. التحقيق النوعي

إن أدوات التفصي المناسبة في نظرنا لهذا الموضوع هي التحقيقات النوعية. والتي لا يطرح مظهرها النوعي أية مشكلة لتمثيلية الشريحة المحقق معها[1] ، ضمن منظور أنثروبولوجي يهدف إلى دراسة واقع اجتماعي بمعرفة تمظهراته الخارجية للعلاقات الاجتماعية ومنطق تدخلات الفاعلين، في إطار هذا الأفق تم اللجوء أساسا إلى أسلوب المحادثة غير الموجه (semi-directive) والتي تمثل منبعا معرفيا هاما، فإن هذا الأسلوب تجريبي بالتعريف [2] مؤسس على التحقيق الميداني استلهم من التقاليد الأثنوغرافية من أجل تقنيات الملاحظة والذي يبني مواضيعه من الإشكاليات الاجتماعية، إن هدفه الانتقال من الخاص إلى العام لإيجاد أشكال اجتماعية وعلاقات اجتماعية، وميكانيزمات داخلية للمجتمع.

إن الأسلوب السردي هو في الحقيقة، إعادة إنشاء من طرف المبحوث لواقع معين حسب مخياله، ورغم ما يميز إعادة الإنشاء هذه من عوائق (ذاكرة، وضع معين، القدرة على السرد...) ليست هي الواقع المعاش بالضرورة لكن التحليل كفيل باستخراج العمق منها إن السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا هي تخصصات لا تهتم في حقيقة الأمر إلا بالخطاب[3] ، يجب مقابلة هذه السرديات الواحدة مع الأخرى، إذا ما يهمنا ليس ما يجري أو ما جرى في هذه الأسرة نفسها بقدر ما يهمنا فهم شريحة من الواقع الاجتماعي والتاريخي . "إن المحادثة هي شهادة موجهة بنوايا المعرفة"[4].

2. المحادثات إنجازها وتسييرها

بعد إجرائنا للإحصائيات الأولية ومناقشة حدود الميدان والتعرف على المجموعات الاجتماعية التي تتوزع على مختلف أحياء منطقة الدراسة، أجرينا 30 محادثة غير موجهة مع مختلف أسر من المجموعات الاجتماعية التي تسكن ضمن إطار دراستنا الميدانية- النزلة- تقرت، اخترنا الأسر من الأوساط الاجتماعية والاقتصادية والمهنية المختلفة.

الطريقة التي استعملناها في إعداد المحاورة، أولا قصدنا أن تتم المحادثات مع الأسرة في مجملها في منزلها ما أمكن ذلك وبالرغم من كون معظم الأسر محافظة مما يجعل الاتصال مع المرأة مسألة صعبة لكننا تغلبنا على هذه الصعوبة باستعمال علاقات خاصة وأيضا أصدقاء وأقرباء هذه الأسر للتوسط لديها.

كانت محادثاتنا عادة تبدأ بملاحظات عامة نسجلها على المسكن ووضعه ومستواه وهندسته ومراحل بنائه ثم نقوم بشرح موضوعنا للمستحدثين معنا وتوضيح الإطار العام المطلوب منهم أن

---

[1] **GHIGLIONE B. et. MATALON B**. « *Les enquètes Sociologiques, théories et pratiques »* Paris Ed Armand Colin, 1978. p54

[2] **Daniel BERTAUX** « *Les Récits de vie* » Nathan , Paris 1997 . p33

[3] **Daniel BERTAUX**, ibid . p 52

[4] **Daniel BERTAUX** , ibid. p 55

يتكلموا فيه، ونسجل ما يقوله المتحدثون. خلال المحادثات تكتفي فقط ببعض الملاحظات أو الأسئلة التي من شانها معلمة الحوار أو لفت النظر إلى نقطة معينة نريد التركيز حولها. وقد حاولنا دائما تفادي طريقة (سؤال/جواب).بهذا الطريقة قد أتممنا مرحلتين من المحادثات مست في مجملها 30 أسرة راعينا قدر الإمكان أن تمثل مجموع الحالات الإجتماعية الموجودة سواءاً من ناحية توزيعها على المجموعات الاجتماعية الموجودة وأيضا المستوى المعيشي والاقتصادي والمهني وأيضا تقاطع هذه الحالات مع أنواع الأنسجة العمرانية حتى يكون التقصي موزعا بالتناسب حسب أعداد الأسر من كل نوع قد حددناه في جدول كالتالي:

جدول(1) **توزيع المحادثات على أنواع وانتماء الأسر وأنواع السكن**

الأصل الجغرافي نوع السكن	حشاشنة (أ)	أولاد نايل (ب)	سعيد سوافا طيبات (ج)	آخرى (د)	مجموع
سكن تقليدي داخل القصر	3	1	3	2	10
فردي عادي R+1	4	5	4	1	15
فردي R+2 أوفيلا	2	0	1	0	5
سكن جماعي	1	1	1	1	5
مجموع	10	07	09	04	30

هذا مع مراعاة النتائج التي أفضى إليها التحقيق بالإستجواب الذي قمنا به في نفس الوقت وذلك بتوزيع هذه والأسر أيضا بالتناسب على المستويات الاقتصادية الوظائف من جهة ومستوى رب الأسرة الثقافي، مع تفادي قدر الإمكان الحالات الخاصة جدا التي لا تفيدنا في موضوعنا. قد تمت المحادثات بين جوان 2002 جانفي2003. إذ كان هذا العمل يجري بالتوازي مع عمل أخر يتعلق بالإستجواب المدعم لهذه المحادثات، والاتصال بمختلف الفاعلين من مصالح تقنية وعمرانية بالبلديات، والحالة المدنية ومكاتب الدرسات ومديرية التعمير ومصالح الإحصاء والسكان وأعيان المدينة. وكان العمل يتم دوما بالمقابلة بين المنهج والتحقيق[1] ، بين النظرية والميدان.

3. الإستجوب الميداني أداة إحصائية مدعمة

الاستجواب الذي قمنا به وضعناه كمصدر معلومات من الدرجة الثانية، هذا الاستجواب الذي تم في الفترة من ماي إلى جوان 2002 تم على مستوى أحياء تغطي ميدان دراستنا، مس الاستجواب شريحة من 550 أسرة راعينا فيه تمثيل شريحة تتناسب مع نسبة تقترب من 10% من الأسر والسكنات الموجودة كان الهدف منه هو تدعيم المحادثات النوعية بنظرة إحصائية يتم اللجوء إليه عند تعميم نتائج المحادثات[2]، وأيضا التأكد من الإحصائيات الرسمية المعتمدة مثل

[1] **Jean COPAINS**: *Introduction in A l'ethnologie et à l'anthropologie* »; NATHAN Paris.1996. P19-20.

[2] **François DESINGLY,** « *L'enquête et ses Méthodes, le questionnaire, »* Nathan, Paris, 1992 p 35.

الإحصاء العام للسكن والسكان لسنة 1998 واستكمال المعلومات التي تنقصه ونحتاجها في مقاربتنا.

4. سجلات الحالة المدنية، مصدر لفهم علاقات الزواج

إضافة إلى هذه المصادر فقد رأينا أن نطلع على سجلات عقود الزواج الموجودة في بلدية النزلة كان هذا العمل جد مفيد لنا، يبرر ما صرفناه فيه من جهد ووقت ، فقد زودنا بنظرة دقيقة لتطور أنواع الزيجات ونظام المصاهرات وعلاقاتها بالقرابة بالنسبة للمجموعات الاجتماعية والأحياء المختلفة، مركزين على الوقوف على تطور زواج القرابة، والمصاهرات بين المجموعات المختلفة واتجاهاتها ، وتغيير محل الإقامة بعد الزواج وتأثيرات التحولات الجديدة في هذه النظم، قد مس تحقيقنا في السجلات سنوات مختلفة وزعناها بين سنة 1985 وقت تأسيس البلدية، ثم بعد ذلك بخمس سنوات، 1990 ، ثم سنة 2000.

5. التحليل

لا يتعلق الأمر في التحليل باستخراج كل الدلالات من المحادثات فهي كثيرة، عميقة ومتعددة بل الأكثر نجاعة لموضوعنا. اعتبارا من أن أي حوار يتم بين شخصين يمر عادة عبر ثلاث قنوات حركية (حركات وإشارات وتعابير) الكلمات المقالة، والكلمات التي لم تقل.وقد راعينا حسب الإمكان أن تدرس المحادثات ونحاول تحليلها دون إبطاء حتى لا نبعد مرحلة التسجيل عن التحليل.

كان المغزى الرئيسي هو إيجاد الهيكلة التعاقبية(Diachronic) لمسار وتاريخ الأسرة عبر ثلاثة أو أربعة أجيال بتضمينه ثلاثة أصناف من الواقع، واقع تاريخي، ونقوم بمفصلته مع التاريخ العام للمدينة والمنطقة أو الحي. والواقع النفسي أو السميائي وهو الذاتي نقوم بإستخراج الإثارات منه على وضع معين، من خلاله يتم التعرف على التمثلات والمخيال، وواقع وصفي. هناك محصلة بين هذه الأصناف، وعند السرد يجب مراعاة النواة المركزية المستقرة التي يتمحور حولها بناء السرد أو المحادثة. كموضع معين أو حادث في تاريخ معين لإيجاد نوع من البنية أو السيرورة السببية.

حسب المبدأ الأساسي دلالات أي نص تقع في نقطة الالتقاء بين أفقين، أفق المبحوث وأفق التحليل فكل سرد إنما يوجه إلى ممارسات المبحوث والظروف الاجتماعية لممارساته وأيضا فهو سجل مجموعة دلائل حول المظاهر الاجتماعية، ويمكن أن ننتظر من المبحوث أن يصف هذه المظاهر ومنطقها بواسطة جمل، أو كلمات أو إشارات أو تعابير، وأحد ركائز التحليل الفهمي هو تحديد الدلالات التي ترسلنا أو توجهنا إلى ميكانيزم اجتماعي – قد تكون مثل الجبل الثلجي في الماء (iceberg) يتعين فصها وفهم إلى ما ترسل إليه من ميكانيزم.

هناك عدة دلالات متوفرة في محادثاتنا المحصل عليها حاولنا تصنيفها إلى عدة مستويات، الوضع الأساسي والذي اخترناه من خلال نوع السكن ونوع الأسرة من حيث:

ـ الأصل الجغرافي
ـ الروابط الاجتماعية: (العلاقة بين الأفراد، ونوع التعايش في السكن...)
ـ الروابط الذاتية: (مخيال الأسرة، مشاعرها...)

التحليل الأساسي الذي اعتمدناه مع عدم إهمال فوائد التحاليل الأخرى هو التحليل الموضوعات (thématique) فحسب صياغة الفرضيات اخترنا مسائلة حقول معينة من جوانب حياة الأسرة والهيكلة الاجتماعية والسكن وضعناها في شكل مواضيع يتم إفراغ نصوص المحادثات فيها حسب المواضيع ويتم تحليلها موضوعا بموضوع بالاستعانة بمصادر معلومات أخرى يتبعها وتوضحها وتستدل بها. مع مراعاة عبارات الفهم المحلي باستعمال عبارات اللغة المحلية واستكشاف ما تعنيه أو ما توحي به للسكان أنفسهم . حتى يتم إعطاء صورة كلية شاملة لظاهرة معينة في مجتمع متعدد، للولوج إلى حقيقة الحياة الداخلية للأسرة، هذه الموضوعات والتي تستلهم من طرق وأنماط السكن والتسكن والهيكلة الاجتماعية والأسرية هي:

1- أنواع السكنات
2- الأوساط والمجموعات الإجتماعية
3- الهيكلة الأسرية
4- مسارات الاقامة واستراتيجيات السكن
5- التمثلات في الأحياء والمدينة
6- الممارسات الاجتماعية في الأحياء والمدينة

إن إكمال الملاحظات و إعطاء الكلمة للأفراد هي المنهجية النافعة و المفضلة لفهم نمط تدخل الفاعلين وكيف يضعون تطبيقات للنظم الرسمية.من هذا العرض السابق يتضح لنا أننا لم نقتصر في دراستنا على أسلوب أو منهج واحد ، وإن استخدامنا لمناهج متعددة يتطلبها نوع الموضوع وتشابك العلاقات الإجتماعية في ميدان الدراسة ، فإذا كانت الملاحظة المباشرة تمكننا من جمع المعطيات حول المجموعات الإجتماعية وتوزيعها في الأحياء فإن المنهج التاريخي يحدد لنا مسارات الإقامة والإستراتيجيات وتطور المجال العمراني ، ثم يأتي المنهج الإحصائي ليحدد لنا نسب الممارسات ، التي تسمح بالتعميم.

4 ميدان الدراسة

انطلاقا من وجهة النظر القائلة بتعدد مقاييس المجالات الاجتماعية، والتي جعلناها دائما نصب أعيننا في مسألة تحديد ميدانيا وهذا لا يعني بالضرورة أننا تركنا حدود ميدانيا مبهمة وغامضة. إن التحديد الواضح لميدان عملنا في هذا البحث ضمن الحدود الإدارية للتقسيم الإداري[1] لبلدية النزلة. هذا لم يمنعنا أبدا من ربط الحي بالمدينة التي هو في الأصل جزء منها، مدينة تقرت التي تقاسمها الآن أربع بلديات مستقلة تتقاسم نسيجا عمرانيا واحدا إذا أن حدود هذه البلديات الأربع هي شوارع المدينة نفسها، هذا الوضع الاستثنائي. جعل المدينة ذات وضع خاص، هذه المدينة نفسها هي جزء من شبكة هامة من واحات وادي ريغ أحد أهم مناطق الجنوب الشرقي في

[1] مرسوم رقم 84- 365 مؤرخ في 8 ربيع الأول عام 1405 الموافق أول ديسمبر سنة 1984 يحدد تكوين البلديات ومشتملاتها وحدودها الإقليمية ،الإقليمية، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية رقم 2166.

المنخفض الشمالي الشرقي للصحراء الجزائرية. إن تمددات هذا الميـــدان تقـــدم نفســـها كميـــدان إثنولوجيا "طويلة المدى". هذا بالإضافة إلى الشبكات التي بنسجها الأفراد في ممارساتهم وعلاقاتهم المختلفة يضعنا رغما عنا ضمن مجال أوسع دائما مهما حاولنا حصر ميدان البحث الذي نتطـــرق فيه لموضوع في إطار "أنتروبولوجيا قصيرة المدى"[1] (Anthropologie brève).

إن أغلب التحقيقات والتقصيات التي قمنا بها في إطار هذا العمل كانت ضمن حدود الميدان المعلن عنها أي بلدية النزلة – تقرت -، لكن التساؤلات التي تولدت خلال مسار العمل الميـــداني حتمت الانتقال إلى أماكن أخرى من المنطقة الواسعة، لجمع معطيات قصد توســـيع الملاحظـــات كباقي مدينة تقرت كون البلدية هي جزء منها، ومنطقة وادي ريغ لتصور الشبكة بأكملها، الولاية كون المنطقة تأثرت كثيرا إما بمنطقة حاسي مسعود كمنطقة بترولية لها أهميتها على مسافة 160 كلم وأيضا مناطق قدوم البدو ومسارات ترحالهم التي بقيت إلى الآن كقواعد خلفية للبدو المتمدنين ما تزال تلعب دورا هاما في ممارساتهم وتمثلاتهم. إن **هذا النوع المرن** من تحديد الميدان يفضي إلى تحليل محلي متفرع لأنه بخلاف الممارسة المونوغرافية والتي يكون الميدان نفسه من خلالها هو موضوع البحث، فإن الإشكالية ترمي إلى اكتشاف العلاقات في المجال وما يمكن أن تقوله لنا العوالم الاجتماعية.

أما وقوع الإختيار على النزلة بالذا في هذا المجال الواسع، فكونها قصر قديم ضم ولمدة طويلة سكان الواحات القدامى في تنظيمهم للمجال واستغلاله يصبح هذا المجال أصيلا، كقصر من قصور واحات وادي ريغ، يتوفر اليوم على جل عناصر المجموعات الاجتماعية المشكلة لمدن الصحراء اليوم وأيضا أنواع السكن، قد يعطينا هذا الاختيار **نموذجا أصيلا لواقع الأمس ونموذجا متكـــاملا لواقع اليوم.**

إن انتمائنا لهذه المنطقة أعطت للبحث مكسبا هاما وأيضا سهلت الطموح الشمولي لمقياس مرن وأكثر من ذلك فإن هذا الموضوع قد سمح بتبادل المعلومات مع باحثين تقاسموا معنا هذا الاهتمام بالخصوص فرقة البحث التي يشرف عليها الأستاذ **(مارك كوت)** في برنامج مشترك بين جامعة بسكرة وجامعة إيكس بروفنس بفرنسا والمهتمة بحاضر الصحراء المنخفضة اليوم انطلاقا من عدة محاور بحث عمرانية، اجتماعيةوبيئية وقد قامت بعمل ميداني في المنطقة في مدة تزامنـــت مـــع مجريات عملنا الميداني في أكتوبر2002، وكانت مساعدتهم وتوجيهاتهم ثمينة ومفيدة لنا.

5 - صعوبات العمل

من الصعوبات التي تلقيناها في عملنا هذا هي كثيرة ومتعددة ومن مستويات مختلفة:

1- قلة وصعوبة الوصول إلى المصادر والمراجع حول مجال دراستنا، والمجال الصـــحراوي على العموم خاصة الأعمال الحديثة.
2- المسعى الطموح والذي أعلنا عنه في طرح الإشكالية ومنهج المقاربة قد لا تفي به الأعمال في الميدان ينتج ذلك عن التجربة القصيرة والمحدودة في مجال علمي هو جديد وحـــديث، مطبوع بتعدد التخصصات والتشعبات لفهم حقيقة مركبة ومعقدة.

[1] **Nicolas PUIG** *« Derrière le cimetière, un lignage Awlad sidi Abid à Tozeur »* Thèse de Doctorat 1998. p 337.

3- تشعبات الموضوع تجعلنا في كثير من مناسبات البحث في الميدان وفي التحرير والصياغة نحتاط قدر الإمكان خشية الإنزلاق إلى هوامشه. البقاء في خط واحد من التفكير بالنسبة لموضوعنا المركب طيلة فصوله هي مسألة من الصعوبة بمكان.

إن المسعى الأنثروبولوجي مسعى طموح جدا، والموضوع الذي اخترناه وكي يبرهن على نجاعته كموضوع من بين قضايا اهتمامات مجتمعات منطقة الصحراء الجزائرية في الوقت الراهن ، كانت المنهجية مختارة من السعة بحيث احتوت جوانب الموضوع المتعددة والمتشعبة، ومن الدقة العلمية والشمولية النظرية بحيث تستفيد من خلال خط منطقها بتضافر العديد من التخصصات في إطار تقاطع لتخصصات(interdisciplinaire)، وذلك لإعطاء صورة وافية قدر الإمكان لممارسات وتمثلات هذا المجتمع.بالرغم من الصعوبات الموضوعية التي حاولنا التغلب عليها.

6- مفاهيم في البحث

1. حقول أنثروبولوجية

إذا كان من الصعب إعطاء تعريف محدد للأنثروبولوجيا دون اللجوء إلى استكشاف حقولها[1] فإن موضوعنا. كونه يستمد إطاره النظري المتكامل من تقاطع مختلف التخصصات العلمية ((interdisplinarité) وذلك لتحقيق مقاربات جديدة للميدان هذا من جهة، ومن جهة ثانية فمن داخل الأنثروبولوجيا نفسها نلجأ إلى عدة حقول موضوعاتية تؤلف في تكاملها إطارا معرفيا رأيناه مناسبا لإعادة تركيب حقلا متكاملا يكون إطارا نظريا يدعم موضوعا بحثنا ويحتضنه وهذه الحقول التي اخترنا التعامل معها كأطر نظرية تدعم الموضوع والدراسة:

- أنثروبولوجيا التغير الاجتماعي

انتظر الأنثروبولوجيون العشريات الأخيرة من القرن العشرين للبدء بالاهتمام بقضايا التغيير الاجتماعي والثقافي، كون المجتمعات التي طالما اهتموا بها منذ بدايات هذا التخصص كانت مشهورة بأنها جامدة ومغلقة، بلا تاريخ إذن بلا تغير. ومنذ الثلاثينيات من القرن العشرين بدأت الدراسات حول مسائل التثاقف في الولايات المتحدة الأمريكية، بدافع مشاكل الهنود وقضايا الأقليات واندماجها في المجتمع العام، وأيضا في بريطانيا التي حاولت مراقبة بعض التغيرات داخل إمبراطوريتها الاستعمارية. هذه المقارنة الجديدة كانت ولزمن طويل مسبوقة بمفهوم ميكانيكي للتغير والتحول يأخذ مقابيسه من المجتمع الغالب Dominant، إذ يظهر المجتمع نفس حركيته ويقوم بالتأقلم أو المطابقة مع المجتمع الذي كان تقليديا ليقيم المجتمع الحديث. هذه المقابلة الجامدة حول التثاقف (Culturation) بين تقليدي /حديث ماضي/حاضر، مجتمع بدائي/ مجتمع مركب ومعقد. مثل هذا التحليل المطبوع بالفهم وحيد الخط (Unilinéaire) للتغير الاجتماعي أعيد فيه النظر من قبل العديد من الأنثروبولوجيين، فظهرت عدة دراسات للحالات، وأخرى نظرية أدخلت آفاق جديدة اهتمت بالمظهر الاجتماعي – الثقافي للمجتمعات في التحول، ليس فقط

[1] **Mondher KILANI** ; *« introduction a l''anthropologie »* E[d] Laval Lausanne. p 8

من زاوية الآثار بل انطلاقا من المنطق الاجتماعي التقليدي الذي يؤسسه أيضا ودوره في عملية التحول.هذا التيار قد أنتج تعريفا جديدا عاما للدراسات حول التحول الاجتماعي، **إنه يتعلق بضبط الوحدات الاجتماعية الضيقة في إطار جدلية مع المجتمع العام(Société globale)** أو ربط مجموع التحديدات الخارجية والتي تمارس على هذه الوحدات على الدنياميكية الاجتماعية والثقافية والخاصة بكل المجتمعات التقليدية.

إن الرواد المهمين في هذا التيار والمجددين أبرزهم السيوسيولوجي الفرنسي جورج بالانديه[1] أصلت أعماله لمفهوم "الرجعية الكولونيالية، والتي تؤكد على التقاطع الديناميكي بين الهيكلة الغالبة (Dominante) والهيكلة المغلوبة (Dominé) ، والتشكل الدقيق للدنياميكية في النظم الاجتماعية. فهو يعرف النظام الاجتماعي « كوحدة تقريبية دائمافي طور إعادة الإنشاء وإعادة التعريف[2] » ويؤكد على الخيارات وعلى الكمونية التي توجد داخل كل مجتمع التي تعطي التراكيب بين التقليدي والمعاصر.حاليا فإن قضايا التغير الاجتماعي يدرس أيضا ضمن إطار أنثروبولوجيا التطورAnthropologie du devolpement هو حقل بحث يأخذ كموضوع المجتمعات المعنية ببرامج التطوير والتنمية.

- أنثروبولوجيا المدنية وأنثروبولوجيا السكن

هذا الحقل يهدف إلى فهم وتحليل فظاءات التعايش داخل المدنية، والعلاقات الاجتماعية التي تتطور داخلها وتمفصلات أماكن العمل ، وأماكن السكن، توزيع الشبكات الاجتماعية إمكانات التجمع، والهوية الاجتماعية والاثنية. المدرسة الاجتماعية لشيكاغو كانت أعمالها في العشريات الأولى للقرن العشرين في هذا الحقل قد اتجهت للتوزيعات المجالية للمجموعات الاجتماعية في أحياء المدنية.

منذ سنوات السبعينيات اهتمت أنثروبولوجيا المدنية بدراسة التاريخية المتتابعة التي طبعت المدنية، تأثير هجرات المجموعات والإثنيات الحضرية التي تتشكل أو تعيد الشكل، بعوامل إعادة إنتاج داخليتها وترتيب عناصرها، بالنظر إلى علاقتها مع تقنية جديدة أو مهن جديدة. هذه الإشكاليات تصل في مجملها إلى تساؤل مركزي يعني الهوية الإجتماعية في المدنية وطرق الإنتاج وإعادة الإنتاج المختلفة للهوية الإجتماعية، تحت التشكل الإثني-الجهوي-المهني-الثقافي-الاقتصادي أو حسب الأجيال والجنس الهوية الاجتماعية أو المحلية تظهر كنتيجة في وقت ما لمسار للتحلل أو إعادة التركيب للوضعيات الاجتماعية،الاقتصادية،الثقافية والسياسية للمجتمع العام.

في عملة الرائع "من أجل أنتروبوجيا المنزل" حلل آموس رابوبورت[3] عوامل شكل وأبعاد وهندسة السكن من خلال عمل توثيقي هام واختبار وتحليل عدة نمادج من المنازل في العالم توصل إلى تأكيد فرضيته القائمة على نوعين من العوامل أولها العوامل "المحددة للشكل الهندسي " (Déterminante) وهي العوامل السوسيوثقافية، وفي المرتبة الثانية تأتي العوامل "المعدلة

[1] **George BALANDIER: «** *Sociologie actuelle en Afrique noire, »* 1955
[2] **George BALANDIER**, ibid p 155**.**
[3] **Amos RAPOPORT** *« pour une Anthropologie de la maison* » Collection Aspects de l'urbanisme dunod. Paris 1977.p22.

للشكل" (modifiante) وهي عوامل الأمن والعوامل الطبيعية ومادة البناء، إنطلاقا من هذه الحقيقة نفترض أن المنزل، ترتيبه وهندسة تملكه وتمثله. إنما هو كائن عميق، مكان للمخيال الفردي والاجتماعي، مكان للبعد الذاتي أين تترجم الاستثمارات العاطفية والهوياتيه، هذا المجال السيوسيو -ثقافي بالدرجة الأولى، كونه يجمع ويكون الوحدة الأسرية التي لا تمكن أن تكون حقيقة بلا هذا الوجود المجالي. إن المكان المشغول من طرف مجموعة ليس كلوحة سوداء تكتب أو تحفظ عليها ما نشاء ثم نمحوه، إن هذا المكان قد استقبل بصمة المجموعة والعكس صحيح فالمجموعة قد استلهمت بصمات المكان، إنها علاقة جدلية بين الساكن والسكن بحيث أن **كل مساعي المجموعة يمكن ترجمتها بمفردات مجالية**، فكل مظهر وكل تفصيلة من تفاصيله له معنى لا يمكن أن تفسره إلا المجموعة التي تسكنه كون الأجزاء المكونة للمجال الذي تشغله الأسرة تتماثل مع المظاهر المختلفة لهيكلة وحياة هذه الأسرة.

إن كثافة العلاقات بين المجال السكن وساكنيه تكون فرضية أساسية جعلناها منطلق هذا البحث، هذه العلاقات تتمظهر في روابط جدلية بين الوحدة المجالية (السكن في محيطه العمراني) ووحدة اجتماعية (هي الأسرة في شبكتها الاجتماعية) تتبادلان التوضيح في إثراء ممارسات وتمثلات خاصة بكل مجال، بشكل عام فإن المنزل كمجال سكني والحي كمجال إقاماتي يمثلان كليهما وبصفة تكاملية، مشاهد من المقاومات اليومية، تتقابل فيه وتناقش تمثلات، كل من هذين المجالين السكني والإقاماتي يمثلان سجلا واعيا لعناصر من التمثلات، والحاجات والتأثيرات والتحولات، اختارها الساكنون بحرية ضمن السكن الفردي الذاتي، وتحت الظغط في ظل أزمة السكن ضمن السكن الجماعي، أو الاجتماعي. نصل إليها من خلال دراسة التحولات والتغيرات في السكن في مخططه في تركيب عناصره، في إستراتيجيات تملكه وعيشه، إن بتطبيق وجهة النظر هذه على ميدان دراستنا قد ينتج لنا مجالات مهمة في استنطاق هذا المجال ليفضي بمعلومات هامة عن الحياة في هذه المنطقة المحلية المنقوصة من وثائق تاريخية.

- المجال الإجتماعي

إن عمل **Gorges Condominas** حول مفهوم المجال الاجتماعي، مهم كثيرا لنا في موضوع مدى الممارسة الجماعية لمجموعة اجتماعية من وجهة نظر " التناغم الاثني" يمثل هذا المفهوم إشكالية هامة تدخل في إطار الحركة الواسعة لمجتمعات اليوم، له نجاعة واضحة، وذلك لمحاولة فهم ديناميكية المجتمعات. يقترح **Condominas** كتعريف للمجال الاجتماعي« هو المجال المحدد بمجموعة من النظم والأنساق (System) من العلاقات المتناسبة مع المجموعة المعينة [1]» هذا المفهوم الواسع يشمل أيضا بعدا زمنيا شاملا يستلهم كثيرا من رائعة **مارسيل موس** الفرنسي ، أي وصف وظيفية النظم الاجتماعية في شكلها العام[2] يقترح المؤلف خمسة أنواع من العلاقات والتي من خلال تركيبتها الخاصة تؤلف المجموع الكلي للممارسة الاجتماعية وهي علاقات المجال والزمن، البيئة، التبادل، الملكية، الاتصال والقرابة، والجوارية. وهذا المفهوم للمجال الاجتماعي يتطابق مع طموح الأنثروبولوجي في أنه يوفر له وبطريقة براغماتية إطارا

[1] **GorgeCONDOMNIAS :"** *introduction: l'espace Social"* in l'espace social a propos de l'Asie du Sud-est Flammarion Paris 1980. pp 11-94.

[2] **Mauss Marcel** *: « Essai sur le don , forme archaique de l'échange »* , 1924.

مناسبا للتعبير عن ظاهرة مركبة ويسمح له أيضا بإجراء أنواع من المقارنات. لكن هذا التوجيه لا يجب أن يقودانا إلى نوع من الكسل يقضي بنا إلى هلامية في حدود " مجالنا الاجتماعي " الذي حددنا حدوده والذي يتميز بنسبية مقياسية إذا ما راعينا اعتماد هذا المفهوم .

لم تكن مسألة المدى مطروحة في الانثروبولوجيا الكلاسيكية لكونها نظرت للمجتمعات في ضوء أفق ممارساتها العملية التي تتناسب مع (ميدان ⟵إثنية ⟵ثقافة)، لكن اليوم أصبح تحديد المجال الاجتماعي يعتبر أساسيا للذي يريد البحث في المسائل تحلل وإعادة تركيب النظم الاجتماعية، ولهذا فإن كل مشروع بحث من هذا النوع يجب أن يبدأ من تعريف الميدان وحدوده وذلك بالاستلهام من التقديمات التي جاءت مع البحوث الأوربية، مع مواضيع المحلي، والمنوغرافيات والتي استكشفت ميادينها على مقاييس متنوعة[1] لأن المطابقة بين إثنية ومجال قد فقدت نجاعتها.

إن الحضريات الجديدة تتضمن إذن أكثر فردانية من الروابط بين الأفراد تستعمل إنتماءات واسعة تتجاوز أطر المجموعات الاجتماعو - إثنية، وتتجاوز أيضا حدود المجال الاجتماعي المحلي بمده غالبا إلى مقياس الوطنية، والمقياس النوعي للحضرية مثل المصاهرة. هذا النظام الهرمي للإنتماء أو الهوية وبسبب مرونته التي تضفي عليه الطابع المركب يمكن أن تكون إطارا هاما للتطور يعطي للأفراد والأسر الوسائل والإمكانيات. لإنتاج هويات جديدة دون أن تكون بالضرورة متناقضة ومتنافزة مع التاريخية. كون الأمر لا يتعلق بقطيعة أو انتقال من مقياس لآخر من الممارسات يقتضي إعادة تنظيم عميق أو شرطية جديدة للسلوك لا تسمح به الحياة التقليدية.

إن المجالات متعددة،مجزأة، ومتنوعة، واليوم هي من كل مقياس ومن كل نوع،ولكل الاهتمامات وكل الوظائف.من خلال قريحته الأدبية **Gorge PEREC** شرح فكرة تضاعف العوالم الاجتماعية التي يعيش فيها الأفراد في نشاطاتهم اليومية قال" إن الحياة تعني الانتقال من مجال لآخر"[2] يجعلنا هذا نتسائل حول طريقة وصف وتغير المظاهر المعاصرة التي تقود مجموع التجمعات الإنسانية إلى مركب معقد أكثر فأكثر من خلال تضاعف اتصالاتهم وعلاقاتهم المباشرة (هجرة، سياحة، تمدن...) أو غير المباشرة من خلال مبادلة إنتاجاتهم (الثقافية، الملكية والخدمات ، والقيم...).**Michel LERIS** [3] سجل منذ 1969 " التطور العصري للإثنولوجيا " آثار تضاعف الاتصالات بين الأفراد وأيضا كثافتها على ثقافة المجموعة التي تستقبل تطورا جديدا .في هذه الحالة يجد الأفراد أنفسهم أمام وضعية أكثر تنوعا تجبرهم على القيام بتجديدات أو تطويرات في التصرف، أو إلى أقلمة استجابات تقليدية لمطابقتها مع هذه التجارب المتعددة والمتضاعفة. إن سكان مجال دراستنا في النزلة –تقرت- لا يخرجون عن قاعدة هذه التطويرات التي دخلت مع تحولات عالمهم اليومي ومجالهم بما فيه مجال سكنهم.

---

[1] **Ghristion BROMBERGER** ; *« du grand au petit ; variations des échelles et des objets d'analyse dans l''institut récente de l''ethnologie de la France»*, in Ethnologie en miroir, la France et les pays de langue Allemande ;E[d] de la Maison des sciences de l'homme, 1987. Pp 67-94.

[2] **Gorge PEREC:** « *Espèces. D'espaces ».* Galilée 1974 Paris. p 1

[3]**. Michel LERIS** « *Cinq études d'ethnologie de racisme et de Tiers Monde"* Denoél / Gonthier (Bibliothèque médiation), Paris 1969 .P53

إن تاريخ الأماكن والمناطق تاريخ المجال السكني يجعلنا مباشرة في مواجهة مع المنطق الجماعي وديناميكيته ممارساته، المجالات المشتركة هي أيضا فرص لملاحظة إعادة التشكلات التي تمر بالمجال الاجتماعي المطبوع بتطبيق مدينيات جديدة. هذه الملاحظات يمكن التوصل إليها من خلال فهم التطور الذي يشهده عالم الواحات، عالم تحول المجال في هذه المناطق من الصحراء، إن تحليل هذا المجال والمجالات المشتركة يمكن أن تجعلنا نشهد على ديناميكية اجتماعية. في طور العمل، ما يمكن أن يقوم به عملية التحليل هو الاستنجاد بحقول معرفية مختلفة تستجيب لنظم اجتماعية متكاملة يشكل المجال الإقاماتي والسكني أحد زواياها. هذا التبادل بين "مجالات وروابط" يؤلف المادة الأولية لهذا البحث.

2. مفاهيم نظرية و تعريفات

1. المجال السكني، الهيكلة الاجتماعية والثقافة

إن مسائل السكن كونت حقلا موضوعاتيا لعدة تخصصات، وعدة دراسات. دراستنا الميدانية هذه و المتعلقة بالمجال وتحولاته تأخذ لها إرتكازات نظرية في قلب أنثروبولوجيا المجال السكني، تحت مبدأ عام هو أن تخطيط و بناء السكن لم يكن أبدا من تحديد المهندس المعماري، لقد كان في الغالب من إنجاز هندسة شعبية أو فلكلورية إنه المحيط المثالي لشعب والذي يعبر عن نفسه في إنجازاته البنائية وفي مسكنه[1] هذا ما خلص إليه **رابوبورت** في دراسته حول أنثروبولوجيا المنزل، مؤكدا بأن السكن الشعبي يسمح لنا بتحديد الطرق والأنماط التي يفسر بها هذا الشعب الثقافة المحلية والقيم الحضارية التي تحيط به.

من خلال أن ما يطبع عادة ممارسات المجتمعات القديمة، وحسب **رابوبورت** دائما ليس هو روح الاختراع أو التجديد، وإنما ما يطبعها عادة هو روح المماثلة (conformité) أي روح التقليد ومن خلال موضوع السكن فإن الطابع المكرر الأنموذج " نسبيا ! " للمنزل وطرق إنجازه، إذا أمكننا الارتكاز على هذا الاقتراح الذي خلص إليه **رابوبورت** يمكن لنا أن نعتبر أن المنزل في منطقة ما يفسر على كونه نموذج ثقافي. عند **بورديو**[2] وعندما يتطرق لمسألة السكن في المحيط العربي الإسلامي، يتحدث عن السكن " كتمثيل للذات " (représentation de soi) ، أي أن السكن في العالم العربي الإسلامي ما هو إلا تعبير مادي على هذه الثقافة، كونه تمثيل اجتماعي من خلاله تلعب التقنيات دور الوسائل وليس غايات.

من استلهام أعمال **إدوارد هال** (1971)[3] ، واضع مفهوم الجوارية (Proxémique)، تنبه إلى مسألة الامتداد الجوارية ليضعها في قلب التفكير الأنثروبولوجي، إن قضية الإقليم والحدود ، هذه الغريزة أو النزعة " الإقليماتية" يمكن أن تجد تأسيسا لها في التملك ، تفضي إلى الرغبة في عزل الآخر أو تحييده ولو بالقوة، في تقابل تام مع رغبة أخرى هي الرغبة في العيش معا ، لهذا

---

[1] **Amos RAPOPORT** ibid. p 59.

[2] **Pierre Robert BADUEL** (sous la direction de) *: Habitat.état. Société au Maghreb*.CNRS Paris 1988 p 234.

[3] **Pierre Robert BADUEL** : Idem P 233

فإن الجوارية تظهر في كل منطقة وفي كل مجتمع، تخرج منها المفاهيم الأساسية للبعد (Distance) أو الحدود التي تحكم دراسة السكن، القواعد التي تحكم الأبعاد الفيزيائية بين السكن ومحيطه. درجة هذه الأبعاد ورمزيتها، هذه الأبعاد هي عوامل هامة لتحليل السكن. إن كل سكن يخلق نوعين من المجال الأول مغلق قار استمراري ممركز مهمته الحفظ – الفضاء الثاني مفتوح غير مستقر فرعي. هده التقابلية بين داخل /خارج Dedans / Dehors تضاف إلى تقابلية أخرى، أعلى/ أسفل، لهذا يصبح السكن شكلا يمكن قراءته رمزيا.

السكن هو قبل كل شئ مجال يلتقي فيه محتوى ممركز، هي مركزية تجعل من باقي العالم شيء ثانويا (Périphérique) ، إن درجة الانغلاق غير المتساوية للمنازل وأشكال السكن في العالم يمكن أن تعبر لنا عن تدرج في الرغبة في هذه المركزية الداخلية للسكن، إن السكن المغلق عن الخارج والمفتوح عن فضاء داخلي مركزي " الحوش " في الحضارة الإسلامية، تبدوا عكسه البنايات ذات الواجهة المفتوحة في حضارات أخرى بغض النظر عن المؤثرات المناخية أو الدفاعية، هذا التمايز قد يفضي إلى ثقافة تملك أقل أو أكثر قوة للمجال السكني، والتي قد تكون ورائها حاجات متدرجة أو مختلفة للخصوصية (intimité).

إن الدراسات المقارنة حول المنزل كلها تؤدي إلى بناء علاقات بين المجال والمجتمع ، إلى أنثروبولوجيا أو سوسيولوجيا المجال، إن عملية بناء سكن هي قبل كل شيء تهيئة علاقات اجتماعية وتنظيم " جواراتي " ومسافاتي، تخطيط حدود بين داخل وخارج، هذه التهيئة ليست متروكة لحقل من المتغيرات، أو إلى المبادرات الشخصية المجال السكني هو إذن مجال موجه وموجه بالخصوص بحسب الثقافة التي نتخذها كمرجعية لنا في حياتنا.

إن كل أوصاف المنزل، حتى الأكثر دقة منها والأغنى بالدلالات حول الترتيب الداخلي لهذا الفضاء كلها تبدوا ناقصة إذا لم تأخذ في الحسبان الممارسات كجزء من نسق رمزي، إن نص بورديو (1972)[1] كان هام جدا في هذا المجال ، كونه نظر إليه ليس كواقع اجتماعي معزول بل نظر إليه من خلال مجموع أي نسق أو بنية، فقد سلح نفسه بالمبادئ البنيوية لمحاولة تحليل البيت القبائلي، بتسجيله في النسق الأسطوري- الطقسي المحلي مقحما البعد الثقافي الحضاراتي البربري الإسلامي ناقش من خلاله درجة إنجاز هذا النسق الرمزي في السكن ومنه عرفنا أن المنزل البربري منظم حول مجموع من التقابلات، اللفظ الأول منها ذو دلالة إيجابية مقدسة والثاني ذو دلالة سلبية مدنسة في شكل أزواج متضادة (شرق/غرب) (يمين/ شمال) (أعلى /أدنى) (نور/ظلام)، هذه المقابلات تلخصها مقابلة (ثقافة/طبيعة)، من خلال هذه المقابلات يمكن قراءة المنزل القبائلي. و خلاصة ذلك أن المسكن هو فضاء موجه تنظيمه هو تمثلا ثقافي خاص بإنتاج أقطاب بنيوية.

المجتمعات تسلك سلوك تسجيل مجالها(marquage) إن التقابلية يمكن أن تأخذ طابعا عالميا فمثلا كلمة يسار لها مدلول سلبي في الأغلب كأن ينظر إلى الإنسان الذي يستعمل يده اليسرى بسلبية في أغلب المجتمعات **هرتز**[2] ناقش هذه المسألة التمثلاتية انطلاقا من هذه الملاحظة

[1] **BOURDIEU Pierre** : *« la maison kabyle ou le monde renversé* », in Esquisse d'une théorie de la pratique, Droz, Paris/Genève 1972. p 45- 69.

[2] **R HERTZ** « *, sociologie religieuse et folklore* » 1ère édition PUF , Paris , 1970, p 207

بالذات وهي تفضيل استعمال اليد اليمنى عن اليسرى و هدا الأمر في نظره ليس طبيعيا كونها منبوذة من البداية فلا نطور العمل بها ، بالنسبة له هذه التقابلية تأتي من عمق المغامرة الإنسانية إنها من طبيعة دينية من تقابلية بين المقدس و المدنس من نصف الإنسان الطاهر المقدس الأيمن و النصف الأيسر الشيطاني المدنس ، التقابلية من الأعلى إلى الأدنى هي أيضا من نفس الأصل، الأعلى هو مكان الآلهة و السماء و الحياة الحقيقية، الأسفل هو مقر القوى الشريرة التقابل رجل / امرأة يساهم أيضا في تقابلية المقدس والمدنس، كونها مدنسة المرأة لا تحظر الطقوس الدينية و هذا هو منشأ تقاسم الأدوار الاجتماعية و تقاسم العمل في العالم القديم بين الرجال و النساء و خلاصة ذلك أن المقدس كمصدر لنظام و النسق يمكن أيضا أن يلهمنا في تفسير المجال السكني.

بهذا أخرجت الدراسات هذه أفكار هامة يمكن أن نستخلص من خلالها أن مبدأ المسافة و الحدود في إنجاز سكن هو قبل كل شيء إنجاز نموذج من العلاقات الاجتماعية برسم قواعد الأبعاد
و المسافات أي من هو داخل المجموعة و من هو خارجها. يمكن أيضا الاعتماد على التقابلات البنيوية داخل نسق ثقافي وبالخصوص بالنسبة للأسطوري – الطقسي و التي تجعل من هذه التقابلات البنيوية تقابلات دينية أيضا. من خلال ضوء هذه المفاهيم نحاول تحليل و فهم أي نوع من السكن نحن بصدده في ميداننا النزلة (تقــرت) والمجموعات الاجتماعية التي تقطنها.

انطلاقا من مادة "دار" في دائرة المعارف الإسلامية[1] ، دارا من دائرة هي فضاء محاط بجدران أو بناياتأو بخيام رحل(تنظم في شكل دائري في الغالب)، في شمال إفريقيا مكان تجمع القبيلة "دوار" من هذا الأساس يتبين وضع وشكل المسكن في الثقافة العربية الإسلامية . أو هو تهيئة فضاء داخلي للحماية من الأعداء . إن السكن الإسلامي - حتى و إن كان يملكه رجلا غني- فان واجهته أو مظهره الخارجي أعتم غير مهتم به جدران عارية، باب ثقيل مغلق في أكثر الأوقات نوافذ ضيقة أو معدومة إن كل الحياة في هذا المجال المغلق تتحول إلى الفضاء الداخلي الشاغر، يبدو "الحوش" هو العنصر الأساس في هذا السكن . هذا الفضاء منجز على صورة تنظيم الأسرة المنزل منجز كاحتواء أو كغلق على الأسرة هذا الإنجاز يعطي إطارا مثاليا للحياة الإسلامية.

انطلاقا من وصف منزل ريفي في تيديكلت (الصحراء الجزائرية) مأخوذ من دراسة أنجزت في بدايات القرن العشرين [2] منزل له مخرج واحد ، الغرف تطل على حوش مركزي لكل منها مدخل واحد النوافذ غير معروفة تماما و أيضا مداخن الباب الخارجي يفتح دائما على زاوية تمنع النظر إلى الداخل هذا الباب يفضي إلى سقيفة مربعة الشكل تفضي بدورها إلى باب ثاني يشكل زاوية قائمة مع المدخل الرئيسي تفتح السقيفة على حوش داخلي تحيط به عدة غرف مصففة على نفس النمط هذا النموذج مع بعض المتغيرات نجده يتكرر في الجهات الريفية للمغرب. نلاحظ أن الحوش المركزي "وسط الدار" يتمثل في فضاء توزيع داخلي خصوصي ، الغريب عندما يدخل إلى المنزل لا يمكنه الدخول مباشرة إلى الحوش بل إلى " دار الضياف" هذا الترتيب يحمي

[1] **Georges MARCAIS** *« DAR » , article de L'Encyclopédie de L'Islam* , E.J. Brill, Leiden, 1965. pp 116 -118.

[2] **(A) BERNARD «** *Enquête sur L'habitat rural des indigènes de L'Algérie* » Fontana , Alger , 1921. pp.36 - 38.

الحياة الخاصة من الحياة العامة و يدلنا أيضا على أن الحوش هو الفضاء الذي تتوزع حوله جميع عناصر السكن الانتقال من الفضاء الخاص إلى الفضاء العام يمر بفضاء انتقالي (Semi-privé) متدرج.

المجالات الاجتماعية التي يسجل مجال السكــن ضمنها هي منظمــة بنفس الطريقــة و المسكن ما هو إلا انعكاس ماديا لها هي منسقة متدرجة كل مجال محتوي (بكسر الواو) يتدرج نحو مجال أخر أكثر عمومية في مقابل أن كل فضاءا محتوى (بفتح الواو) يتدرج نحو خصوصية أكثر فأكثر، انطلاقا من الفضاء الأكثر عمومية الذي هو السوق إلى الحي إلى الشارع إلى الممر الحاد(impasse) إلى المكان الأكثر خصوصية في هذا المنزل العائلي. انطلاقا من المفهوم الأنثروبولوجي فان العنصر الآمر و الأساسي ليس الحوش المركزي و لكنه المبدأ التقابلي مجال عام / مجال خاص.

من خلال التحولات العامة الاندماج في المجتمع الوطني العام كما أطلقنا على التحولات وإطارها في مجال دراستنا، من المنزل التقليدي في القصور القديمة إلى السكن الفردي الذاتي أو السكن الجماعي المبرمج بالنسبة للمجموعة الاجتماعية من فلاحي النخيل القدامى " الحشاشنة" . من الخيمة إلى " البراكة" أو " القربي" إلى" قربي داخلي" ضمن البناء العشوائي إلى السكن الفردي بالنسبة للبدو المتمدنين، الذين يجبرهم التمدن على اتباع طرق الحياة التي تنشرها المدينة على حسب إمكانياتهم ودخلهم بواسطة تمثلاتهم وفهمهم للمدينة.

يمكن لنا أن نطرح السؤال حول بقاء هذه المبادئ في المجتمعات العربية ومدى نجاعة هذه (النظرة إلى العالم) في عالم اليوم اعتبارا من تطور دور المرأة التي تحتل اليوم جزءا هاما في تقسيم العمل العام نلاحظ كثيرا الشرفات في البنايات الجماعية الحديثة قد طمست من طرف ساكينيها الجدد كما يمكن ملاحظة بروز الشرفة في المنازل الفردية التي يبنيها السكان بأنفسهم، يمكن قراءة هذه الملاحظات على أنها علامات للتحول في هذا المجتمع الذي لم يتبنى بعد قاعدة جديدة لداخل / خارج إنه في حالة إعداد لهياكل استقبال لتشكلات أسرية واجتماعية جديدة.

2. تعريفات أساسية

- البناء ، أو البنية

البناء هو النموذج المستقر للتنظيم الداخلي لجماعة ما يتضمن مجموعة العلاقات الموجــودة فيها وبين جماعة أخرى من ناحية ثانية[1]، كتنظيم متمايز لنظم اجتماعية متخصصة معتمدة بعضها على بعض إعتمادا متبادلا ، البناء الاجتماعي أو الهيكلة الاجتماعية عبارة عن اتصال تلك الــنظم الاجتماعية التي تنظم الحياة الاجتماعية.

[1] **مدكور ابراهيم** : معجم *العلوم الاجتماعية* ، الهيئة المصرية العامة للكتب ص 99.

- التحول، التغير

التحول ظاهرة عيانية موجودة في كل مستويات الوجود من المادة وفي الحياة الاجتماعية[1] التغير نتيجة عوامل ثقافية واقتصادية وسياسية تتداخل بعضها في بعض ، يقصد بالتحول هو نوع التطور الذي يحدث تأثيرا في النظم أي يؤثر في البناء ووظائفه[2] ، أو يعتبر حل توازن محل توازن آخر دون تغير في النظام أو ظهور توازن تبعا للتحولات الطارئة على بعض أجزاء النظام، يتضمن التغير الاجتماعي كل ما يحقق حاجات الفرد وأيضا طرق الحياة والأيديولوجيا والطرق المختلفة لتنظيم الحياة العائلية والعلاقات بين أفراد المجتمع[3].

- العائلة، الأسرة

الأسرة كمؤسسة اجتماعية ورمزية لها أهميتها المعتبرة في المجتمع الجزائري، فضلا عن كونها المصدر المقبول اجتماعيا لضمان الاستمرارية البيولوجية فهي أساس كل حضارة بشرية، قد جعل منها Levi-Strauss [4] مؤسسة أصبح التبادل بين الشعوب من خلالها ممكنا، ليصبح بذلك التبادل في قلب إشكالية الزواج. تتعلق أيضا الأسرة بمسائل الخصوصية (intimité) و بقضايا المقدس أيضا.

يعرف الأنثروبولوجيون الأسرة بأنها " شكل أساسي من الإتحاد بالزواج معترف به اجتماعيا بين ذكر وأنثى يعيشون مع أبنائهم[5] " ، هذه هي الوحدة الأساسية ، لكنها قد تتفرع إلى أنواع من الأسر المركبة عندما تتعدد الأنوية الزواجية موزعة على أجيال مختلفة وخطوط قرابية متعددة ، كلها ترجع إلي جد واحد . تتعلق الأسرة أيضا بالإقامة والسكن مطبوعة عادة بالإقامة المشتركة و بالتعاون الاقتصادي بالتوالد بين الكبار من جنسين مختلفين، إذ تكون علاقة جنسية بين اثنين منهم على الأقل معترف بها اجتماعيا. إذن فالإقامة والسكن من محددات الأسرة الأساسية.

إن المقاربات الإحصائية المتوفرة لمجال دراستنا، حول المجال السكني والأسرة في نطاق بلدية النزلة ومدينة تقرت على العموم، ونظرا لمحدداتها الكمية، والعددية فإنها لم تحط بمفهوم الأسرة بصفة إجمالية، هنالك أولا مشكلة تتعلق بالمصطلحات ودلالتها، كونها تنقل عن اللغة الفرنسية، تستعمل كلمات مثل: **Ménage** والذي يرسلنا مفهومه إلى السكن أو التدبير المنزلي[6] . الإحصائيات تستعمل تعبير **Ménage** كوحدة إحصائية أساسية و تعرفه " كمجموعة من الأفراد يعيشون تحت سقف واحد تحت مسؤولية رب أسرة وسلطته، يتناولون وجباتهم الأساسية معا، مرتبطين بعلاقة الدم عن طريق الزواج " [7] . هذا التعريف يركز على علاقة القرابة ووحدة السكن ووحدة الاستهلاك والزواج والتوالد والسلطة. بهذا المفهوم سوف نعتمد عبارة **الأسرة** كتقريب من

---

[1] **الزعبي محمد أحمد** ، *التغير الاجتماعي* ، ط1 دار الطليعة 1982 ص 34.

[2] **مدكور ابراهيم** المرجع السابق، ص 165.

[3] **Rocher GUY.** « *Organisation sociale »* . DEHMH 1986 p 22.

[4] **Claude LEVI-STRAUS** : *Anthropologie structurale*. PLON .Paris 1974. p p 37- 62.

[5] **Pierre BONTE, Michel IZARD** ; « *DICTIONNAIRE de L'ethnologie et de L'anthropologie »*, 2éd, Paris, 1991. p 273-275.

[6] **جبور عبد النور، سهيل إدريس***« النهل. قاموس فرنسي عربي* » بيروت 1985.

[7] **ONS** الديوان الوطني للإحصاء 1986.

هذا المفهوم، هذا المفهوم يظهر وكأن **العائلة** بمفهوم: **Famille** قد تكون محتواة في الأسرة **Ménage**، الذي يمكن أن يتضمن عدة أنواع من العائلات.

- السكن

وحسب المقاربات الإحصائية دائما يعرف على أنه " مكان أو مجال مغلق ومغطى مسكون من قبل فرد أو عدة أفراد أو غير مسكون، لكنه مهيأ بغرض السكن " أو هو " مجموعة وحدات **Pièces**، أو وحدة واحدة، معد لغرض السكن، يمكن الدخول إليه دون المرور بسكن آخر " (ONS1986)، بهذا يمكن لعدة عائلات أن تحتل سكنا واحدا في شكل أسرة مركبة، أو عائلة واحدة في شكل أسرة بسيطة أي الزوجين أو أحدهما والأبناء المباشرين من هذا الزواج.

إن تصنيف الأسرة في مقاربتنا ليس بالمسألة الهينة، فالأسرة النووية أو البسيطة nucléaire أو الأسرة البيولوجية التي أساسها العلاقة الزوجية، والأسرة الممتدة التي يضاف إليها داخل الروابط الخطية أفراد من زواج ثاني أي جيل ثاني، أما الأسرة المتعددة أو المركبة فهي تراكب من أسر متعددة مرتبطة بعلاقة الدم أو المصاهرات في أشكال كثيرة من أنواع التعايش في المجال السكني. عادة يتعلق الأمر بالتعايش بين زوجين و أسر أبنائهم المتزوجين، يتوارثون السكن، يمكن أيضا أن تتطور الأسرة من بسيطة إلى مركبة أو تعود إلى حالتها الأولى بسيطة بعد مغادرة الأبناء المتزوجون إلى مساكن مستقلة[1].

في مجال دراستنا تظهر الأسرة هيكلة مركبة في ظل التحولات في الأنشطة ونظام الأجور ونوعية المجال السكني هل الأسرة تتجه إلى أن تكون نووية كما تدعيه العديد من الدراسات التبسيطية وأيضا فإن تنوع التركيبة الاجتماعية في النزلة لكل مجموعة هيكلتها الخاصة وعلاقاتها بالمجال السكني، كون هذا المجال يظهر الجوانب المادية للعلاقات الأسرية والاجتماعية، من خلال السكن والحي تظهر وبجلاء الرهانات التي تنسج حول الأسرة والمجال، قضية (أسرة / سكن) في الظرف العمراني الذي تشهده المنطقة والمتسارع في وتيرته المعقد في تركيبته، فك رموز هذه الوضعيات قد يعطينا الكثير من الدلائل على الإستراتيجيات المطبقة. والممارسات والتمثلات الموجودة والتي قد تلقي الأضواء على الواقع النوعي الحالي في مجال دراستنا .

---

[1] **Jean Pierre COURSO; Michel SABOULIN**; « *Ménages et familles vers de nouveaux modes de vie* » In ECONOMIE ET STATISTIQUES , N° 175, Mars 1985. pp 03 - 20

المدخل

وادي ريغ، جغرافيا وتاريخ !

1. الوسط الطبيعي
2. بين التاريخ والأسطورة

1.الوسط الطبيعي

مجال دراستنا الذي يقع ضمن إطار متميز بطبيعته الصحراوية، كجزء من الصحراء الكبـــرى، تبدأ مشارفها من الأطلس الصحراوي جنوبا، وهوامش الهضاب العليا، هذا الامتداد الواسع المسطح المتكون أساسا من الحمادات، والعروق، هذا المجال الواسع الذي تؤكد الدراسات الجيولوجيـــة أنـــه كان مجالا رطبا بعد انحسار العصر الجليدي الأخير.

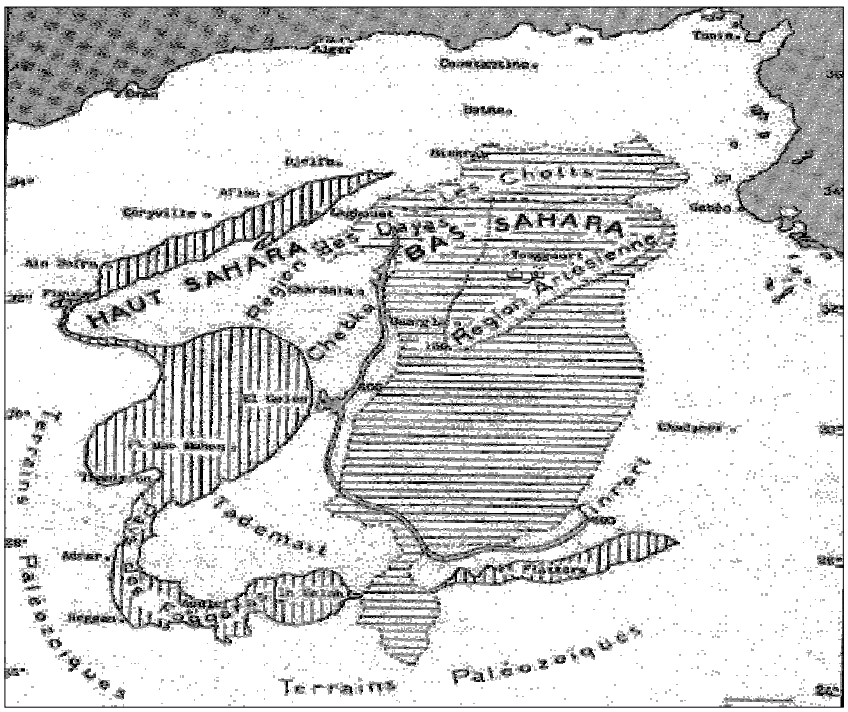

المصدر : Edmond SERGENT le peuplement Humain du Sahara

الشكل (1) تموضع الصحراء المنخفظة

يقسم الجغرافيون الصحراء الشمالية إلى قسمين، الصحراء المنخفضة Bas Sahara، والصحراء المرتفعة، تبدوا الصحراء المنخفضة في الشكل بالتهشير المتوازي الأفقي، وهي الجهة الأرتوازية الغنية بالمياه الجوفية التي كانت السبب الأساسي في نشأة الواحات.

ضمن هذا الإطار العام يتموقع اقليم وادي ريغ، تحديدا في الركن الشمالي الشـــرقي للصـــحراء الجزائرية، أو ما يطلق عليه الجغرافيون الصحراء المنخفضة، المنطقة الارتوازية التي تمتـــد مـــن سفوح الأطلس الصحراوي الجنوبية شمالا، حتى بداية الهضبة الوسطى التي تنتهي إلى مرتفعـــات الهقار، ومن الشرق من منطقة الجريد التونسي التي تعتبر امتداداها الطبيعي.

هذه المنطقة المنخفضة من الصحراء المنطقة الغنية بالمياه الجوفية الارتوازية التي ســـمحت بالحياة ونشأة الواحات المسقية بالمياه الارتوازية القريبة من السطح، يعتبر وادي ريغ أحد المكونات الرئيسية للصحراء المنخفضة التي تظم مناطق الزيبان ووادي سوف ومنخفض ورقلة.

وادي ريغ، الإطار الجغرافي الطبيعي لمدينة تقرت، إ ســـم لمنطقة وليس لسيل من المـــاء، إن شكله المنخفض والممتد على شكل شريط طولي ضيق هو الذي أوحى بتسمية الوادي. يمثـــل إقليما منخفض مستطيل الشكل طوله حوالي 160 كلم وعرضه يتراوح بين الثلاثين والأربعين كلم. يبتدئ هذا الإقليم شمالا على حواف شط مروان وشط ملغيغ وينتهي جنوبا بقرية قوق التـــي تعـــد بدايـــة للوادي، قد سماه **ياقوت الحموي**[1] في معجم البلدان الزاب الصغيرو سماه **إبن خلدون** في تاريخه[2]'' بلاد ريغ'' أو ''أرض ريغ'' و هو الاسم الذي عرف به عبر تاريخه منذ نشـــأته. و فـــي الوقـــت الحاضر مازال يعرف " بوادي ريغ ". كشبكة من الواحات المرصفة على طول المنخفض يحده من الشمال إقليم الزاب وعاصمته بسكرة ومن الجنوب ينفتح على هضبة وسط الصحراء ومن الشـــرق وادي سوف أما من الغرب وادي ميزاب وعاصمته غرداية. ينحصر بين العرق الشـــرقي الكبيـــر والهضبة الحثية(gréseux) التي تقع غربه. فلكيا يحدد الإقليم بخـــط عـــرض32.54 و 34.09 شرقا. يبعد 618كلم عن العاصمة، 161 كلم عن ورقلـــــة، 171 كلم عن حاسي مسعود، 95 كلم عن الـــــوادي، و220 كلم عن بسكـــرة.

[1] **ياقوت الحموي**، معجم *البلدان*، الجزء الرابع بيروت ــ دون تاريخ، ص325.

[2] . **ابن خلدون عبد الرحمان**« كتاب *العبر ديوان المبتدأ والخبر* »الطبعة الثانية بيروت 1921 المجلد السابع ص 96.

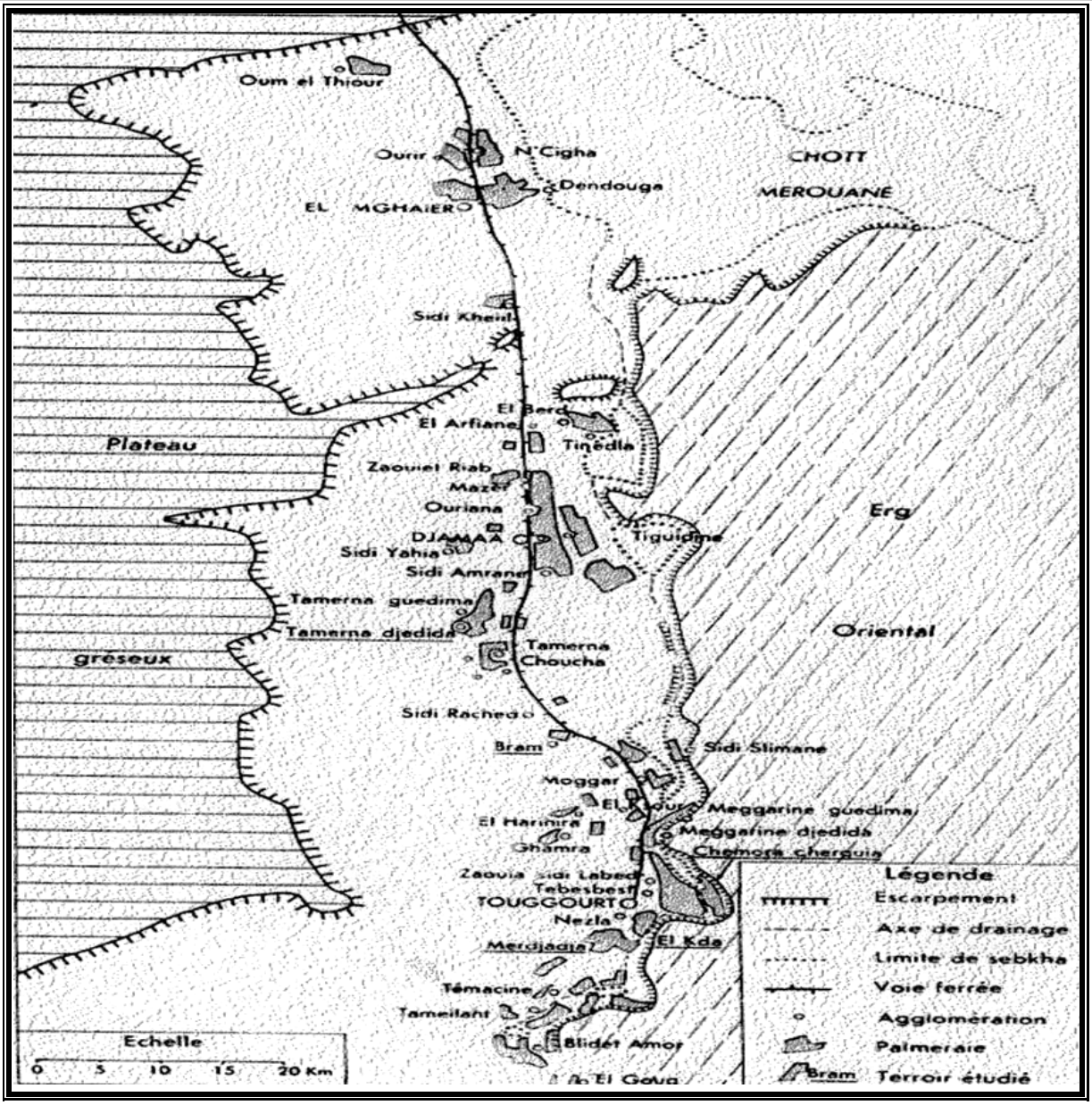

المصدر : **M M. ROUVILLOIS. BRIGOL** *« Oasis du Sahara algérien (études de photos – interprétations N° (64)* ». Institut géographique national Paris 1978 *p 02.*

الخريطة (2) قصور ومدن وادي ريغ

انطلاقا من قرية " قوق" جنوبا وهي أعلى مستوى بالوادي ريغ " سيدي بوحنية" كما يسميها أهل المنطقة بلوغا إلى شط ملغيغ وشط مروان (- 35 م تحت مستوى البحر) على مسافة 160 كلم وعرض متوسط 40 كلم قصور و واحات وادي ريغ تشكل سبحة متراصة تترصف على الوادي في 3 مجموعات شكلت حوالى 50 قرية في ثلاث مجموعات، المغير، جامعة، تقرت. قامت على استغلال الماء القريب من السطح (الطبقة العليا)، حتى الآن مصدرها الوحيد للماء هو الآبار الجوفية (طبقة الألبيان شكلت مصدر المياه المنزلية حديثا فقط).

1- الجيومورفولوجيا

إن أهم ما يميز منطقة وادي ريغ من الناحية التضاريسية هو البساطة و الاستواء، تتميز بانحدار خفيف من الجنوب إلى الشمال يقدر ب 1%، يبتدئ من قرية قوق جنوبا حتى تنتهي في منطقة الشطوط بالقرب من المغير بارتفاع عن سطح البحر قدره [- 35 م] في منطقة شط مروان، الارتفاع العام فهو 55 م مع مرتفعات بسيطة لا تفوق 300 م.

المنطقة منخفض حفري عريض يعود إلى الزمن الرابع ذو تكوينات ترابية جيرية تتابع خلاله سبخات ملحية تفيض في فصل الشتاء لتكون بحيرات دائرية الشكل عميقة مصدرها صعود المياه الجوفية[1]. يمتد الإقليم من الجنوب إلى الشمال محصور بين سطح حثي يعود إلي الزمن الثالث أعلى منه غربا، أما إلى الشرق منه يمتد عرق رملي يتكون من تصفيفات كثيبية هي جزء من **العرق الشرقي الكبير** الذي يغطي سهل من الزمن الرابع[2]. في حوض وادي ريغ يمكن تمييز أربع مستويات متقاربة للتضاريس والتربة:

1. المستوى المرتفع والذي تمثله انحدارات أو تحدرات ذات قشور جبسية أو جيرية أو أسطح هي بقايا تظهر على شكل تلال أو أكمات ذات تظرس خفيف في معظمها لا تتعدى 300م.
2. المستوى المتوسط الذي يطبع على العموم بانحدارات تعود إلى الزمن الرابع، أرضها رملية جبسية لكن التظرس غير ظاهر ماعدا بعض المناطق والتي خضعت للتعرية الريحية.
3. مستوى ما قبل الشطوط يظهر وبشكل منخفض واضح ويتمثل في مساحات مستوية ذات انحدار خفيف.
4. مستوى الشطوط تمثل المستويات الأكثر انخفاضا في الحوض وتلعب دور المنخفضات أو الأحواض تربتها تتميز بمستوى عال من الملوحة بسبب التبخر الشديد.

2. الهيدروغرافيا و الهيدرولوجيا

المنطقة في مجملها منخفض تحول إلى حوض فسيح يتوسطه شكل منخفض طولي تتموضع فيه مجموعة من السبخات التي تمتلئ بالماء شتاء وهي في أغلب الظن المناطق التي سمحت بتكوين الواحات نظرا لقرب الماء من السطح. مما سمح بحفر قناة (سنة 1914) على طوله لتصريف المياه الزائدة نحو منطقة الشطوط (مروان و ملغيغ) بالاستفادة من الانحدار الموجود وهو المصرف الوحيد للمنطقة المحصورة بين العرق شرقا و الهضبة الحثيةغربا.

---

[1] **M M. ROUVILLOIS. BRIGOL** *« Oasis du Sahara algérien (études de photos – interprétations N° (64) »*. Institut géographique national Paris 1978 p 9.

[2] **M M. ROUVILLOIS. BRIGOL** : ibid. p 9.

المنطقة غنية جدا بمصادر المياه الجوفية إذ توجد أربع مستويات للمياه الجوفية في المنطقة و التي لها أهمية قصوى كونها المصدر الأساسي للمياه. الطبقات الجوفية وهي:

1. الطبقة العلوية: تتكون من الرمل والطين وهي على طول وادي ريغ ويمكن الوصول إلـــى الماء خلالها بعمق 1 إلى 8 أمتار حسب إرتفاع المكان والفصل.
2. طبقة ميوبليوسان: على عمق من 30 إلى 70م تدعى طبقة الرمال يرجع تكوينها إلى زمن بعيد وبفضلها تمت زراعة واحات النخيل في وادي ريغ وهي حتى الآن مصدر مياه السقي ملوحة مياهها من 3.5 إلى5 غ/ ل.
3. طبقة سينونيان: توجد على عمق يتراوح بين 100 إلى 200 مترا تدعى الطبقة الجيرية وهي الطبقة الأقل استغلالا.
4. طبقة الألبيان: وتوجد على عمق 1000 إلى 1700 مترا حوالي 1400 م في ضواحي مدينة تقرت مساحتها تقدر ب600.000 كلم2 وهذا الجيب المائي الكبير تكون عن طريق تغلغل مياه الأطلس الصحراوي حرارة مياهها بين 50° / 55 °. هي المورد المائي الأساسي لتزويد المدن والقرى في هذه المناطق اليوم.

3. المنـــــاخ

إن الميزة لأساسية لمناخ منطقة وادي ريغ هو الطابع الصحراوي الجاف، مع أن الإقليم يمثل شريطا رطبا في وسط صحراوي بفضل مياهه الجوفية القريبة من السطح. الحرارة السنوية المتوسطة تقارب 21.5 درجة مئوية مع تغيرات فصلية قوية تكون شديدة الإنخفاظ في شهري ديسمبر وجانفي ب 10 إلى12 درجة أما الدنيا ب 03 درجات مئوية تكون أشد ما عليه الحرارة في جو يليه وأوت ب32 إلى 33 درجة وأقصى ارتفاع ب 39.5 درجة. أما من جانب التشميس فعدد ساعات التشميس تقدر ب 3300 سا في السنة أقصاها في شهر جويليه ب 360 سا[1]. تسود المنطقة عدة أنواع من الرياح والرياح الرملية قد تصل سرعتها إلى 140 م / ثا تغمر المدن والقصور وتحجب الرؤية لعدة أيام وأكثر هذه الرياح تحدث بين شهري أفريل و ماي. تتميز منطقة وادي ريغ بتساقطات ضعيفة تقدر على العموم ب 58 مم والحد الأدنى قد يصل إلى 11مم سجلت سنة 1983 كما يكون أقصاها 146 مم.كما قد تسجل في فترات غير منتظمة فيضانات فجائية ، مثل الفيضان الكبير الذي مس منطقة المغير سنة 1968 وكان له تأثير كبير على واحات وادي ريغ.

[1] محطة الأرصاد الجوية بالمنطقة: سيدي مهدي ــ تقــرت (تحليل معطيات سنوات 1995 ــ 2000).

الجدول (1) : **التســـاقطات، الرطوبة والحرارة في مدينة تقرت قياسات سنة 2000**

الشهور	الرطوبة %	التساقطات		الحرارة ° م
		التساقطات ملم	عدد الأيام	
جانفي	62	4.1	4	11.2
فيفري	48	0	0	12.2
مارس	42	1.1	1	20.9
أفريل	42	0.1	1	20.6
ماي	39	0	0	26.4
جوان	32	0	0	31.9
جويليه	31	0	0	33.6
أوت	26	0	0	23.5
سبتمبر	48	4.7	4	30
أكتوبر	45	1	1	33.8
نوفمبر	58	1.5	1	23
ديسمبر	70	26.2	3	16.7
مجموع أو معدل	45	38.7	15	24.5

المصدر : 2001 Annuaire statistique de La wilaya de Ouargla

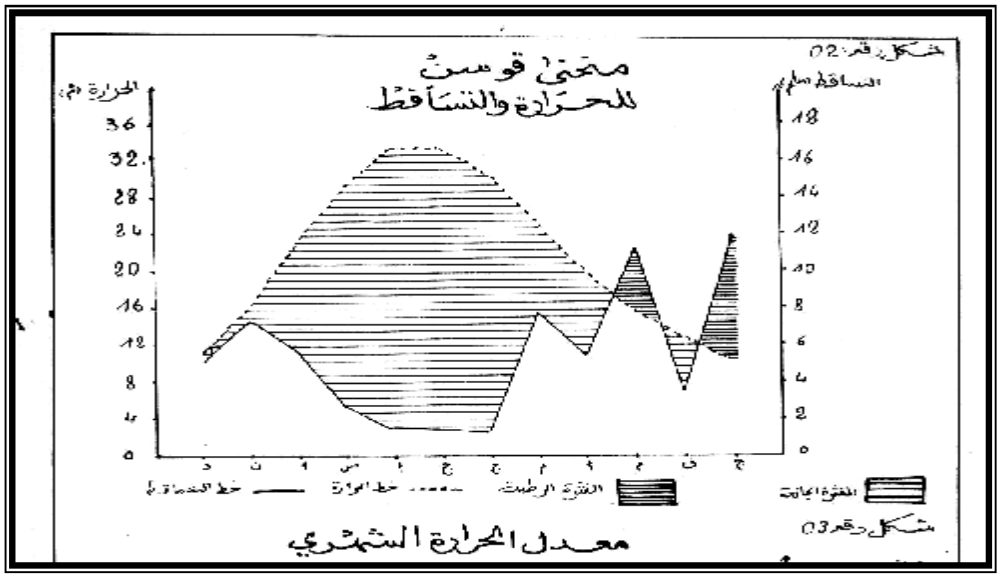

المصدر: إنجاز الطالب بالاعتماد على معطيات محطة الرصد الجوي - تقرت-

الشكل (3) منحنى الحرارة والتساقط في تقرت

2- بين التاريخ والأسطورة

تقرت البهجة، هي التسمية الحقيقية لتقرت حسب ما ترده الرويات الشعبية، قصة تأسيس المدينة يعرفها كل المسنين بهذه الرواية، التي تناقلها المؤرخون الفرنسيون في معظم كتاباتهم عن المدينة والمنطقة، طلبنا من أحدهم أن يقص علينا تلك الرواية كما أخذها **فيرو** من السكان، بشغف كبير يروي لنا عمي علي الرواية وعمره الآن تسعين سنة ووجدناها نفس الرواية التي نقلها فيرو

« ... *تأسيس مدينة تقرت الحالية يعود إلى امرأة تسمى البهجة، لشدة جمالها، كانت تسكن تالة أو تقرت القديمة التي كان موقعها قرب النزلة، وكانت تمارس البغاء، ولما علم أهل تالة وأزعجتهم ممارساتها قرروا طردها من تالة، فقامت ببناء "عشة" بجريد النخل في موقع خارج القرية في موضع تقرت الحالية ولحقها بعض من الشباب، ولما كان ولي صالح يمر بالمنطقة، سيدي بوجملين على ماتذكره الرواية ورفض سكان تالة الترحيب به واستقباله، فلجأ إلى عشة البهجة التي أكرمته وآوته، ولما غادرها، وضع يده على رأسها داعيا لها بأن تعمر عشتها وتصير عمرانا، ومنذ ذلك الوقت تحولت عشة البهجة إلى دار من الطوب وكثرت بقربها المنازل حتى تحولت إلى مدينة وسميت "* ***تقرت البهجة*** *" وغلب عمرانها تالة التي اندثرت. وحتى اسم تقرت التي تعني بالبربرية حسب روايات سكان المنطقة من الذين مايزالون يتكلمون الشلحية في بلدة عمر قرب تقرت، يؤكدون أن كلمة تقرت تعني عندهم القمر "ثاوورث". ربما كان ذلك وصف لجمال تلك المرأة. أو الباب "ثابوورث" وهو المدخل إلى العمران أو العمارة قوة هذه الرواية الأسطورية في كونها تؤسس لمدينة تقرت الرعاية والحماية من ولي من الأولياء الصالحين.*

إن قلة المصادر المكتوبة التي تطرقت لمنطقة وادي ريغ، خاصة تلك التي يمكن أن تمدنا بمعلومات عن المجتمع المحلي وتكوينه، جعلت من الصعوبة تصور ما كانت عليه في تاريخها، أغلب ما يتوفر حول هذا التاريخ اعتمد على أخبار الرحالة التي جاءت كمقتطفات دونوها في أخبارهم ورحلاتهم أمثال (ابن خلدون، العياشي، الأغواطي، العدواني) وهي المصادر التي اعتمدها المؤرخون والعسكريون الفرنسيون في مراجعهم أمثال (شارل فيرو) الذي زار المنطقة في1852 كما أن أغلبها ركز على فترة ارتباط المنطقة بما يدور في المغرب الإسلامي وبالأخص فترة حكم مشايخ بني جلاب في المنطقة فترة الحكم المحلي. هذه الأخبار و الكتابات الأوروبية، وغيرها شكلت في الأخير تصورات متعددة [1] حول المجال الصحراوي على العموم وفهمه وتمثله.

الذاكرة الشعبية لسكان وادي ريغ تحتفظ برصيد هام من الروايات الشفوية و الأساطير التي لها دلالتها في الرمزية التاريخية والثقافية لمنطقة وادي ريغ، وردت العديد من الروايات التي تقص إنشاء القصور ودور الأولياء الصالحين في حفظ هذه القصور. كل هذه المصادر والمراجع تؤلف مقتضبات متفرقة ومتناقضة أحيانا .

---

[1] **نذير معروف**: *المخيال التاريخي بين التخمين والحقائق أو مسألة المصادر: حول الاستقرار البشري في الوسط الصحراوي*. في **إنسانيات**، المجلة الجزائرية في الأنتربولوجية والعلوم الاجتماعية، عدد 2 خريف 1997. ص 162.

1. قديمـــــــــا،أصل ريغة

يبدوا أن من مثل سكان المنطقة في التاريخ القديم من "الشعوب" الزنجية والأثيوبية، والـــذين عاشوا على الحدود الجنوبية لليبيا، التي أخذت حدودها على حواف وادي جدي (نيقري) Nigris «وادي جدي حاليا"، هذه الشعوب من المؤكد عند أغلب المؤرخين[1] أن أصولها هجرات من أثيوبيـــا والسودان يؤكد ذلك خط الواحات المتجه شرق / غرب، هؤلاء **الجيتول** الذين تحدث عنهم الرومان، هم أقدم ما عرف من سكان في المنطقة، وهم الأجداد الأوائل لسكان الصحراء[2].

ترك المؤرخون القدمـــاء معلـــومات رغم قلتها، أثارت اســتنباطات و صـــياغات عديـــدة أحاطت بها، تثبت ثراء و عراقة هذه المجتمعات و تؤكد بأن المنطقة كانت مأهولة بالسكان منذ فجر تاريخ الإنسان، نظرا لما تتوفر عليه من موارد طبيعية تؤهل الإنســـان للاستقرار بها ومن أهـــم هذه المواد على الإطلاق عنصر الماء الذي كان يسيح على سطح الأرض متمثلا في البحيرات المنتشرة وحتى الآن قي منخفض وادي ريغ. البدو الجيتول الأجداد القدامى لأهل الصحراء كانوا يجوبون الهضاب والصحاري غير القابلة للزراعة [3].

حوالي القرن السابع قبل الميلاد في العهد الفينيقي، وإن كانت دولتهم لم تؤلف سوى إقليم ضيق لاتجاهها نحو البحر، كان لا يزال أهل الصحراء يمارسون صيد الأفيال (كان الفينيقيون يملكـــون منها قطعانا يزيد عدد الواحد منها على 300 فيل) كان هؤلاء الصيادين يجوبون المناطق الرطبـــة مثل وادي ريغ . كما أستعمل الفينيقيون من الصحراء جنودا في حروبهم، كما نلمس العديـــد مـــن الدلائل على هذه العلاقات من البقايا التي وجدت على طريق التجار الذين قادوا القوافل حتى النيجر جنوبا، من هذه البقايا المؤكدة وجدت على شكل قطع ذهبية على طريق التجار قرب منطقة الحجيرة [4].

لم يحتل الرومان هذه المناطق في توسعاتهم، بل اكتفوا بتسيير دوريات لحراسة وتفقـــد طـــرق التجارة، قاموا ببناء بعض الأبراج في منطقة الزاب (حدود التوسع الروماني تتبع تقريبـــا مجـــرى وادي جدي) إذ لم يعثر على آثار رومانية في المنطقة. الذاكرة الشعبية المحلية مازالت تحتفظ بذكر جيوش الرومان(جمع **فيروا** بعض الروايات عن جيش الرومان الذي قضى عليه البدو قرب" تمرنة " 50 كلم شمال مدينة تقـــرت و جيشا آخر غرق في مستنقعات تماسين 10 كلم جنوب تقـــرت.[5]

---

[1] **P. PASSAGER** « *Ouargla (Sahara de constantinois) Etude historique géographique et médicale – arch institut* » Pasteur d'Algérie T 35. 1957 pp 99.200.

[2] **Alain ROMEY** « *Histoire Mémoire et société l'exemple de N'goussa Oasis –berbérophone du Sahara (Ouargla),* l'HARMATTTAN-AWAL 1992. p21.

[3] **Alain ROMEY** .idem . p21 22.

[4] منطقة الحجيرة على بعد حوالي 70 كلم جنوب مدينة تقرت، المكان الأصلي لقبائل سعيد أولاد عمر وهم على الأرجح جزء من القبيلة المعروفة في ورقلة، سعيد عتبة.

[5] **Féraud (L .CH)** « *les Ben – Djellab, sultans de Touggourt ; Notes historiques sur la province de Constantine* ; in Revue africaine N° 23 1879 p 59-60.

وجدت تجمعات اليهود منذ القديم في هذه المناطق والصحراء عموما، يتحدث سترابون Strabon عن مجموعات يهودية تجارية وزراعية استقرت منذ القرن الثاني الميلادي كان لها دور بارز في تمويل القوافل التجارية التي جابت الصحراء، وكان موقع تقرت على أهم خطوط تلك القوافل والتي كان بفضلها ازدهار المنطقة باتصالها بالجنوب الواسع حتى النيجر والسودان الغربي والشمال حتى الساحل المتوسطي و الشرق حتى بلاد النيل والنوبة والغرب حتى الساقية الحمراء.

إن أقوال المؤرخين الجغرافيين القدماء تثبت هذا مثل **ابن سعيد**[1] حيث يقول: (... وفي *شرقها بلاد ريغ طولها نحو خمسة أيام و هي بلاد نخل و محمضات ومياه تنبع على وجه الأرض فيصعد الماء كالسهم إلى أمد طويل ويسيم في المزارع*).أو **ابن خلدون**[2] في حديثه عن استقرار قبيلة ريغة وفي الأسباب التي دفعتهم إلى اللجوء والاحتماء بهذه المنطقة:
« ... و أما بنو ريغة فكانوا أحياء متعددة ... ونزل أيضا الكثير منهم ما بين قصور الزاب و واركلا، فاختطوا قرى كثيرة في عدوة واد ينحدر من الغرب إلى الشرق ويشتمل على المصر الكبير و القرية المتوسطة ... وكثر في قصورها العمران من ريغة هؤلاء ومن بني سنجاس وبني يفرن وغيرهم من قبائل زناتة ... .»

هذه المعطيات أكدتها كتب الرحالة و المستكشفين الأوربيين مع مطلع القرن التاسع عشر. قبيلة ريغة أو بني ريغة، والتي ذكرها **ابن خلدون**، فرع من العائلة البربرية الكبرى زناتة والتي أعطت اسمها للإقليم، تكون قد هاجرت إلى الإقليم في حدود القرن الخامس الميلادي. هذه المجموعة كما أكد أيضا هي التي عمرت القصور وزرعت النخيل. يذكر " **فيرو**" أن الرواغة سكان المنطقة هم نتاج التمازج العرقي بين الزنوج القدامى في المنطقة وبربر زناتة القادمين من الشمال تحت وطأة صراعاتهم الداخلية وضغط الرومان[3]. أما كتاب العدواني والذي ألفه صاحبه بالمنطقة يذكر أن أول من سكن المنطقة هم يهود، ويذكر أنهم من عقب هاجوج بن نكران سكان خيبر القدماء، ويضيف أن اليهود الذين يسكنون القصور في الصحراء ينحدرون من بني عبد الدار أبناء قصي، وفي موضع آخر يقول:
"... *القصور بطولها وعرضها مسكونة باليهود والنصارى...*"[4]

---

[1] **ابن سعيد (علي بن موسى)** « *كتاب الجغرافيا* » ، تحقيق إسماعيل العربي، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر 1970 ص 190.

[2] **ابن خلدون (عبد الرحمان)**:« *كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر* » ، الطبعة الثانية، بيروت 1921 المجلد السابع.ص 96.

[3] **Féraud (L .CH)**58 المرجع السابق ص

[4] **Féraud (L .CH)**: *« Kitab el Adouani ou recueil des traditions sur le sahara de Constantine et de Tunis* »; Société archéologique de Constantine. 1868. p 112.

2. العرب الفاتحون !

في النصف الثاني من القرن السابع يحل عقبة بن نافع على رأس جيش الفتح الإسلامي، مع الأخذ في الاعتبار أنه لم يصل إلى المنطقة، و هنا تبرز رواية أسطورية نقلها **فيرو** عن سكان المنطقة، من أن سيدي عقبة يكلف أحد أبرز قادته والمسمى "حسان" بالتولي على الإقليم بين الزاب وورقلة أي منطقة وادي ريغ، هي رواية يذكرها بعض الأهالي قصد إعطاء محتوى عربي إسلامي للاسم الذي يطلق على فلاحي النخيل من أهالي المنطقة ذوي ملامح البشرة السوداء بانتسابهم إلى حسان هذا بعد أن ترف الاسم إلى "رجال الحشان" وهو الاسم الذي يطلق حاليا على السكان "الأصليين" بوادي ريغ، كل سنة يقيم السكان حضرة "رجال الحشان" في موسم جني التمور الخريف، وهي عادة صوفية تعود إلى القرن الحادي عشر كما أكد لنا المشرفون على تنظيمها كل عام.هذه الرواية قد تكون محاولة للانتساب إلى العنصر العربي الإسلامي الغالب من طرف السكان القدامى بعد الفتح العربي " الاحتفال السنوي في الذي يقام في موسم التمور بالذات يؤكد ذلك. في هذه المرحلة المبكرة من الفتح لم يكن التأثير العربي كبيرا، لكنه سرعان ما يتعمق ويتأكد مع الغزو الهلالي في القرن التاسع الميلادي بحلول قبائل عديدة استوطنت المنطقة هي في أغلب ضن المؤرخين التي تؤلف العنصر العربي من بدو المنطقة.

يتأثر وادي ريغ بالإباضية إذ قبل استقرارهم في سدراتة هربا بمذهبهم بعد سقوط دولة الرستميين كانت لهم محطات في وادي ريغ وذلك بين القرن العاشر والحادي عشر، كثير من القرى والقصور في وادي ريغ تنتسب إلى هذه المرحلة من التأثير الإباضي، مدينة "جالو" قرب قوق حاليا 20 كلم شمال تقرت وقد ترك المذهب الإباضي بصمات واضحة في الإقليم نجده خاصة في أسلوب البناء وفي تخطيط المساجد وحتى في بعض العادات والتقاليد، وفي سيطرتهم على القوافل التجارية، بقي الأباضيين يسيطرون على الطريق التجاري بين ورقلة وقفصة حتى بداية القرن العاشر بالرغم من حصار الفاطميين لهم في مناطق أخرى، وتوسع الحماديين مما يدل على تأثيرهم العميق على منطقة وادي ريغ الواقعة في هذا المسلك[1]. في فترة الموجات الهلالية كانت قصور وادي ريغ قد مرت إلى سلطة الحماديين وعاصمتهم في الحضنة، في حدود القرن العاشر الميلادي. إذ قام أحد سلاطينهم وهو" الناصر " بتنظيم حملات على المنطقة لطرد الخوارج من سدراتة في طريقه يحطم العديد من قصور وادي ريغ ، وبعده تخضع المنطقة لبني غانية الذين حاربوا الإباضيين أيضا.

إبتداءا من القرن الثالث عشر تخضع المنطقة للحفصيين عن طريق " المزني " حاكمهم في الزاب الذي يتنقل في مقر ولايته بين بسكرة و"المقارين" (قرية 6 كلم شمال تقرت)، ثم يقع حكم تقرت في يد أسرة يوسف بن عبيد الله، وتماسين[2] قربها التي تتوسع هي الأخرى وتتحول إلى مدينة تحت سلطة أسرة بني إبراهيم وهي أسرة محلية من الرواغة[3]. الروايات المحلية تحكي كثيرا عن النزاعات والصراعات والحروب بين المدينتين تقرت وتماسين. وتبقى هذه الفترة

---

[1] **Alain ROMEY** ibid , p30 .

[2] تماسين مدينة تاريخية أيظا 10 كلم جنوب تقرت تشتهر بكونها ثاني مقر للزاوية التيجانية.

[3] **P. PASSAGER** ibid. **;** p 102 **.**

مطبوعة بالصراعات بين القصور المتجاورة تحركها في الغالب مسائل النزاع علـــى الأرض أو مصادر المياه لعب فيها الجانب المذهبي والديني أهمية كبرى. ويذكر **ابن خلدون** أن هذه القصور والمدن كانت مستقلة عن بعضها البعض . وكانت بعض القصور في أحيان عديدة تستنجد بالبدو في تحالفات مؤقتة ضد جاراتها من القصور. وتدخل المنطقة نتيجة هذه الصراعات في فوضـــى كبيرة وعدم استقرار كان أثره تدميريا على الواحات.

موقع منطقة وادي ريغ أهلها لأن تصبح محطة هامة في طريق قوافل الحجاج القادمين مـــن المغرب الأقصى نحو الحجاز، في أحد هذه القوافل يحل على المنطقة رجل صالح سوف يؤثر تأثيرا واضحا في تاريخها إبتداءا من القرن الرابع عشر الميلادي، هو الشريف سيدي أمحمد بـــن يحـــي الإدريسي والذي ما زال ذكره حيا بين أهالي المنطقة إذ يعتبره السكان أعظم ولـــي صـــالح بهـــا، والذي نشر المذهب المالكي بالمنطقة بعد أن بقيت ولمدة طويلة تحت تأثير الخوارج الإباضية، بعـــد رحلاته للحج يستقر الرجل في المنطقة (في موقع ضريحه حاليا قرب غابة النخيل علـــى حـــواف النزلة أقدم قصور تقـــرت)وهي ميدان دراستنا.

سلطة هذا الرجل الروحية تدوم حوالي الأربعين سنة، يقضيها زاهدا وداعيا وهو من يؤسس أول مجلس جامع لأعيان القصور المجاورة إذ سميت أغلب قصـــور وادي ريـــغ بأســـماء هـــؤلاء الصالحين الذين ألف بهم المجلس، سيدي راشد، سيدي سليمان، سيدي خليل، سيدي عبـــد الســـلام، سيدي فتيته، سيدي بن هارون ... وغيرهم. على يده تتوحد البلاد وتهدأ الصراعات ويلعـــب هـــذا المجلس دور بارز في حل النزاعات وفض الخلافات بين السكان، كما كان اعتناق الأغلبية للمذهب المالكي سبب هام في هدوء الصراعات . وأيضا ترتيب مسائل توزيع مياه السقي بين الفلاحين، كما عقد المصالحات بين القصور والبدو من رحمان وسلمية ودرايسة وأولاد مولات وسعيد أولاد عمر والشعامبة ووادي سوف ... يشتهر هذا الرجل باسم « سلطان البلاد[1] " مازال ضريحه يزار حتـــى اليوم خاصة عند السكان المحليين الحشاشنة وتدخل زيارته في طقوس الزواج إذ يطلب العروســـين بركته قبل الدخول، هذه الزيارة الأساسية قد تبناها العديد من الفآت الأخرى مـــن غيـــر الحشاشـــنة وأصبحت من أبرز طقوس الزواج حاليا.

3. تقرت عاصمة وادي ريغ، عهد "الدولة" المحلية

يحل رجل آخر لا يقل تأثيره في تاريخ المنطقة عن الأول، يذكر العدواني[2]:

« *أن رجلا من أسرة بني مرين حكام المغرب الأقصى كان معتادا الحج إلى مكة المكرمة كل سنة، في طريقه نحوها يمر بوادي ريغ أين كان يبيع السلع الفائضة عن حاجته، وبإلحـــاح مـــن ســـكان المنطقة الذين طلبوا منه الإقامة بينهم، فجاء بكل أسرته وجلب معه أمواله وثروته واستقر في وادي* ريغ » هذا الرجل هو الحاج سليمان بن رجب المريني الزناتي الجلابي.و تذكر الروايات أن في سنة 1431 م تحل بالبلاد مجاعة عظيمة تؤثر على السكان الفقراء الذين استنجدوا بالحاج ســـليمان لإقراضهم حتى أنهم قد اضطروا لبيع أبناءهم ولما تثاقلت الديون عليهم، عرض السكان على هـــذا الرجل أن يحكمهم، ومن المشهور وغير المدون أنه اتفق مع سيدي امحمد بن يحي لتسليمه الحكـــم

[1] يقصد بكلمة السلطان هنا السلطة الروحية وليس سلطة زمنية، ما يزال أهل تقرت والنزلة يذكرون هذا الولي الصالح بهذا النعت.

[2] **L ch. FERAUD,** Ibid P 165-167.

بالمنطقة على أن يتخلى عن ديونه ويحترم الأعيان ورؤساء القبائل، بذلك تبدأ سلطة بي جلاب في المنطقة 1450 م، واستمرت هذه السلطة في عقبه أربعة قرون ونصف حتى دخول الاستعمار الفرنسي عام 1854م. وتوسعت سلطتهم إلى نفطة (بتونس) شرقا وأولاد جلال غربا، ازدهرت المدينة تقرت في عهدهم وزاد عمرانها وبنيت أهم معالمها، كما قاموا بجلب الحرفيين والصناع والنحاتين من تونس ونفطة وتوزر والكاف ومن التل الجزائري. من الأعمال الأساسية التي يقوم بها سليمان الجلابي لتثبيت حكمه هو التحالف مع القبائل البدوية خاصة قبيلة " الدواودة " الشهيرة والقوية وهي في الأصل اتحاد قبائل عربية مستقلة تهيمن على الزاب والحضنة خاضعة لسلطة أسرة بوعكاز. في عهد سليمان الجلابي كان على رأس الدواودة محمد الصخري الذي أخذ لقب شيخ العرب عام 1431م، هذا الشيخ يتزوج ابنة الحاج الجلابي تأكيدا لهذا التحالف[1]. قي 1528 عندما يتم تنظيم بايليك الشرق بقسنطينة، يصبح من أولويات بايلته توسيع السلطة العثمانية جنوبا والسيطرة على طرق التجارة، ويصبح الجلابي وشيخ العرب من أهم وكلاء السلطة العثمانية في الجنوب.

لكن هذه الوكالة تصدم بمحاولات استقلالية متلاحقة لهذه المشيخة المحلية، في 1552 سكان تقرت وجيرانهم في ورقلة يمتنعون عن دفع الضرائب الثقيلة للأتراك مما يجر عليهم حملة صالح رايس باي قسنطينة على رأس 3000 رجل وألف فارس وآلاف المتطوعين من البدو وجرجرة مجهزين بمدفعين، يحاصر المدينة المحصنة بسور ثلاثة أيام ثم يدخلها، وبعد نهبها يفرض الضريبة (15 من العبيد)، هذه الملة تتبع بحملات أخرى متتابعة لنفس الأسباب، 1647 حملة يوسف باشا، 1771 حملة صالح باي، 1818 حملة أحمد المملوك. كانت آثار هذه الحملات وخيمة على سكان المدينة تقرت ونواحيها، دمرت واحات النخيل وشردت السكان، وكثرة الضرائب والمغارم على السكان الفقراء التي فرضها بنو جلاب والسلطة العثمانية معا وحتى الخيالة العرب لهم نصيبهم. أحد سكان المنطقة يحتفظ بهذه الأنشودة القديمة التي تصور واقع تلك الحقبة على السكان يقول:

« غني غني *يا حمامة دين باهودة ولا غرامة الجلابة* » .

لا يتسع المقام لذكر سيرة 35 سلطانا من حكام بني جلاب، تكفي الإشارة إلى بعضهم والذين ارتبط عهدهم بحوادث هامة خاصة الحوادث الدامية التي طبعت حكمهم واشتهروا بها من تناحر على السلطة واغتيالات في الأسرة الحاكمة، علي الأعور الذي هاجم ورقلة، سليمان الذي اغتيل 1729، محمد الأكحل الذي يجبر اليهود في المدينة على اعتناق الإسلام، إبراهيم بنى الجامع الكبير 1220 هـ، عامر زوج السلطانة عيشوش ، علي الكبير أخوه الذي اغتاله 1831 و آخرهم سلمان بن على الكبير الذي بقي حتى دخول الفرنسيين[2] .

لعبت المرأة أيضا دورا بارزا في التاريخ المحلي سواء في الأساطير أو الحكايات المحلية أو في التاريخ السياسي، ابتداء من أسطورة البهجة المعروفة عند السكان والتي أعطت اسمها لمدينة تقرت "البهجة"، التي ذكرناها في رواية تأسيس المدينة. أربعة أخريات بقين مشهورات في تاريخ المنطقة، أم هاني (شيخ العرب المرأة بنت أحد بايات بايليك الشرق وأمها جارية أسبانية حملت لقب شيخ العرب للدواودة في حدود نهاية القرن 17 م، للثأر لمقتل أخيها تقوم بقتل زوجها شيخ الدواودة وحليفه سلطان تقرت وتسلم الحكم في تقرت لأمير جلابي محمد الأكحل الذي اشتهر بالسكر

---

[1] **L ch. FERAUD,** ibid p

[2] **L ch. FERAUD**, ibid. p

والعربدة والذي تزوج بيهودية تسمى "زمينة" بعد أن أسرها من ضواحي تقـــرت والتـــي تعتنـــق الإسلام وتقترح على زوجها محمد الأكحل فرض الإسلام على أهلها من اليهود في المدينـــة. فـــي نهاية القرن 18 جارية أخرى مغربية حسب الروايات تسمى مريم من أجلها يتأجج الصـــراع بـــين تقـــرت وتماسين، وأشهرهن على الإطلاق لالا عيشوش 1833ـــ 1840 م من عائلة بن قانـــا حلفاء الأتراك و زوجة السلطان عامر الجلابي تصل إلى سدة الحكم في تقـــرت اشتهرت بالفروسية و لضمان الحكم لولدها عبد الرحمان قتلت أخوه على الكبير بالسم الذي هو بدوره كان قد قتل أخوه إبراهيم قبل ذلك للتولي بدله، ونهاية هذه المرأة تكون محزنة أيضا إذ بعد كبر سنها يختطفهـــا أولاد مولات البدو بأمر من سلمان الجلابي آخر سلاطين بني جلاب وتسلم للمجاهرية أين تدفن حية[1].

[1] **P. PASSAGER :** ibid p 121.

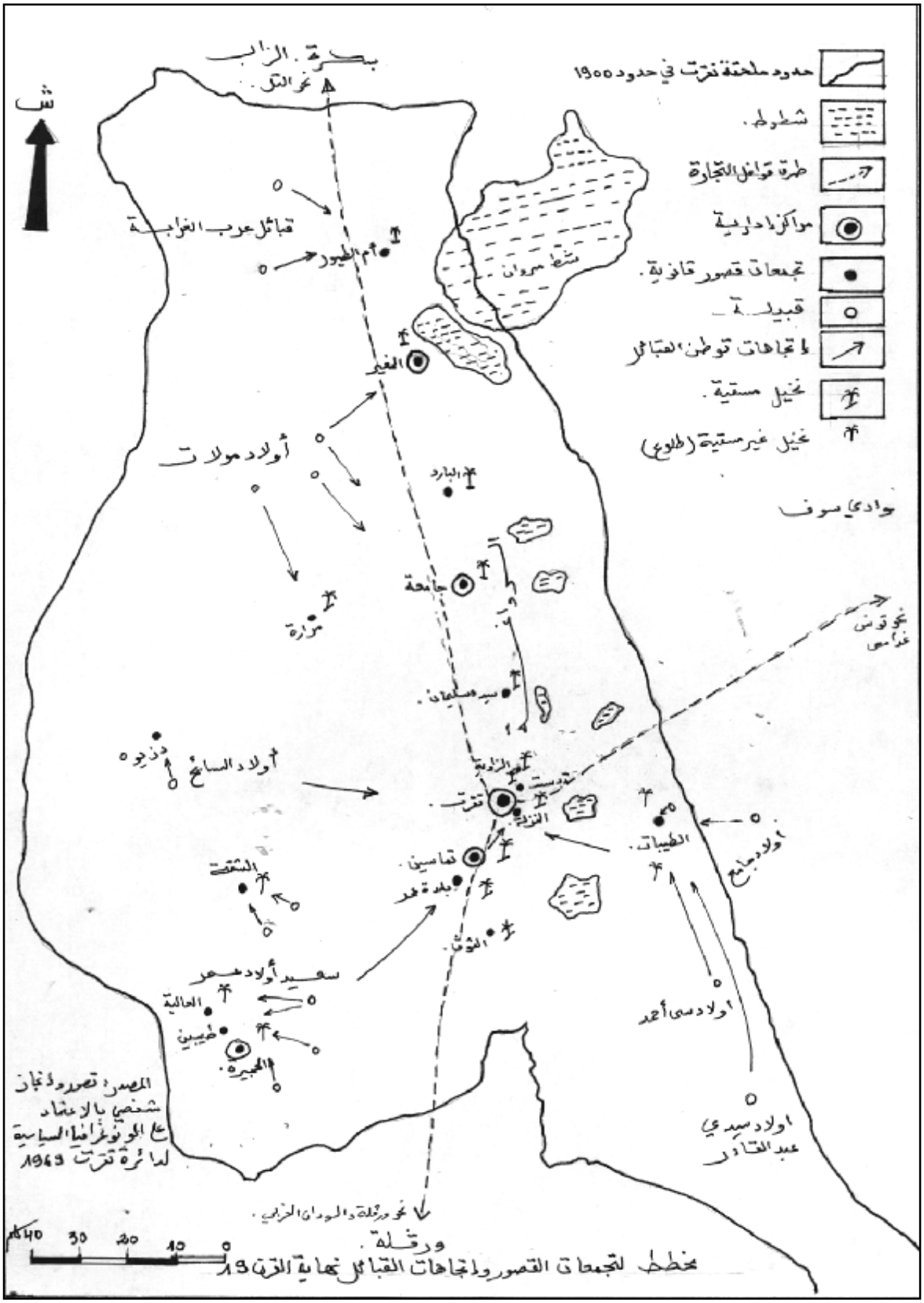

الشكل (4) مخطط لتجمعات القصور واتجاهات القبائل نهاية القرن 19م

4. الاحتلال الفرنسي

في1830 الداي حسين يرسل في طلب المعونة من الداخل لمواجهة الفرنسيين الذين حلوا بسيدي فرج، سلاطين تقرت والدواودة البدو لم يستجيبوا لهذا النداء، وأكثر من ذلك في 1831 وفي 1833و34 بعد سقوط عنابة وبجاية في أيدي الفرنسيين 1837 سلاطين تقرت الجلابيين، علي الكبير ثم عيشوش وحتى شيخ العرب فرحات يحاولون التعاقد مع الفرنسيين للإطاحة بباي قسنطينة الحاج أحمد باي ، الذي احتاط للأمر وغير سلطتهم بتعيين أسرة بن قانة حلفاؤه وأصهاره على منطقة الزاب ووادي ريغ ، وحتى السلطات الفرنسية لم تقبل بعروض سلاطين تقرت[1].

في 1844 بعد سقوط بسكرة على يد الدوق" دومال"، يسارع السلطان عبد الرحمان الجلابي (بن عيشوش) للاعتراف بالسلطة الفرنسية ويقدم ضريبة 20.000 فرنك، بعد أربع سنوات فرنسا لم تتهيأ بعد للزحف على وادي ريغ.السلطان عبد الرحمان يغزو تماسين المجاورة ووادي سوف ويطلب معونة الفرنسيين الذين يردون بالرفض . ثم يتوفى في 1852 ويخلفه ابنه عبد القادر وكان سنه صغير لا يسمح له بإدارة الحكم في هذه الأوقات الحرجة، فيقوم الفرنسيون مؤقتا بتولية أحمد بن الهادي بن قانة على وادي ريغ، ونظرا لسمعة هذه الأسرة السيئة في نظر سكان وادي ريغ يرفض الأهالي الخضوع لهذه السلطة ويؤيدون سلمان الجلابي بن علي الكبير الذي يتحالف مع لشريف محمد بن عبد الله الذي أعلن الثورة على الفرنسيين منذ 1851 في نواحي ورقلة من أسرة أولاد سيدي الشيخ، محاولا توسيع حركته بحث أهالي تقرت على جهاد الفرنسيين. نتيجة تطور هذه الأحداث تقوم فرنسا بتجهيز قواتها في 11 نوفمبر 1854 في ضواحي بسكرة تحت قيادة الكولونيل "ديسفو" وتتجه نحو المنطقة معسكرة في لمقارين (واحة قرب تقرت) أين تلاقي مقاومة من أهالي تقرت بقيادة سلمان الجلابي والشريف ممد بن عبد الله بمساعدة أهالي سوف، وبعد هزيمة المقاومين يدخل القائد مارني مدينة تقرت في 05 ديسمبر 1854 معلنا نهاية حكم بني جلاب وبداية الإحتلال الفرنسي لهذه المنطقة التي تشهد انتفاضة جديدة في 1871 ضمن ثورة بوشوشة تتزامن مع ثورة المقراني في بلاد القبائل وتمتد إلى الجنوب.

تبقى المنطقة تحت الحكم العسكري الفرنسي، وتصبح في هذا العهد من أهم مناطق الجنوب. تحت نفوذ عائلة أولاد بن قانة ملحقى بالزيبان، في 1892 تقسم إلى أعراش، قيادة تقرت، قيادة طيبات أولاد السايح، قيادة سعيد أولاد عمر، قيادة أولاد مولات، قيادة عرب الغرابة، قيادة المقارين وتمرنة. قانون 24 ديسمبر1902 يقرر التنظيم الجديد للصحراء، تحت الحكم العسكري الفرنسي وتقسم الصحراء إلى أقاليم عسكرية حسب المرسوم لسنة 1905 ينشأ بموجبه الإقليم العسكري لمنطقة تقرت يؤسس المكاتب العربية، في 13 جوان 1975 تنشأ وزارة خاصة بالصحراء الجزائرية وفي 07 أوت 1957 تؤسس ولاية الواحات والساورة، وتصبح تقرت نيابة عمالة SOUS PREFECTURE، تظم كل من المغير، جامعة، تقرت، الطيبات، الحجيرة، العلية. من المشاريع الهامة التي حولت المنطقة في العهد الفرنسي مد خط السكك الحديدية سنة 1914 الذي يصل إلى تقرت وينتهي عندها وبه تتحول المنطقة إلى ورشة مشاريع استعمارية كبيرة في واحات

[1] **Féraud** ibid. p 71

النخيل ونقل المحروقات بعد اكتشاف البترول سنة 1956 بحاسي مسعود، ومشاريع لم تنجز مثــل مشروع بحيرة الجنوب الذي بقي في الدراسة.

الفصل الأول

النسق المجالي التقليدي في وادي ريغ وتحولاته.

(دراسة مونوغرافية)

1. شبكة القصور والمدن التاريخية في وادي ريغ نشأتها وظائفها.
2. الهيكلة الاجتماعية والحياة في المدينة التاريخية.
3. التحولات وأشكال الاندماج في المجمع الوطني العام.

مقدمة

قبل التطرق إلى موضوعنا المتعلق أساسا بفهم الحاضر الاجتماعي والعمراني اليوم، وبما أن قناعتنا والتي تبلورت من خلال معايشتنا للمدينة تقرت وإطلاعنا على الكثير من البحوث والكتابات حول المنطقة ومدن الصحراء بالخصوص، وهي أن هذه المدن مرتبطة بالتاريخ بشكل أساسي، لقد نشأت وتطورت مع التراكمات التاريخية والحركات البشرية وأيضا وبدرجة هامة بالبيئة المحلية ذات الطابع الصحراوي الجاف والذي فرض ويفرض على المدن شكلها ومورفولوجيتها وطريقة عيشها، لهذا فإننا في هذا الفصل من الدراسة رأينا أنه من الضروري فهم المنطق العمراني والاجتماعي الذي قامت عليه المدن والقصور في الماضي، ثم وفي الجزء الثاني من الفصل أدرجنا التحولات التي طرأت على المجال الصحراوي وفي مدينة تقرت بالذات ومجال دراستنا الميدانية النزلة بالأخص، هذه التحولات وما صاحبها من إن قطاعات مع النسق التقليدي المحلي وإستمراريات، هذا الفصل رأينا أن يكون في شكل مونوغرافيا شاملة سمحنا لأنفسنا بأن نتخطى شكليا مجال الدراسة الضيق إلى المجال الأوسع والكفيل برسم صورة شاملة تجعل الحاضر العمراني والاجتماعي والثقافي النوعي في مجال دراستنا النزلة يبدوا أكثر وضوحا.

استعملنا في مقاربتنا لهذا الفصل كل مصادر المعلومات التي توفرت لدينا، المصادر الشفوية التي أفادنا بها المسنون خاصة في المنطقة والعارفين بأساليب وتقنيات البناء التقليدية، كما استفدنا من الكثير من الدراسات التي قام بها الفرنسيون في المنطقة من تقارير للعسكريين وغيرهم مع نقدها تحفظا من درجة دقة فهمهم للواقع الذي حاولوا تصويره ونقله وهم القادمون من ثقافة غير التي كتبوا عنها، ركزنا أيضا على المصادر الإحصائية التي تبرز مدى وعمق التحولات التي شهدتها المنطقة بعد الاستقلال في أشكال الاندماج في المجتمع الوطني العام.

1. شبكة القصور والمدن التاريخية في وادي ريغ نشأتها وظائفها

1. المنطق المجالي التقليدي

العمران في الصحراء قديم قدم المجتمعات التي استوطنت الصحراء. يتطلب الأمر منا نظرة لاستخراج الديناميكية التي طبعته في الماضي والمنطق الذي بني عليه المجال بصفة عامة، قد

يساعدنا هذا في فهم الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي كان يؤويها هذا العمران الذي هو في الأصل نتاج ثقافي مادي لهذا المجتمع.

يتميزالعمران منذ القديم بتركز كبير في الكتل الرئيسية، التي تتفرع إلى مراكز صغيرة، تتحكم في وجودها ووظائفها عوامل الطبيعة الخاصة بهذه المنطقة المطبوعة بتركز نقاط الماء، العنصر الأساسي في أي استقرار في هذه المناطق. تتوجب الإجابة على تساؤلات من قبيل النشاطات التي طالما وقفت وراء هذه التركزات الحضرية في الماضي والمنطق المجالي الذي نظم هذه القصور والمدن، وعلاقاتها مع عالم البدو الذي لعب ويلعب دورا هاما في نشاطات هذه المجالات وفي عمرانيتها. سنحاول تقديم المنطقة من خلال تاريخها العمراني، ووظائف القصور والمدن حتى نضع مجال دراستنا (النزلة) في مجاله الحقيقي داخل مدينة تقرت التي بدورها هي جزء من شبكة حضرية متكاملة على طول وادي ريغ.
من خلال تمقطبات متغيرة، المجال في الصحراء تأثر بالتاريخ بدرجة كبيرة. إن المعطيات البيئية والإيكولوجية والعوامل الجغرافية، ودرجة الثبات السياسي، والتقسيمات الجهوية للأقاليم وأيضا شكل المسار الاقتصادي، وعادات الهجرة وحركات الرحل، كلها عوامل شكلت المجال في الصحراء. يتحتم لفهم ذلك ربط الخصوصية المحلية جغرافيا وبيئيا بالبيئة الجهوية لكل منطقة الشمال الشرقي للصحراء الجزائرية.

مع تبلور دور قوافل التجارة التي تجوب الصحراء تتطور المدن في الصحراء و تجذب اهتمام الرحالة الجغرافيين القدامى، **ابن سعيد، البكري، الإدريسي**. بتموقع المدن والقصور على محاور الاتصال، شمال / جنوب و شرق / غرب، تبرز أهميتها التاريخية منذ حوالي القرن العاشر حتى القرن التاسع عشر، كمحطات لربط قوافل التجارة[1] مما يفسر المسافات بينها و التي تدل على مرحل مسيرة قوافل. كما كان للصراعات الدينية والاثنية التي وقعت في تاريخ الصحراء دور كبير في السيطرة على هذه المحاور التجارية و توجيهها. لكن وجود المدن والقصور لا يعود فقط إلى هذه الوظيفة، كمناطق ربط لطرق التجارة، هي تظم أيضا سكانا مستقرين حضريين تربطهم علاقات وطيدة مع القبائل البدوية، و الرحل المحيطين بهم يعيشون باستغلال زراعة النخيل، مميزاتهم المجالية والاقتصادية والاجتماعية تجعل مهم تجمعات أصيلة ذات تقاليد حضرية عريقة مثل مجتمع الحشاشنة الفلاحي في النزلة مجال دراستنا الميدانية.

تظهر الميزة الأولى لهؤلاء السكان في تنظيمهم للمجال وطرق استغلالهم للمحيط، في شكل تجمعات ترصفت على طول الوديان في شكل سبحاتchapelets ، فالشكل العام الذي يأخذه كل تجمع مستقر في الصحراء عموما هو القصر الصحراوي " Ksar " والذي هو بالتعريف قرية تقليدية صحراوية[2] ، هذا التجمع من البنايات السكنية المحمية ذو الحجم المتغير تتطور حوله واحة نخيل يعيش من أجلها وتعيش من أجله. تتمايز هذه التجمعات نوعيا بحيث تسمح الظروف لإحداها بالتطور و البروز، ويبدأ بذلك التصنيف بين " القصر القرية " و " القصر المدينة " بهذا التدرج تبدأ شبكة في التشكل، شبكة جهوية من القرى والضياع حول مدينة سمحت لها ظروفها بالنمو

[1] **Said BELGUIDOUM** « *Urbanisation et urbanité au Sahara* » in Méditerranée, Revue géographique des pays Méditerranée n° 3-4 -2002 ; p 36.

[2] **Nadir MAROUF**; « *lecture de l'espace Oasien »*. Sindbad .Paris 1980 P 12

لتأخذ وظائف تجارية مركزية لتصبح قطب هذه الشبكة الذي يصبح الوادي أو الحوض الرطب وسيلة ربطها.[1]

تلعب العوارض الطبيعية خاصة المتعلقة بوجود الماء[2]، و أيضا الأحداث السياسية والصراعات بين المدن و تدخلات الحكم المركزي المحيط بها، دورا مهما في نشوء قرى واختفاء أخرى من الوجود. إن الحجم الحقيقي لهذه القصور و تطوره في فترات التاريخ المختلفة يصعب معرفته، لكن الذي قد يساعد في تحديد مكانتها هو الدور الذي لعبته، لأن الحجم هو بالضرورة نتيجة ديناميكية نشاطها وإشعاعها، إن دورها يتمظهر ماديا في في مورفولوجيتها وتركيز بناياتها ونشاطها، وأيضا علاقاتها مع محيطها الخارجي، حجم نخيلها وجنانها وعلاقاتها مع القبائل الرحل هي المحددات الأساسية لمكانة المدينة الصحراوية. في هذا النسق المجالي العام الذي يميز بين القرية و المدينة، فالقرية أو القصر تبدوا كتجمع دائم الاستقرار ذو حجم متواضع نسبيا والذي يوجد بواسطة أو من أجل محيطه الفلاحي، هذه التجمعات تأخذ الطابع القروي Villageoisعندما يطفو قصر من هذه القصور نتيجة ظرف من الظروف الاقتصادية أو التاريخية ويتعاظم دوره يتطور كمدينة التي تمثل " الساحة التجارية" ويصبح في هذه الحالة هو القطب الذي يهيمن على بقية القصور المجاورة له ويكون شبكة[3].

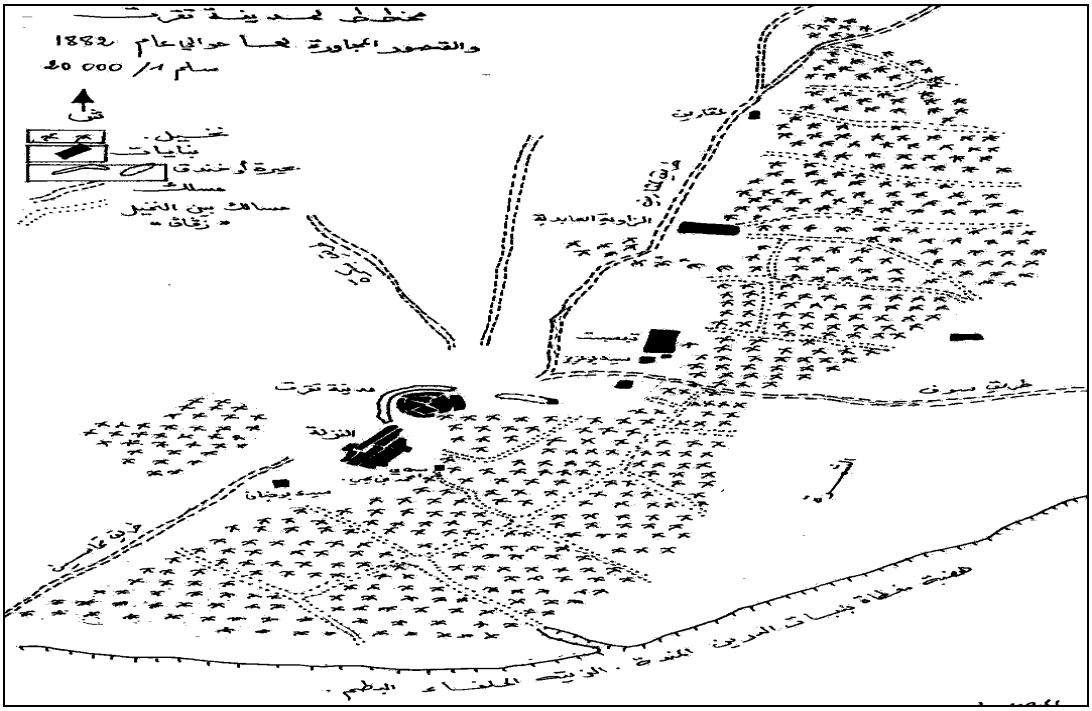

المصدر: إنجاز الطالب بالاعتماد على مخططات من أرشيف دائرة تقرت

[1] **Said BELGUIDOUM**; ibid p 40.

[2] من الملاحضات التي خلصت إليها فرقة البحث تحت إشراف مارك كوت أن هذه الواحات قد غيرت من موقعها في مراحل تاريخية متعددة بفعل عامل وجود الماء، إذ تختي قصور وتنشأ أخرى جديدة ولا يبق من القديمة إلا اسمها في الذاكرة الشعبية (دراسة ميدانية للقصور في المنطقة في أكتوبر 2002).

[3] **Jaques BERQUE** *« Les villes, entretien interdisciplinaires sur les sociétés musulmanes,* Paris, Ecole Pratique des Hautes Etudes, 1958.

الشكل (5) مخطط لتقرت والقصور المجاورة لها عام 1882

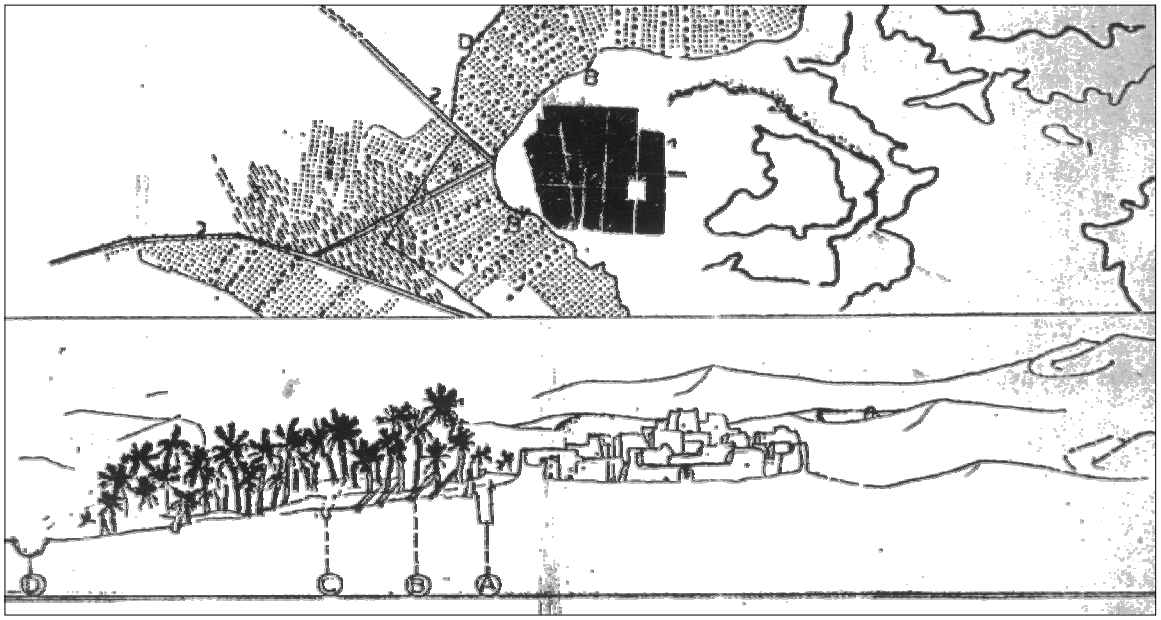

المصدر: POS EL Mostakbal BEAU Touggourt

الشكل (6) طريقة توضع القصر حسب مستوى سطح الأرض

في الشكل التوضيحي لإنشاء القصور و مستوى تصريف المياه في القرية أو القصر، المستوى (A) مستوى البئر أو مصدر الماء، و المستوى(B) لقناة السقي الرئيسية " الفحل " التي تتفرع إلى سواقي ثانوية حسب عدد المشاركين في البئر أو العين، لينتهي الماء الزائد في خندق، " المستوى(C) " الذي يستقطب الماء من واحة النخيل ويصل بها إلى المستوى الأقل انخفاضا « الشط

(D) " هذا التنظيم هو الذي سمح لواحات النخيل بالتوسع والواحات أن تستمر وتضاعف من أعداد سكانها في وسط بيئي قاس وصعب.

في شكلها الخارجي تحاط معظم هذه القصور بسور خارجي من الطوب الرملي غالبا و يراعى في هندستها و موضعها بالنسبة للمحيط الزراعي "الواحة " ومصدر الماء كل عناصر التوازن البيئي، مصدر الماء هو أهم عناصر الحياة، فإن مصدره الجوفي من العيون أو البحيرات الصغيرة الناتجة عن صعود المياه الجوفية [2] والتي طالما اعتمد عليها السكان القدامى في الري. يتم البناء عن دراسة وخبرة واعية لمسألة الارتفاع، فالمستوى المرتفع للقرية يسمح لها بان تكون في منعة من المياه الصاعدة "النز" كما يسميه سكان المنطقة، يتدرج الانخفاظ إبتداء من مستوى القرية المرتفع حتى يبلغ المستوى الأدنى له على مستوى الشط وهو المكان الذي ينتهي عنده الماء الزائد عن الحاجة، إن مسألة تصريف المياه هي ضرورية بالنسبة لهذه الواحات في الوسط الصحراوي.

إن وادي ريغ كمنطقة صحراوية يتميز بنقص كبير في التساقطات، لكنه في حقيقة الأمر ليس منطقة جافة، فإن حوض الوادي الجاف ظاهريا يكنز تحت سطحه ثروة من المياه الأرتوازية قريبة من السطح، وتسيل على السطح حتى دون حفر آبار مشكلا بحيرات دائرية في المناطق الأكثر إنخفاظا، وطالما استعمل السكان هذه البحيرات العالية الملوحة في الزراعة وفي استعمالاتهم اليومية، إن العمل المرتبط باختيار واستعمال العوامل النادرة والحيوية سمح بتنظيم أعمال هيدروليكية سمحت بإنشاء وإنجاح زراعة النخيل مصدر حياة القصر. قد تختفي الواحة نتيجة نقص الماء، كما قد تختفي نتيجة صعوده. الحشاشنة ومن خبرتهم الطويلة استطاعوا تطوير هذه التقنيات الفلاحية والمجالية.

القصور على طول وادي ريغ شكلت المجال السكني لفلاحي النخيل، في الواحات قرى بسيطة وكثيفة مبنية من الطوب النيئ معدة أساسا لسكن الفلاحين. مدينة تقرت(مستاوة) التاريخية دونا عن غيرها من القصور المجاورة لها، بحكم موقعها عرفت تطور علاقات تجارية وصلت حتى تونس والمغرب وبلاد السودان وحتى الحجاز. شكلت مركز انطلاق قوافل ووصول أخرى في نظام موسمي وسنوي بفضله وبفضل تطور وظائف أخرى سياسية ودينية تصبح تقرت القديمة (مستاوة) عاصمة جهوية تلعب دورا إقليميا هاما مشرفة على شبكة قصور وقرى وادي ريغ، بذلك لفتت أنظار الممالك والقوى السياسية المجاورة، الحفصيين، والحكام العثمانيين في بايليك الشرق وغيرهم الذين أخذوا في بسط نفوذهم على مناطق الحضنة والزاب ووادي ريغ.

2- المدينة التاريخية

من خلال مختلف الأوصاف التاريخية التي تحدثت عن مدية تقرت التاريخية وكذلك المدن الصحراوية الأخرى والتي هيمنت على شبكات قصورها والتي تتميز بتشابه كبير في ميزات المجال المبني وهيكلته، في معظمها تنطبق عليها أوصاف المدينة في العالم العربي الإسلامي، تتكون أساسا من أنسجة عمرانية مهيكلة انطلاقا من مجموعة من التجهيزات المركزية، المكان المركزي حول المسجد أو الجامع الكبير، السوق الرئيسي والمتاجر أوحوانيت الصناعة اليدوية

[2] **Brigol ROUVILLION** ibid. p19.

التقليدية، لشوارع الرئيسية المنطلقة من هذه الفظاءات العامة هي شريان الحياة الاجتماعية العامة بإتحادها مع الساحة العامة تشكل المجال العام PUBLIC مجال المرور والنشاط والالتقاء.

في هذا النوع من المدن العربية الإسلامية، تنظم الشوارع والمجالات على أساس عمليةالتدريج Hiérarchisation بطريقة مركبة من الإنثنائات تدخل المدينة وتوزعها بدورهه إلى تدريجات محسوبة ومنظمة بدقة إذ تفضي المحاور الرئيسية إلى الشوارع الثانوية و التي تفضي بدورها إلى الممرات الضيقة ثم إلى الممرات الحادة .impasses هذه التدريجات هي تعبير مجالي على نوع الحياة الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية ومستويات الخصوصية في هذه المجتمعات.

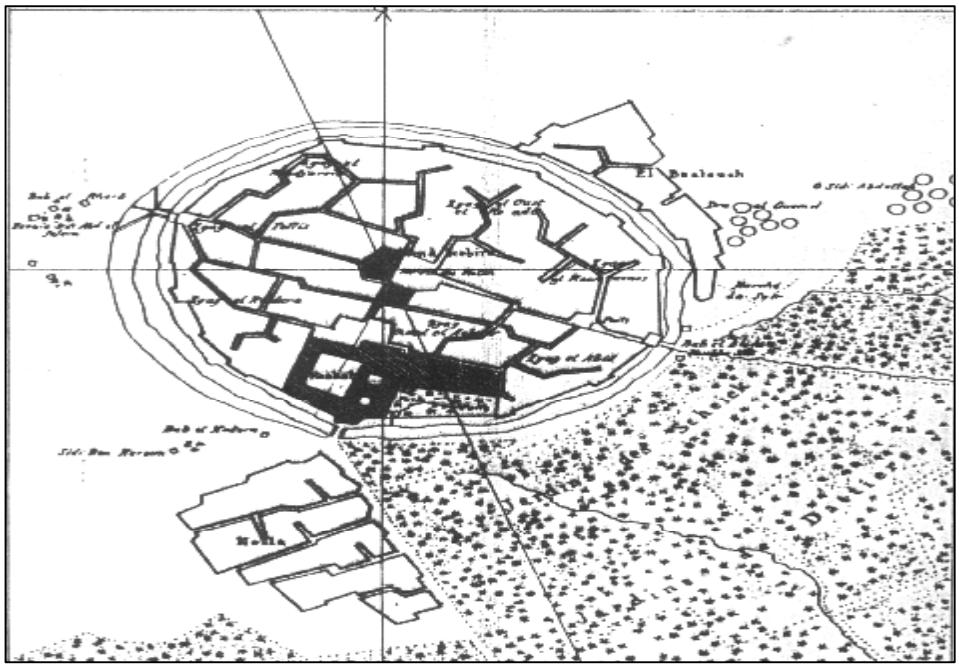

المصدر: POS EL Mostakbal BEAU Touggourt

الشكل (7): تقـــــــرت - المدينة التاريخية مستاوة - مقياس 5000/1

منذ نهاية القرن الثالث عشر تتشكل تقرت وتصبح مدينة هامة، محاطة بسور خارجي من الطين النيئ والتراب مدعم بخندق يملأ بالماء من واحات الخيل المجاورة، يصل علوه إلى 2.5 م مجهز بما يشبه القلاع للمراقبة كل 60 مترا ارتفاعها 3.5 م بنيت بالجبس المحلي، يتم الدخول إلى المدينة بعد عبور جسر من أخشاب النخيل المتحركة لقطع الخندق. جهزت المدينة بثلاثة أبواب وكعادة المدن العربية الإسلامية تغلق أبواب المدينة ليلا بعد إخراج الغرباء الذين هم في العادة من البدو أو التجار الذين يخيمون حول المدينة، وتوضع المفاتيح عند السلطان[1] ليعاد فتحها في الصباح.

السوق هو الساحة المركزية التي تتوسط المدينة. ساحة مربعة الشكل ضلعها حوالي 40 مترا، يجد بها المسجد الكبير الجامع، وهو النقطة المركزية في المدينة، تتفرع تنطلق من الساحة المركزية أربعة شوارع رئيسية مغطاة بجذوع النخيل والجريد يضاف إليه الرمل والجبس، ما عدا فتحات صغيرة على الضوء و التهوئة عرض هذه الشوارع الرئيسية حوالي 2 م عرض يسمح بتقاطع فارسين[2] حسب وصف المؤرخ **شارل فيرو** الذي زار المدينة في حدود 1852م.

إن التدرج في الفظاءات والطرق المؤدية إليها هي السمة البارزة في هيكلة المدينة، الأمر الذي يعكس مباشرة التنظيم الاجتماعي وهيكلة الأنوية، والقواعد العامة في السلوك والسير. التمفصل المعقد والمركب للشوارع والفتحات والتغير في الأشكال والاحجام تترجم الحاجة الماسة غلى الحماية الفزيائية والمناخية وأيضا وبدرجة مهمة التحكم في درجة الخصوصية intimité الاجتماعية والأسرية. إن هذا التراكب في الفظاءات والذي نجده يتكرر في العلاقة بين قصر / محيط فلاحي وعلى مستوى المحيط الفلاحي نفسه والمنزل أيضا يعيد خلق هذا التراكب في توزيع عناصره، في " الحوش الداخلي " في السطح والغرف التي توزع حول المحيط المركزي للسكن المغلق عن الخارج المفتوح إلى السماء[3]، بذلك يكون وحدة سكنية متكاملة.

3 . القصر

القصر والذي يقع في الترتيب من حيث الأهمية العمرانية والوظائف في درجة أقل من المدينة التاريخية، القصور في وادي ريغ منذ نشأتها وتحولاتها بحثا عن مصدر الماء، هي مكان سكني بالدرجة الأولى لفلاحي النخيل لم يبلغ تعقيد المدينة تتركز وظائفه على العلاقة مع الواحة، تسكنه فئات من الفلاحين مزارعي النخيل من السود الحشاشنة. هذه القصور المجاورة للمدينة تقرت هي **النزلة، تبسبست، الزاوية العابدية**. يبدوا من البحوث الميدانية في المنطقة أن هذه القصور هي سابقة عن المدينة أهمها على الإطلاق النزلة من حيث الكثافة العمرانية والسكانية تقع الأقرب إلى المدينة التاريخية.

---

[1] من الحكام المحليين بني جلاب، تأسس حكمهم من 1431 إلى 1854 .

[2] **L .Ch FERAUD** ibid p 59-60

[3] **FATHY Hassan,**" *Construire avec le peuple* , histoire d'un village *d'Egypte , Gorna"* 4 éd. , Paris 1985. p 56

النزلة ليست بالشكل الدائري الذي بنيت عليه تقرت، يبدو من الملاحظة الميدانية أن بنائها قد بدأ من الناحية قرب واحة النخيل في شكل بدايته دائري ثم توسعت في اتجاه الجنوب في شكل أشعة مستطيلة، ولو تحط بسور خارجي لم تتوفر على مباني غير المساكن البسيطة للفلاحين والخماسين وبعض الجوامع الصغيرة في مختلف الأحياء.

4 . المنزل، فضاء مغلق ذو دلالة هندسية

من المكان العام أو الساحة الرئيسية للوصول إلى السكن يجب المرور عبر عدة مستويات من درجة الخصوصية، من الشارع الرئيسي إلى الشوارع الثانوية التي تنتهي كثيرا بممرات حادة impasses التي تفضي إلى مدخل المنزل " السقيفة"، المنزل نفسه يعيد خلق هذا التراكب من خلال توزيع عناصره الداخلية و هندسته المتناغمة والمتناسقة مع المجال العام للمدينة.

المنزل مغلق تماما عن الخارج، مفتوح عن السماء، يمثل الإطار المثالي للحياة التقليدية في المنطقة المتميز بخصوصية الحياة الأسرية، يتأقلم مع النظام الأبوي للأسرة ومكانة الحرمة بالنسبة للرجل والمجتمع معا، لارتباطه بالعقلية المحلية من جهة والثقافة العربية الإسلامية من جهة أخرى، و باعتبار أن كل شعب قد أنتج هندسته المعمارية يخرج من خلالها خطوطه الخاصة به كما يفعل مع لغته أو لباسه وفلكلوره[1]، بقراءتها وتحليل عناصرها وإبعادها يمكن تصور وفهم ما فكر فيه هذا المجتمع إن هندسة منزل لا يمكن بلورتها دون تحديد الحضارة التي يعيش فيها ساكنوه.

في مدينة تقرت بالخصوص يمكن التمييز بين نوعين من السكن التقليدي، السكن الذي وجد في النواة الأصلية مستاوة المدينة التاريخية، والذي بحكم وضع المدية كمركز سياسي لحكم أسرة مشايخ بني جلاب ومركز تجاري أرتبط بحركة قوافل التجارة والعلاقات مع المحيط الجهوي البعيد و أيضا البدو، أما بقية القصور التي كونت المدينة الحديثة كالنزلة، تبسبست، الزاوية العابدية فقد ارتبطت أصلا بثقافة زراعة النخيل وضمت السكان المحليين " الحشاشنة "، مما يجعلنا نميز بين نوعين من السكن التقليدي حتى وإن كان هذا التمييز غير عميقا إذ تبقى السمات الأساسية والمحددة تبقى موحدة بالنسبة للنوعين وبين النوعين هناك قواسم مشتركة ومركبة بين الثقافة المحلية الفلاحية وتأثيرات المحيط الجهوي. و السمة البارزة التي طبعت منطقة السكن في هذه المنازل قبل انهيار الحدود الثقافية بين المجتمعات في حدود القرن 19[2] نلاحظ أشكالا و تفاصيل هندسية محلية كانت ثمرة التزاوج المتناغم بين مخيال هذا المجتمع المحلي و الشروط البيئية المحلية أيضا.

[1] **Fathy HASSAN** ibid p 6 0
[2] **Fathy HASSAN** ibid p 64

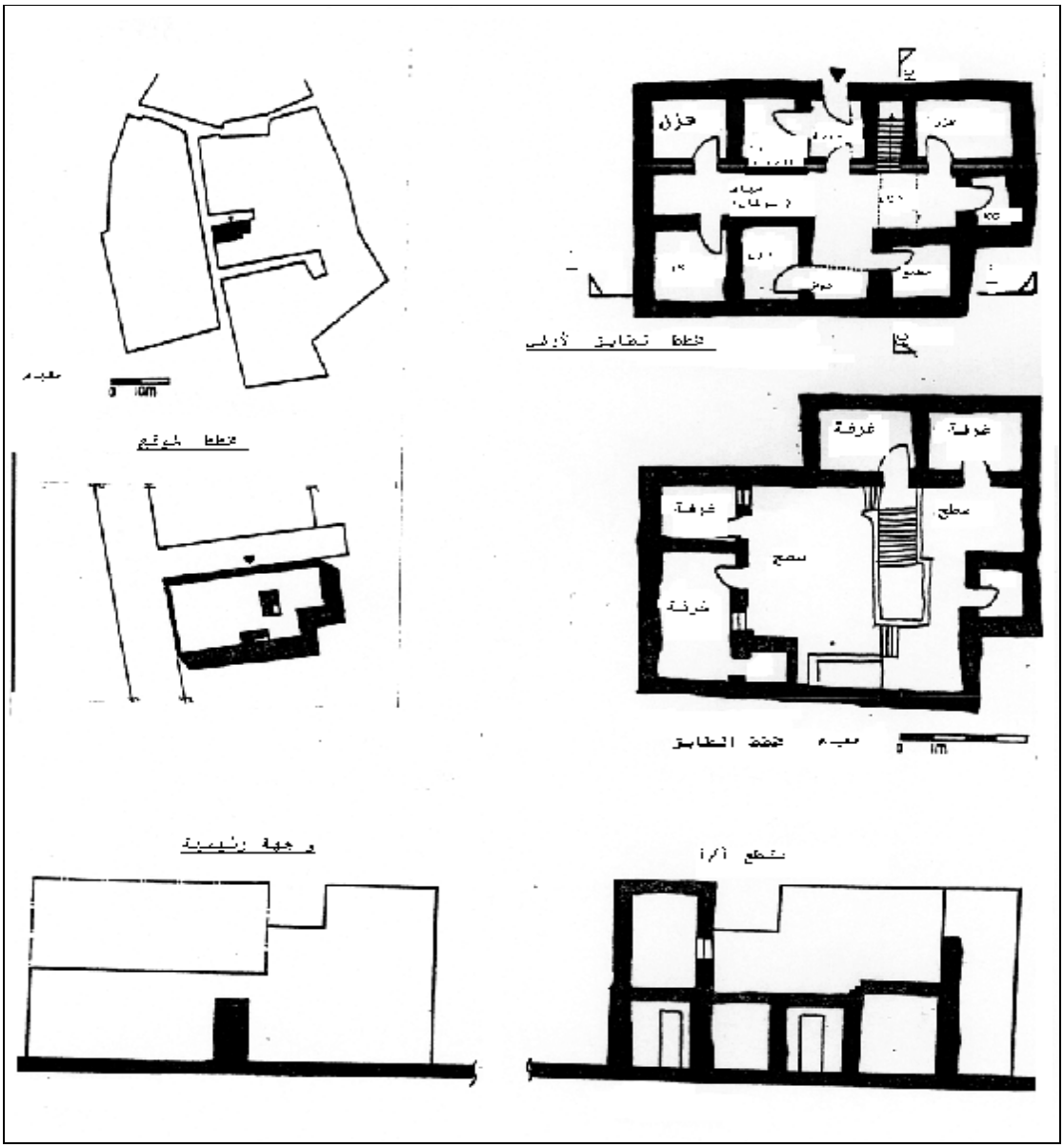

المصدر : Allaoua AMMICHE « L’espace urbain de Touggourt

الشكل (8) المنزل التقليدي بوادي ريغ

*مخزن : غرفة(بالتعبير المحلي).
*غرفة : تسمى غرفة إذا كانت في السطح.
* سباط (برطال) الجزء المسقوف من الحوش المركزي.

بنيت المنازل من أجل احتواء كل الحياة الأسرية والمتميزة خاصة بالامتداد إذ تعيش عدة اسر داخل المنزل الواحد، تحت سلطة رب الأسرة. تدور معظم حياة الأسرة في العنصر الأساسي الحوش المركزي هذا الفضاء الذي يوزع إلى كل عناصره الأخرى تقضي فيه المراة معظم ساعات يومها تقوم بالاشغال اليومية كونها أيضا هي مركز حياة الأسرة و هو المكان الوحيد مع السطح الذي يتلقى أشعة الشمس و الهواء. هذا الحوش مجهز في اغلب الأحيان بفضاء آخر انتقالي[1] قبل الوصول إلى الغرف في شكل سباط، وهو مستطيل مسقوف مرفوع على أقواس من الجبس محمى من الشمس تحضر فيه المرآة وجبات الأكل في الصيف كما يعد فضاء اجتماع الأسرة في الصيف بعد العصر لتناول الشاي، كما يتخذ مكانا محببا للاسترخاء أو الجلوس، و توضع فيه أنية للماء من الفخار المحلي " زير".

إن الوصول إلى هذا الحوش من الخارج يتم أيضا عبر عقبات توصي بالسلوك العام المحافظ على الخصوصية. المنزل يفتح على باب من اجدع النخيل بفض إلى فضاء انتقالي مسقوف عادة هو السقيفة ذو شكل مربع أو مستطيل في احد جوانبه غرفة الضيوف بيت «الضياف" و مدخل أخر مستقل يفضى إلى الحوش نجد السقيفة عادة فقيرة من أي تأثيث الا من رحى حبوب تضعها بعض النساء في هذا المكان بالذات لقيام بعض النساء بهذا العمل مشركين و نجدها في بعض المنازل فقط.

[1] **Bernard (A)** *« Enquête sur L'habitat rural des indigènes de L'Algérie »*, Fontana, Alger, 1921 pp. 36 38.

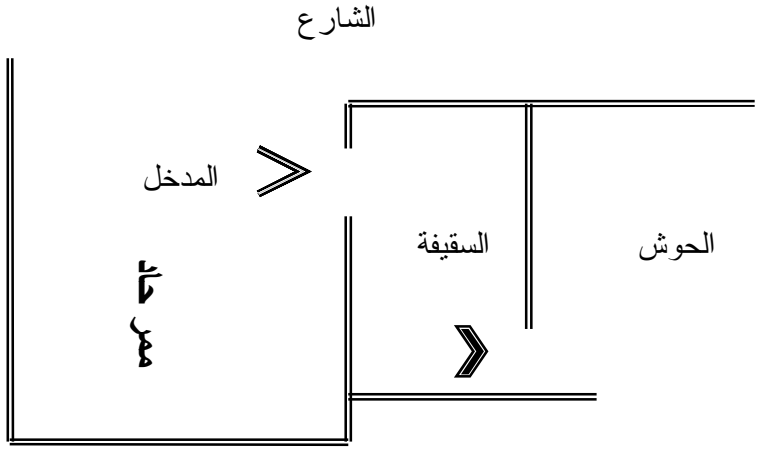

الشكل (9) شكل ودور السقيفة(الدخول المتدرج)

توزع الغرف عادة حسب امتداد الأسرة وتركيبها، تتوزع من الحوش المركزي مربعة الأشكال. تستعمل لنلوم و الجلوس أو تناول الأكل تحوي أغراض مستعملها. إذا كان رب الأسرة متعدد الزوجات- وهذا نادر في عادات المجتمع القروي المحلي حسب روايات أغلب المسنين - فان كل زوجة تستقل بغرفة مع أطفالها الصغار أما الكبار فلهم غرف خاصة لمن تزوج منهم، الغرفة أيضا مكان مستور خاصة غرفة رب الأسرة تستفيد من التهوئة من خلال فتحة صغيرة نسبيا 1م 0.5 تطل فقط على الحوش فوق مستوى النظر. تجهز الغرف برفوف محفورة في الجدران السميكة توضع فيها الأغراض و تؤثث بسرير مصنوع من سعف النخيل.

يتم الطبخ في البيت التقليدي في أماكن متعددة حسب الفصول فالمطبخ و هو غرفة قريبة من " السباط" لا تتعدى مساحته 6 إلى 12 م^2 تعل على جدرانه وسائل الطبخ التقليدية من الصنع التقليدي المحلي، (غرابيل. اطباق ... الخ) في فصل الصيف تنتقل أعمال الطبخ والإعداد إما للسباط مقابل الحوش أين تشرف من خلاله المرأة على الحركة داخل بيتها أو في السطح أين يتوفر الجوالأقل حرارة خاصة في وجبة العشاء إذ تنتقل الأسرة بكاملها لقضاء الليل.

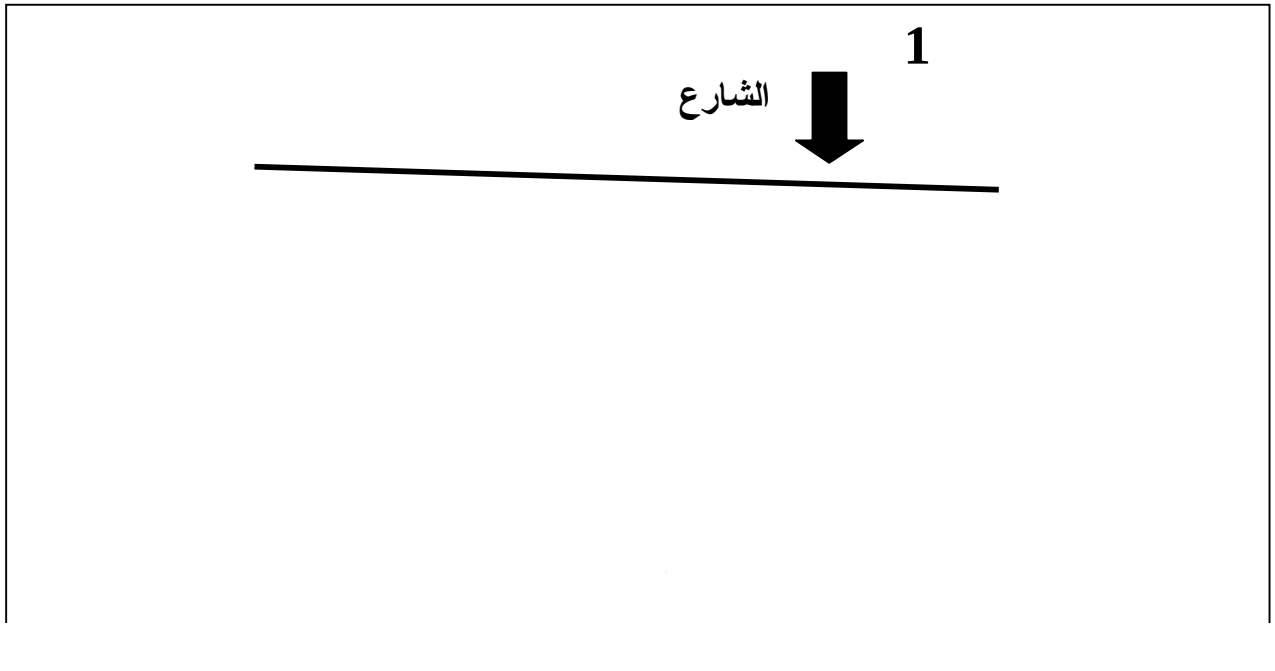

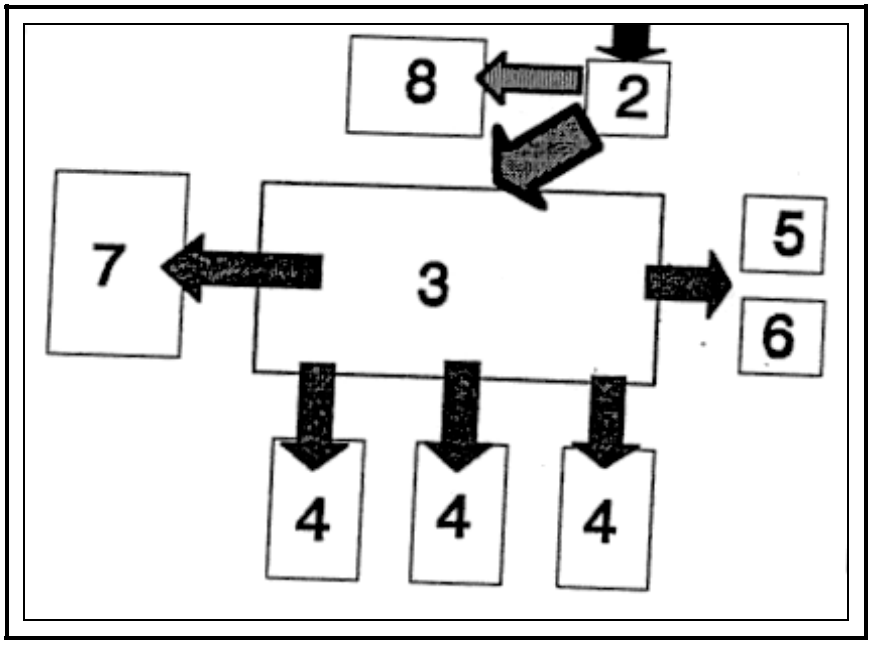

الشكل(10) التوزيع الداخلي والحركة

1- باب الدخول الرئيسي (يؤدي إلى السقيفة2)
2- السقيفة (تؤدي إلى بيت الضياف 8 أو إلى الحوش 3)
3- الحوش (يؤدي إلى الغرف 4 أو إلى السطح 7 أو إلى المطبخ 5 أو إلى المرحاض 5)
4- الغرف .
5- المرحاض .
6- المطبخ .
7- السطح.

غرفة أساسية أخرى هي بيت الخزين يمكن أن تكون في الطابق الأرضي كما أن تكون في السطح كغرفة مستقلة تتوفر على التهوئة وقلة الرطوبة تخزن فيها الغلال، تمر، مؤونة الخاصة بالأسرة ووسائل استعمال المنزل وأدوات الفلاحة وتكون دوما مغلقة تشرف عليها ربة البيت التي توم بتوزيع هذه المواد على نساء البيت ليقمن بإعداد الوجبات بطريقة التناوب عادة.

مكان الحيوانات والمرحاض في ركن منعزل يدخل إليه من أحد جوانب الحوش ملحق معزول للحيوانات الأليفة أهمها الماعز أو الحمار المهم في أعمال الفلاحة وفي ركن منعزل جدا نجد المرحاض الذي هو حفرة تصل إلى 2 م في المتوسط ويكون عادة ملتصقا بالجدار الخارجي للمنزل حتى يتمكن من رفع الفظلات من الخارج بواسطة فتحة من خلال الجدار لتستعمل كسماد لواحات النخيل، هذا المكان معرض دوما لأشعة الشمس والهواء ينطلق من الحوش في اتجاه السطح درج يؤدي إلى فضاء مفتوح في أحد جوانبه غرفة أو غرفتين، مستور بجدار خارجي محيط علوه حوالي 2 م، تستعمل الأسر هذا السطح الهام والأساسي في هندسة أي منزل في المنطقة في ليالي الصيف

الحارة، وفي تجفيف المواد الغذائية تستغل المرأة إلى هذا الفضاء في أوقات الليل لان معظم الأسطح تطل على بعضها البعض.

العناصر الأساسية كالتراب، الماء، الضوء، النبات، تؤلف مصادر المواد الأساسية لهذه الهندسة المعمارية، استعمال المواد الملية المتوفرة وتطبيق مبادئ البناء والحلول الهندسية عبر خبرة قرون طويلة. طورت تقنيات خاصة طبقت في كل الإنجازات العامة وفي المنازل وحتى في الأثاث. أدوات الإستعمال اليومي كلها ثمرة صناعة تقليدية تتوفر على غنى وعمق من التعابير والدلالات، مهيكلة حسب تدرج دقيق وتنظيم يعكس وبكل دقة النظام الاجتماعي و تكوين النواة الأسرية وقواعد العادات الجماعية. إن الطبيعة الأساسية لهذه القصور تتجاوب مع قوانين النظام الديناميكي والي تتطور بتثمين المصادر الداخلية، بالرغم من بساطتها الظاهرية فإن هذه الهندسة المعمارية وعند تحليل دلالاتها تعطي أشكالا و فظاءات وتدرجات توحي بعمق كبير في من خلال خطوطها المنحنية عموما وجماليتها الخاصة وطابعها الخاص. تستجيب في عمها لحاجات الحماية الفزيائية والمناخية، والحفاظ وبدقة على مختلف مستويات الخصوصية intimité الاجتماعية والأسرية. العلاقة، واحة/ صحراء يعاد تشكيلها بين جدران المنزل في العلاقة بين نواة المنزل والشارع الرئيسي وساحة السوق المركزية مكان التقاء الواقع الخارجي، المنزل يعيد خلق الفضاء ابتداء من الحوش المركزي والسطح. العناصر المرتبة حول المحور المركزي للمنزل المفلوقة عن الخارج، تعيد إنتاج هيكلة داخلية جديدة للمجال ليصبح المنزل وحدة متكاملة بين جدرانه[1] .

لا توجد استعمالات مستقرة للعناصر، خاصة الغرف التي تفتح عن الحوش المركزي، كل غرفة تخضع لاستعمالات متغيرة حسب الحاجة وحسب فصول السنة و أيضا حسب تطور عدد أفراد الأسرة و الزيجات الجديدة تضيف أسر جديدة داخل نفس المنزل، مما يخلق نوعا من الرحلة الداخلية في المنزل Nomaderie interne [2] مسجلا بذلك تتابع الزمن وأيضا مسجلا مسار تطور الأسر. سجل تاريخ الأسرة نجده في هندسة المنزل. مع بقاء الجدران الأساسية الحاملة والأعمدة الرئيسية مستقرة ويدور حولها كل شيء في المنزل ويتحول. يستجب بذلك البيت لقواعد دقيقة للحماية المناخية والدفاعيةوالخصوصية. شبكة الشوارع الضيقة والمغطاة تسمح بالمرور إلى المنازل المغلقة تؤلف مجموعا متراكبا هو ثمرة تطبيق أساسيات هندسية بسيطة ودقيقة، أملتها ثقافة سكان المنطقة المحافظة.

---

[1] أنظر أشكال المنزل التقليدي الصفحة السابقة.

[2] **Pietro LAUREANAU :**" *SAHARA, Jardin méconnu"* , Larousse Paris 1991 , p 161

الرمل الذي يحتوي على الطين بخصائصه اللينة يتسم بإعداد الطوب النيئ المشكل والميبس على أشعة الشمس، كما يستعمل أيضا كمادة لاصقة «ملاط"، دون استعمال القش. إضافة إلى الجبس المسمى في المنطقة

" تيمشنت " جبس تقليدي ذو لون رمادي يستخرج من حرق الحجر الجيري المتوفر في المنطقة في أفران تقليدية يطلق عليها اسم " المقطع " هذه المادة ذات كلفة عالية بالنسبة للفقراء ولهذا تخصص عادة لطلاء الجدران في بيوت الميسورين وأيضا لبناء الأماكن المقدسة كالمساجد والزوايا والقباب.

مصدر الأخشاب الوحيد في المنطقة هو النخيل التي تستعمل جذوعها كدعامات POUTRES بعد موت النخلة يقطع الجذع طوليا إلى جزئين أو أربعة أجزاء، وتسقف عليها الشوارع أو غرف البيوت توضع فوها سدة من الجريد يربط ببعضه ثم يغطى بطبقة من الطين أو الجبس لمنع تسرب الماء.

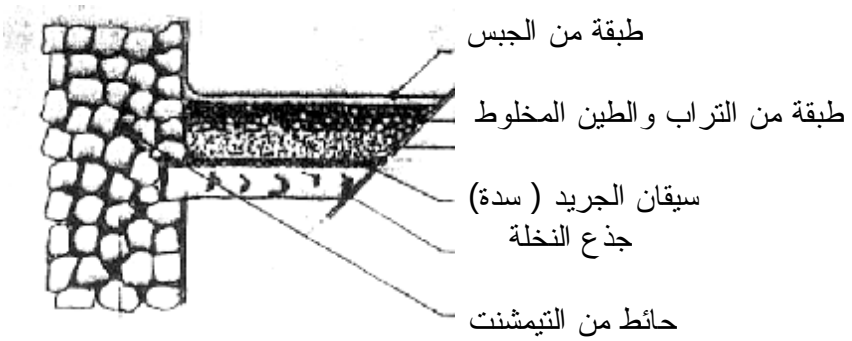

شكل (11) تقنيات ومواد البناء التقليدية

المصدر: POS EL Mostakbal BEAU Touggourt

5 - القصر مجال متناغم متدرج

من خلال مختلف الأوصاف التاريخية نلاحظ أن المدن والقصور المرتبطة معها تتميز بأنسجة بنائية خاصة تتميز بوجود العناصر التالية، المنازل، المساجد، الساحات، الشوارع، القلعة أو البرج، الأسواق، الدكاكين، و ورشات الصناعة التقليدية. القرى و المدن في مجملها تموقعت على مناطق مرتفعة - Pitons - حسب ما تسمح به طبوغرافية المنطقة، تأخذ الشكل الدائري في معظمها، عند قراءة هيكلتها نحس أن أولوية مخططها كانت مسألة الدفاع، بسبب الصراعات المتكررة التي شدتها المنطقة في فتراتها التاريخية المتعاقبة[1] الإثنية و أيضا المتعلقة بعملية الإنتاج الزراعي، في تلك الأثناء كان السكان يعرفون مزايا البناء في الأماكن المرتفعة وحتى وإن حرمتهم طبوغرافية المنطقة المسطحة المنبسطة من هذه المواقع المنيعة، قاموا بتعويض ذلك بردوم من أجذع النخيل نجده مازال موجود أثره في منطقة تماسين (10 كلم جنوب تقرت) وتمرنة(قرب جامعة، شمال تقرت)

[1] **FERAUD (L .CH)**, ibid p 66

2. الهيكلة الاجتماعية والحياة في المدينة

دور المدينة والقصور، وجودها وديمومتها

لمحاولة فهم حركية هذه التجمعات ونشاطاتها ونظامها الاجتماعي سنحاول تلخيص النظرة إليها من خلال ثلاثة مجالات هامة في نظرنا، المجال الاقتصادي السياسي، و الديني كونها المجالات الهامة التي تلعب الدور الأساسي في وجود المدينة ديمومتها ودورها.

1. الحياة الاقتصادية، الإنتاج الفلاحي ونشاط قوافل التجارة

المورد الأساسي لهذه القصور بالدرجة الأولى هو إنتاج التمور، إضافة إلى منتجات موسمية محلية، هذا الإنتاج الذي سمح للمنطقة بالتبادل التجاري مع مناطق أخرى في الشمال والجنوب، وسمح أيضا بتغطية الحاجيات الأساسية للسكان، كما سمح لبعض المجموعات والعائلات بالثراء، الوظيفة الأخرى والتي لا تقل أهمية في عالم الصحراء هي التجارة والتبادل الجهوي، أحيانا بعيد المدى يصل إلى أعماق الصحراء لربطها بالشمال وبالشرق وبالغرب.

إن نظم الري والاستفادة من المياه القريبة من السطح في هذه المنطقة المنخفظة سمح بإيجاد الواحات، امتداد هذه الواحات وكبرها يتوقف على على كمية الماء المتوفرة من المنابع والعيون وعلى مساحة الأرض الصالحة للزراعة أي القليلة "النز" والملوحة، امتداد وسائل الري وتنظيمه وأيضا يتطلب الأمر إيجاد شبكة من القنوات لتصريف المياه الزائدة والتي قد تتسبب في قتل النخيل مثل الجفاف تماما، كل هذه التجهيزات والأعمال تطلبت مجهودات مضنية من الفلاحين، قد نتصور كمية الوقت والجهد الذي تطلبته هذه الأعمال في غياب الوسائل المتوفرة اليوم. إن عملية توزيع حصص مياه السقي عملية هامه وحساسة بين الفلاحين المشتركين في عين واحدة، تتم العملية على أساس حساب الزمن " النوبة " وما تزال هذه الطريقة تستعمل حتى اليوم مع الآبار المجهزة بالكهرباء. يعمل الفلاح البسيط في نخيله الخاصة أما إذا كانت ملكيته صغيرة وهو الغالب، فيقوم بالعمل عند كبار الملاك بطريقة " الخماسة" أي بأخذ خمس المحصول من التمور وهي الأجرة التي تعارف عليها السكان حتى تم إنهائها مع الثورة الزراعية[1]، وكانت المرأة أيضا تشارك في أعمال الفلاحة مع الرجال. أجرة الفلاح اليوم تقدر بالثلث مع استفادة الفلاح من المحاصيل الثانوية التي يقوم برعايتها إلى جانب عمله الأصلي في النخيل وسقيها وعلفها وتنقية خندق التصريف.

المحيط الفلاحي وبفعل قلة المساحة الزراعية يتوزع على ثلاثة مستويات عمودية، المستوى المرتفع للنخيل البالغة والعالية، المستوى المتوسط للنخيل الصغيرة التي هي في طور النمو لتعوض النخيل القديمة وبعض الشجيرات المثمرة، تين، رمان، مشمش، أما الأحواض الأرضية تهيأ للمنتجات الموسمية التي تغذي السوق المحلي يوميا، البصل، ثوم، والمنتوج الخاص بوادي ريغ " البندراق" الذي تستعمله أغلب أسر المنطقة في تغذيتها. هذه المحيطات الفلاحية خضعت دوما في

[1] هذه الأجرة عادت للتطبيق في بعض الواحات اليوم، البعض منهم يعمل في واحة المالك لقاء الثلث من المحصول، الطالب.

تاريخها إلى رقابة إدارية وسياسية، كفرض الضرائب أوحتى بشكل مباشر إذ امتلكت الأسر الحاكمة والإقطاعية المحلية محيطات وواحات واسعة.

ارتبطت أعمال الفلاحة بالصناعة التقليدية المحلية، التي وفرت إما أدوات الفلاحة، " المسحة " الأدوات المصنوعة من الجريد والسعف وجذوع النخيل، فكل أجزاء النخلة تستغل في منتج معين للاستعمال البيتى أو الحقل، بعض الصناعات تركزت على الشوارع الرئيسية في المدينة مستاوة، النحاس، الحدادة، النجارة، الذهب، الفضة، التي كان يقوم بها اليهود في المدينة، أشغال السعف والنسيج الذي كان قليلا بحكم قلة مصادر الصوف من الأغنام قليلة ربما أستغل وبر الماعز أما الأواني الطينية فكانت غالبا ما تصنع داخل المنازل من طرف النساء مع أعمال النسيج والحياكة، حسب الصور التي مشاهدها لأهالي المنطقة والتي التقطها بعض الأوربيين الذين زاروا المنطقة في القرن 19 نلاحظ الملابس التي يرتديها هؤلاء الأهالي لا تتعدى سترة من الشعر أو الصوف. الصناعة الطينية والفخار كانت مشهورة بالمنطقة في النزلة بقيت إلى اليوم بعض الأفران التقليدية التي تصنع الفخار من الأواني أو الطوب للبناء.

عبر طول وادي ريغ تمتد مراكز تجارية تتفاوت في الأهمية، تعود في قدمها إلى العهد الروماني، فمدينة تقرت في هذا العهد كانت تربط الصحراء وبلاد السودان بالشرق الجزائري[1] وإذا كان متوسط مرحلة واحدة من الرحلة يحدد عادة ب50 كلم، فذلك ما يفسر المسافات المتقاربة الآن بين أهم مدن وادي ريغ (المغير، جامعة، تقرت)يجعل منها محطات للقوافل الرحلة من قابس إلى ورقلة كانت تستغرق 15 يوما، 6 أيام من تقرت إلى ورقلة وحوالي أربعة أشهر لعبور الصحراء[2] هذه الرحلات كانت تحتاج إلى الكثير من قوة الاحتمال والصبر للوصول إلى الهدف المنشود وسط هذه الصحراء القاحلة والجافة[3] تضم هذه القوافل مجموعات من التجار تربطهم مصلحة الطريق تستعمل أدلاء وحراسا من البدو من قبائل الجنوب. تتحرك هذه القوافل بحسب المواسم، تصل المنطقة في موسم التمر، تجلب الحبوب والقماش والصوف لتقايضها بالتمر، ثم تنطلق نحو الصحراء لتقضي الشتاء والربيع ومع انتهاء الربيع تمر مرة أخرى على المدن الصحراوية لتحمل التمور لتتجه نحو التل لتوافي موسم حصاد القمح، تصل إلى الشرق القسنطيني، بعد دفع ضريبة " الحيسة" Hissa، تقرت وتماسين من أهم المراكز التجارية بالجنوب الشرقي، استعملت هذه المدن العملة مبكرا، سواءا العملة التركية أو الريال التونسي " الطرباقة" أو الدورو الأسباني[4] من أشهر القبائل التي تقوم بهذه العملية المتواصلة، أولاد مولات، الشعامبة عرب غرداية، أهالي الطيبات، سعيد أولاد عمر. كانت أرباح هذه القوافل التجارية هامة جدا. 500 من العبيد يتم جلبهم كل سنة إلى تقرت يشترون بـ 150 إلى 200 فرنكا ليعاد بيعهم في التل بـ 500 فرنك، كما أن حمولة جمل واحد من التمر من تقرت تستبدل بأربع حمولات من القمح على حدود التل[5]. مع هذه الحركة النشيطة للقوافل كان لابد من وجود أسواق تستوعب وتعيد توزيع هذه البضائع،

---

[1] **Marcel EMRIT,** *les laisons terrestres entre le Soudan et l'Afrique du nord au 18 et 19 S*, I.D.S.p 139

[2] **Alain (R)** ; « *Histoire Populaire et Tradition orale d'un Oasis arabe-berbére N'goussa »* 1973-74 Magrhelle, p32.

[3] **Jean BISSON** *; « les nomades des départements Sahariens »* 1958 Paris ; p200-204.

[4] **ناصر الدين سعيدوني.**« *دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني* » ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984 ص 243

[5] **Marcel EMERIT :** ibid. p 142.

سوق تقرت كان دوما من أهم أسواق الجنوب الشرقي، شكل محطة لقوافل الزاب، والشعامبة، الذين لعبوا دور الواسطة مع قبائل الطوارق، كما أرتبط السوق بإقليم الجريد التونسي والمغرب خاصة مع قوافل الحج التي كانت تصل المنطقة وتتخذها محطة لها، **Pierre FONTAINE** وصف هذا السوق ونشاطه في الخمسينيات من القرن العشرين، أدرج العديد من الصور في كتابه[1].

2. الحقل السياسي:

الحقل السياسي يتميز بعلاقة قوة ذو ثلاث مركبات، تهيكل حول ثلاثة أنواع من الفاعلين، الحكم المركزي: المتمثل في الممالك المختلفة، ثم من طرف الجزائر العاصمة في عهد الأتراك والاحتلال الفرنسي، الحكم المحلي: الذي مورس في المدن والذي مثلته الإقطاعية المحلية، الشيوخ[1] الدينيين، أو البرجوازية العقارية، القبائل البدوية: المتمثلة أساسا في قبائل أولاد مولات والدواودة وسعيد أولاد عمر.

هذا الحقل ينشط بانتظام بصرعات لا تنتهي، صراع أو حلف بين عناصره من خلال مركب من العلاقات (بين المدن نفسها، بين المدن والحكم المركزي). إن التاريخ السياسي لهذه المدن هو قبل كل شيء تاريخ العلاقات التي تنشأ مع الحكم المركزي علاقة غلبة أو هيمنة، تترجم هذه العلاقة بتحالف أو تقديم ضريبة سنوية. علاقة حلف عندما يكون الحكم المركزي مهددا بقوى أو ممالك أخرى أي في حاجة إلى تقوية اقتصادية أو عسكرية من هذه المدن أو علاقة تصادم وذلك عندما تحاول المدن أن تنحل من سلطة الحكم المركزي، هذه العلاقات المتعددة الأشكال تضاف إليها أيضا العلاقات مع القوى المحلية، وهي الأخرى مهيكلة حول ولاءات دينية أو قبلية. إن المنافسة بين مختلف شبكات القصور أو التضاد والعداء بين المدن وشيوخ القبائل، من هذه العلاقات المركبة تتعاقب فترات الهيمنة والإخضاع.

المدن ومجالها الذي تهيمن عليه، وإدارتها بواسطة عائلات قوية ذات إقطاعية الأرض أو التجارة التي تستمد شرعيتها من المكانة التي تحتلها في حقول أخرى من الحياة الاجتماعية، الحقل الديني (كالهيمنة على عاصمة رمزية قوية التأثير مثل الزاوية التيجانية في تماسين)، النشاط الاقتصادي أو الرقابة على الإنتاج و التجارة أو الحقل السياسي بالنظر لمكانتها في نظرالقبائل البدوية)، وأيضا أهمية رصيدها الاجتماعي أي السكان الذين ترتكز عليهم والذين يؤازرونها. قبل أن تتهيكل هذه القصور أو المدن كممالك صغيرة، فترة السلاطين المحليين، كانت تقرت تدار من قبل جماعة تكون مجلس محلي من ممثلين عن العائلات الكبيرة الأساسية و السلطة في العائلة التي تعطي المكانة في المجلس تورث من جيل إلى جيل. يمكن أن تحصل تقلبات أو انقلابات قد تحدث اضطرابا في هذا الهيكل. إن حكم بني جلاب في تقرت في القرن 15، و بني مزني في بسكرة يوضح جليا كيف أن قبيلة تقوم ببناء هيبتها الشرعية من أصل شريفي يدعمه الغني الاقتصادي بملكية غابات نخيل كبرى و الراقابة على القوافل التجارية، التحالفات **ابن خلدون** يتطرق في تاريخه إلى هذه القضايا حتى وإن جاءت ملاحظاته في المنطقة مختصرة جدا [2] .

خلال قرون طويلة كانت هذه المناطق رهانا لصرا عات سياسية حادة بين الأسر الكبيرة التي تتقوى كل بدورها مع مختلف ممالك المغرب أو الشرق و قبائل بدو الصحراء لتفرض هيمتها لكن

[1] **Pierre FONTAINE :** « *TOUGGOURT capitale des Oasis* »DERVY, Paris, 1952. p39

هذه التحالفات مع البدو في كثير الأحيان تكتيكية و موقتة. إن علاقات القوى تتأثر بهذا الثلاثي المكون من الحكم المركزي، أرستقراطية المدن و قبائل البدو و كل مدينة تحاول تأكيد استقلالها و مراقبة منطقتها و أيضا مراقبة طرق و مسالك التجارة المربحة. هذه العلاقة بين المدينة والفلاحة، المدينة و القرى المجاورة، الحضر و البدو هي غير متساوية ولا مستقرة المدينة في حاجة الى منتجات الزراعة و أيضا في حاجة الى نشاط البدو كي تستمر في وجودها و تستحوذ على جزء من ثرواتها. من هذه المناوشات التي لا تنتهي القبائل البدوية ضد المدينةوالقصور، المدينة في استطاعتها أن تستمد ثروتها من الاستثمار والعلاقات أبعد من محيطها عندما تخترق التجارة البعيدة بذلك تستمد هيمنتها ووضعها المميز.

في الفترة التركية الصحراء تعرف تقلبات جديدة، بايليك الشرق في قسنطينة يركز على بسكرة امتداده الجنوبي ليقوم له بالرقابة على المنطقة التي تخضع هذه الفترة للسلطة التركية.على امتداد القرن 18 يعرف الصراع بين المدن من جهة و بين المدن و القبائل البدوية من جهة أخرى تطورا كبيرا يتأثر بذلك اقتصاد المنطقة و مكانة المدن الاقتصادية و أيضا تجمعات القصور المجاورة بفعل ذلك تتحول محاور التجارة الهامة إلى منطقة وادي ميزاب وغيرها من المناطق.

---

(1) سلطة بني جلاب التي تأسست بتقرت في 1414 م كانت نموذجا للسلطة المحلية بتحالفها مع البدو وإنمائها لعائلات هاجرت من الجريد وغيرها تأسست كأرستقراطية محلية لاتزال بقاياها حتى اليوم، الطالب.

(2) **ابن خلدون**: المصدر السابق ص 179.

3. الحقل الديني

إن دور الحقل الديني في كونه يضفي الشرعية لمجمل الحقول الأخرى وعلى الحياة الاجتماعية بصفة عامة، إذ أن الشرع يوجه نشاطات الحكام وأيضا بقية أفراد المجتمع، تؤثر الحياة الدينية على ممارسة الحكم السياسي وأيضا النشاط الاجتماعي والاقتصادي في القصور، إن وظيفة الإفتاء وإنتاج القوانين الشرعية تسمح بالرقابة على الحياة الاجتماعية بتعريف الحلال والحرام، الطيب والخبيث، المقدس والمدنس، يتصدر طليعة الفاعلين في المجال الديني على مستوى قصور تقرت والمناطق المجاورة " الطلبة " كما يسميهم أهل المنطقة، يعيشون على هبات الناس واحترامهم يوجهون الحياة الاجتماعية ويشرفون على الحبوس والأوقاف.

إن تاريخ المدن الصحراوية على العموم يوضح لنا من خلال الفسيفساء البشرية والاجتماعية التي تتماثل مع تنوع ديني ومذهبي، إباضية، سنية مالكية، زوايا. تأثرت المنطقة ولمدة طويلة بالإباضية الذين قدموا بمذهبهم بعد سقوط عاصمتهم تيهرت على يد الفاطميين أسسوا مدينة جالوا بالقرب من بلدة عمر 20 كلم شمال تقرت ويذكر **ابن خلدون** أن أكثر أهل وادي ريغ من الخوارج يسميهم بالعزابة إشارة إلى أن العمل بنظام العزابة المشهور حاليا في وادي ميزاب إنما بدأ في منطقة وادي ريغ [1] . المذهب المالكي ينتشر في المنطقة على يد الدعاة من الذين قدموا إلى المنطقة في حدود القرن السادس عشر أمثال سيدي أمحمد بن يحي الإدريسي وغيره من المغاربة الذين نشروا المذهب المالكي بعد رحيل الإباضيين نحو سدراتة ووادي ميزاب.كثيرة هي العادات الشيعية بالمنطقة حسب الشيوخ الذين سألناهم حول هذه المسائل يمارسها السكان بعفوية والتي تعود حسب روايتهم إلى زمن الصراعات المذهبية التي شهدتها المنطقة.

مع تطور الحركة الصوفية تؤسس لنفسها زوايا أصبح لها امتدا وتاثير واسع، الزاوية التيجانية في تماسين خاصة مع القرن التاسع عشر تتوسع لتصبح ثاني مقر بعد مقرها الرئيسي في عين ماضي، تستقطب العديد من المريدين من سكان المنطقة تمارس تأثيرا روحيا كبير ما زال حتى اليوم. زيادة على الزاوية القادرية، زاوية سيدي الهاشمي الزاوية سيدي العابد، إن العادات العربية الإسلامية قد أثرت على سكان المنطقة فى كل جوانب حياتهم وهندسة منازلهم التي تستجيب لمتطلبات الخصوصية وقواعد السلوك الإسلامي، من خلال السلطة الروحية للطلبة وتوزيع المساجد والجوامع في كل أحياء المدينة وفي كل القصور هذه المساجد الصغيرة كانت توزع حسب المجموعات الاجتماعية أو المذهبية أو الطرقية بها المدارس القرآنية للصغار ذكورا وإناثا وتقام فيها الصلوات الخمس تحت إشراف إمام يختار من صف الطلبة الأرجح عقلا والأكثر معرفة بالشرع، أما الصلاة الرئيسية في الجمعة والأعياد فتقام في المسجد الكبير يحضرها الناس من كل الأحياء. هذا النظام يأخذ أيضا طابعا متدرجا يبدأ من الصغار الذين يتعلمون القرآن ثم الطالب حتى الإمام ليصل إلى إمام الجمعة هو الشخصية المرموقة دينيا، مجموعة الطلبة هي التي تقوم بالحل والربط في المسائل اليومية للسكان المتعلقة بالحياة الدينية والاجتماعية وحتى الاقتصادية بخصوص البيوع والمواريث والمنازعات الخاصة بتقسيم نوبات السقي في واحات النخيل، لتصل إلى الجامع الكبير مكان التوجيه العام الذي يربط هذا المجتمع المحلى بالعالم الإسلامي عن طريق إشعاع الزوايا.

---

[1] **ابن خلدون**: المصدر السابق ص 66.

3. التحولات وأشكال الاندماج في المجتمع الوطني العام

مع إقامة الدولة الوطنية كثمرة للإستقلال، يأخذ الاندماج في المجتمع الوطني العام عدة أشكال، إذ يشكل الجنوب وبخاصة الجنوب الشرقي أهمية إستراتيجية للحكومة المركزية بفضل آبار البترول والتي ترجع بداية استغلالها إلى سنة 1956 تم تأميمها سنة 1971 زاد في أهمية الثروة الاقتصادية الوطنية والمحلية التي تنتج عن استغلاله.في ظرف 20 سنة بعد استرجاع السيادة الوطنية ، الصحراء تتحول كلها وبعمق، تحت تأثير سياسة تطوعية، وتعميم استغلال والتنقيب عن النفط، وتأسيس إدارة جديدة. وذلك بالاستثمار والتجهيز على المستوى الوطني ويصبح التعمير واقعا غالبا، وتتضاعف المصادر الاقتصادية مما يسمح بنمو شرائح اجتماعية جديدة جهوية ووطنية أيضا.

إن التنظيم والتقطيع الإداري، والتجهيز الاقتصادي هي مفاتيح لسياسة الاندماج في المجتمع الوطني العام في الصحراء، تدمج منطقة وادي ريغ ضمن ولاية ورقلة وجزء منها في ولاية الوادي. هذه اللحمة الجديدة للتنظيم الإقليمي حتى وإن لم تضع في الحسبان الوحدة البيئية والاجتماعية والتاريخية بتقسيمها بين عدة ولايات، ورقلة، بسكرة ثم الوادي.[1] هذا لقسيم والتنظيم يسمح بإنشاء وخلق أنشطة جديدة للتجهيز والخدمات، مديريات إدارية مستشفيات مراكز صحية، مدارس ثانويات، شبكة بريد، بنوك...الخ. كانت لها آثار كبيرة على التشغيل، والسكن وتحسن مستوى المعيشة. إن استغلال النفط جاء بإقامة قاعدة كبيرة في حاسي مسعود تستقطب أبناء المنطقة للعمل الدائم والمؤقت وتعطي ديناميكية جديدة للمجتمع، وللأشغال الكبرى القاعدية والطرقات والمطارات تسهل الحركية داخل هذه الشبكة جهويا وربطها أيضا بالوطن وبالعالم. وتسمح للمنطقة والمدينة تقرت الخروج نهائيا من محليتها بلا رجعة وبهذه النشاطات تتغير الكثير من معطيات المجتمع الشكلية والنوعية.

هذا النموذج من التنمية ومنطقه الجديد المتميز بالحضور القوي للدولة في كل مجالات النشاط في مرحلة التنمية الأولى، ونظام الأجور المتنامي مما دفع الكثير من الشرائح الاجتماعية من مناطق التل للتوجه للمنطقة من أجل العمل.

تلتقي هذه التحولات الخارجية مع ديناميكية داخلية للمجتمع في المنطقة المتعدد الأصول والانتماءات وأشكال التنظيمات الاجتماعية ارتكزت هذه الديناميكية على منابع ومصادر ثقافية للمجتمع الصحراوي بالرغم من نزعة التوحيد المرتبط أساسا بالمنطق الاقتصادي وتوحيد طرق وأنماط الحياة وأشكال السكن، يبقى سكان المنطقة مطبوعين بخصوصياتهم التاريخية وهياكلهم الاجتماعية.

بتأقلم السكان مع مقتضيات الاقتصاد العام الجديد و أفول الأشكال التقليدية للاقتصاد الصحراوي برزت أشكال من التأقلم الذكي بين منطقها الهوياتي ومنطق " الدولة " المتميز " بالعصرانية " أو التحديث.

---

[1] هذا التقسيم الذي يمثل إشكالية في حد ذاته، قسم المنطقة بين ولايات غير متجانسة بيئيا واجتماعيا، الطالب.

إن الاندماج في سوق العمل في القطاع الصناعي وفي القطاع الخدماتي بالخصوص والتأقلم مع الشبكات الجديدة في الشكل الرسمي (formel)أو غير الرسمي (informel) والذي سيطرت عليه شبكات من التجارة والتهريب، امتهنته المجموعات البدوية القريبة من المدن أو الحديثة التمدن حول المدن الصحراوية عوض لها سالف عهدها بالقوافل والطرق التجارية، وتطور قطاع الصناعات الصغيرة(PMI) وبقاء النشاط الزراعي ولو مخنوقا، هذه الأنشطة والوظائف الجديدة تشهد على حركية داخلية حقيقية وهامة.

في ظرف أربعين سنة الماضية تضاعف المجتمع في هذه المدن تضاعف سكان مدينة تقرت كان جد مهم من سنة 1960 إلى 1998 يتضاعف عدد السكان ست مرات وفي الولاية ورقلة يتضاعف 15 مرة في نفس المدة إحصاء (1998 الديوان الوطني للإحصاء) الدافع الأول والهام لهذه الزيادات يرجع إلى الزيادة المفرطة في المواليد من جهة، كباقي جهات الوطن وأيضا يعتمد على قوة جذب سكاني هام من مختلف مناطق الوطن بحثا عن التشغيل، كما لعب تمدين البدو دورا كبيرا في تضخيم هذه الزيادات الطبيعية وغير الطبيعية، جداول النمو السكاني لولاية ورقلة أحياء وبلديات مدينة تقرت توضح هذه الزيادات.

جدول(3) **نمو السكـــــــان في بلديات تقرت الكبرى1977- 2001**

البلديات	تطـــور عـــــدد الســـــكان				
	1977	1987	1998	2001	نسبة النمو (87 ـــ 98)
تقرت	16400	23978	32940	36446	% 2.93
النزلة	19600	27178	40524	46025	% 3.7
تبسبست	13800	18268	29840	34890	% 4.66
الزاوية	6400	9546	15381	17905	% 4.43
مجموع الدائرة	56200	78970	118685	135266	% 3.93

المصدر :Annuaire statistique de la wilaya de Ouargla 2001

جدول (4)_**الهجرة بين البلديات في تقرت**

البلديات	لم يغيروا بلدية إقامتهم بين87 98	سكان دخلوا م بلديات أخرى بين 87 98	سكان غادروا نحو بلديات أخرى بين87 98	النتيجة + أو -
تقرت	20126	1473	4212	- 2739
النـــزلة	22313	3218	1302	+ 1916
تبسبست	17113	2165	1190	+ 995
الزاوية	8457	977	227	+ 750

جدول (5) **الهجرة من وإلى الولايات الأخرى بين 87 - 1998**

المصدر: الديوان الوطني للإحصاء : ONS RGPH 1998 N° 331

البلديات	غادروا إلى ولايات أخرى	دخلوا م ولايات أخرى	نتيجة + أو -
تقرت	1875	1586	289 -
النزلة	146	1437	1273 +
تبسبست	92	935	843 +
الزاوية	56	569	513 +
الدائرة	2169	4527	2358 +

من هذه الجداول نستنتج الأعداد من السكان التي تنمي في كل عشرية سكان مدينة مثل تقرت سواء عن طريق المواليد أو الهجرة التي انقلبت اتجاهاتها من الشمال إلى الجنوب. تاريخيا، فقد ساهم الرحل دوما في تجديد سكان الواحات والمدن الصحراوية، لكن هذه المرة وابتداء من الستينيات وكثمرة للاستقلال وتحديث الحياة كان هذا التمدن شامل ونهائي بنسبة كبيرة، على هامش المدن ثم داخلها والاندماج في النشاطات الجديدة والمصادر الجديدة للدخل[1]، حتى وإن أبقى البدو على علاقات اجتماعية واقتصادية تربطهم بعالم الريف والبداوة، إذ بنهاية النشاطات التقليدية، الرعي والنجع يجبر السكان على تغيير طرق حياتهم والانضمام تدريجيا إلى حياة المدينة، ولاندماج في النشاطات الجديدة والمصادر الجديدة للدخل والاستفادة من الخدمات والتوزيع منذ سنوات الستينيات حتى نهاية السبعينيات، نسبة الرحل في مدن ولاية ورقلة مثلا تنخفض من 40% إلى 10% إذ يتمدن ثلاثة أرباع الرحل في الولاية[1] هذا التضاعف والتحول تم أيضا على مستوى المجال، وصل حده الأعلى إلى التهام تجمعات حضرية كانت في الزمن القريب متجاورة (قصور النزلة،الزاوية العابدية، تبسبست) لتصبح مدينة واحدة متلاصقة تؤلف نسيجا عمرانيا واحدا مدينة متعددة المجموعات والشرائح والهويات. هذه الكيانات تتناسب مع انتماءات جهوية متعددة، نموذج

[1] ibid. p **Jean BISSON** 1983

[1] الدليل الإحصائي لولاية ورقلة 2001.

متراكب له تمظهرات اجتماعية متعددة ومتنوعة وأشكال من التنظيم الاجتماعي المتمـــايز، لتأخـــذ صورة الجنوب الشرقي المطبوع بالمحروقات، بمركباته الأصيلة والجهوية والوطنية، بـــين البـــدو المتدنين حديثا، والسكان ذوى التقاليد الحضرية العريقة، المتأثر بالشبكات التجارية النشطة حولـــه، وسوف و وادي ميزاب. ظاهرة العمران والتعمير في طور الإنجاز دائما غير متساوية ولا متماثلة.

1. وظائف العمران الجديدة وتحول هيكلة النشاطات

هذا المجتمع ذو النشاط المتزايد، ونظام الأجور المتنامي، توزيع النشاطات فيه ســـنة 1998 توضح التحول في الهيكلة الاقتصادية، نلاحظ أن بنية النشاط في مدينة تقرت متماثل تقريبـــا مـــع الشمال (28%)، نشاط المرأة أيضا(12.7 %) هو أعلى من المتوسط الـــوطني(9.6%) وهـــو دلالة أيضا على التقاليد الحضرية القديمة لمجتمع الواحات بخلاف البدو الرحل المتمدنين. توزيـــع النشاط بالنسبة لسنة 1980 مثلا، الزراعة(24%) من اليد العاملة النشطة فـــي مقابـــل(50%) وطنيا، والصناعة(18.7%) في مقابل(10%) وطنيا والأشغال العامـــة(19%) فـــي مقابـــل(16%) والخدمات (38%) في مقابل (23%)، هذه الأرقام[1] تعطي دلالة واضحة على المســـتوى من هيكلة النشاط السريع التحول نحو الصناعة والخدمات، ومن الواضح أن الوظـــائف الحكوميـــة المرتبطة بالثلاثي الإدارة والخدمات والقطاع الاستخراجي والبناء أصبح لها دور مهم فـــي توزيـــع النشاطات، إن أهمية قطاع التشغيل هذا والذي نسبته الكبرى من الإطارات المتوسطة والعليا يسمح بضخ حجم نقدي مهم في مسار اقتصاد المدينة والمنطقة يقوم بدوره بدفع النشاطات الأخرى ويمكن أن نقدر مداخيل الأجور بثلاثة أرباع السكان النشطين[2] وإذا كانت قاعدة المحروقات فـــي حاســـي مسعود على بعد 160كلم فهي محفز كبير على النشاط الاقتصادي والخدماتي في المنطقة، المنطقة الصناعية في مدينة تقرت كونها نهاية خط السكة الحديدية القادم من الشمال الشرقي يمر ببســـكرة تضم مؤسسات مصغرة وقاعدة لوجستيكية وإمداد لسوناطراك.

1. النشاط التجاري

من التجارة الصغيرة إلى الشبكات الجهوية الكبرى وحتى الوطنية، وظاهرة التهريب الحدودي عبر حدود ليبيا وتونس، مع نهاية التجارة التقليدية، الحركة التجارية عرفت إعادة تفعيـــل بإدخـــال حركية تجارية تتأقلم والواقع الجديد للإقتصاد العام تميزت بمستويات، تجارة صغيرة تتوزع علـــى الأنسجة الحضرية، الساحات التجارية الجهوية، والشبكة التجارية ذات المقياس الكبير، بالإضافة إلى قطاع كبير غير رسمي لا يمكن تحديد أبعاده، يمكن إحصاء تجارة واحدة صغيرة لكل 23 ســـاكن بمدينة تقرت (حسب مصالح الجباية) مما يضاعف النشاط الخدماتي والفعالية الإستقطابية للمدينة، المستوى الثاني المتميز بالنشاط التقليدي للسوق الأسبوعي الجهوي بالمدينة تطور بإنعاشه بواســـطة تجار كبار من وادي سوف وبني مزاب الذين يسيطرون على شبكات واســـعة مـــن التجـــارة فـــي الصحراء. و يبقى السوق مستقطبا للتجارة الحدودية(سوق ليبيا) وتبادلات سلع(الطراباندو) والتـــي إمتهنها أبناء سكان المنطقة خاصة من البدو الرحل المتمدنين.

---

[1] الديوان الوطني للإحصاء، الإحصاء العام للسكن والسكان RGPH سنة 1998.

[2] مصلحة الجباية، تقرت

2. الزراعة والعلاقة الجديدة (ريف - مدينة)

زراعة النخيل إنها تعيش تحولات، بجانب إنتاج التمور الذي يبقى نشاطا رئيسيا (بالرغم من تدهور النخيل المرتبط بتوسع البناء) وبالرغم من أن النشاط الزراعي لم يعد يحتل مكانا أساسيا في سلم النشاطات إذ أصبح في عموم الحالات نشاطا مكملا للمداخيل، إلا أن الزراعة تلعب دورا مهما في تدعيم المداخيل وأيضا في وظيفة هوية هذه المنطقة.

نلاحظ في واقع الحال أن نظاما عائليا للنشاط المتعدد يؤسس ضمن الأسرة تواصل فيه الزراعة الموروثة من الآباء الإمداد بالمداخيل السنوية المتداخلة مع النشاطات الأخرى تجارية أجور كراء محلات، توسع من مداخيل العائلة، بالإضافة إلى الإستصلاحات الجديدة التي أتت في مراحل مشاريع حكومية مختلفة والتي تعد بإعلان نوع جديد من الزراعة. بصفة عامة فإن النشاط الزراعي مرتبط بالاقتصاد وبالمجتمع في المدينة، تغذي الأسواق الحضرية، وتسمح ببقاء صناعة تقليدية وتجارة خاصة وبصفة أخص البقاء القوى للقروية في المسكن الحضري، السكان خاصة في الأنسجة التقليدية وما حولها هم ريفيون بالدرجة الأولى في لباس حضر.

2. هياكل اجتماعية جديدة، إعادة التشكل

النخب الاجتماعية القديمة والجديدة، في خضم التحولات الجارية تغير منطق البناء الاجتماعي في المجتمعات الصحراوية التقليدية والتي اعتمد تنظيمها على تمفصلية بين الروابط الاقتصادية والولاءات والانتماءات السلالية. في النخبة الاجتماعية القديمة والتي تتركب بين القوة و القدرة السياسية (نظام من الولاءات والتحالف ذو طبيعة سلالية بحتة). وقوة اقتصادية (الملكية العقارية والرقابة على تجارة القوافل) والشرعية الدينية والتي تظاف أو تتهيكل مع مجموعات جديدة التي استفادت من الحركية الاجتماعية الجديدة.

حسب المناطق وخصوصياتها التاريخية وأشكال اندماجها في المجتمع العام تبرز أشكال جديدة من المحليات في الصحراء، مجموعات مهنية تستطيع التأقلم وأخرى كانت ذات شأن ووجاهة يأفل نجمها، وأيضا التحولات الهيكلية للمجتمع ساهمت في الترقية الاجتماعية لعائلات وأسر جديدة، إعادة تنشيط الزوايا الديني(التيجانية مثلا) تساهم في هذه الرهانات.

إن تجنب السقوط الاجتماعي يجبر النخب المحلية على إعادة ترتيب علاقتها مع الحكم المركزي بطريقة أو بأخرى للتأقلم مع التحولات الهيكلية ، المساهمة و المشاركة في الجهاز الإداري المحلي و الوطني و الانخراط في استراتيجيته. كثيرة هي العائلات من الملاكين خاصة التي لها أعضاء يحتلون وظائف هامة في جهاز الدولة.

المصدر الرئيسي للثراء الاقتصادي لا يزال مرتبطا بالنشاط التجاري الرسمي و أيضا غير الرسمي العائلات من وادي سوف و المزاب المستقرة قديما و التي نشطت الحقل التجاري بالمدينة و المنطقة هذا النشاط نجح في إغناء شبكات من التجار النافذين و الذي سمح لهم جزء من التراكم بتمويل نشاطات صناعية خاصة السوافة بالمنطقة الصناعية بالمدينةو التي تعتبر حالتهم الاقتصادية مفاجأة إذ أن منطقتهم قد كانت مهمشة و لمدة طويلة اجتماعيا و جغرافيا، أما المزاب فقد اعتمدوا على تقليد طويل من الشبكات التجارية والمقاولات التي تربطهم بالمنطقة.

في المدينة أيضا النشاطات التجارية و الحرفية الجديدة بنـــاءون، صـــياغة، صـــناعة الخبـــز والحلويات... منتعشة بالفئات التي هاجرت من الشمال خاصة ولايات الشـــرق القريبـــة. القطـــاع الخاص هنا غير متماثل إذ بجانب التجارة الصغيرة جانب كبير من القطاع الخاص بالمدينة، تتعاون مع نشاط مكمل ذو مدخول ضعيف، يتطور قطاع من المقاولات الصغيرة و المتوسطة ذو أهميـــة متزايدة نشطة السوافة و مجموعات من منطقة الطيبات وسعيد أولاد عمر. يضاف إليها نشـــاطات متعلقة بالتوزيع والنقل خاصة باستغلال خطوط النقل البري هذه النشاطات المربحة تطورت بفضلها برجوازية تجارية و مقاولات بناء و أرباب مؤسسات صناعية صـــغيرة. و التـــي تطبـــع النخبـــة الاقتصادية الجديدة دون إغفال دور النخبة التي مارست التهريب و الذين كانوا في عهد قريب مـــن عائلات فقيرة بفضل نشاط التهريب عبر الحدود الغربية من ليبيا أو تونس، وحاليا دبـــي و بلـــدان الشرق الأوسط أصبحت طبقة مهمة تستثمر أموالها في النشاط العقاري أو النشاط التجاري الرسمي.

1. بروز الطبقات الوسطى

مع تحول هيكلة النشاطات المأجورة و الاقتصادية، تتشكل مجموعات اجتماعية هامة العدد و تتموقع بين النخب الاقتصادية للقطاع الخاص و بقية المجتمع، إنها الطبقات الوسطى التي تجمـــع الإطارات المتوسطة والعليا و التي مصدر رزقها قطاع الدولة و التي احتلت مكانة حقيقية و هامـــة في المظهرية الاجتماعية الجديدة. ينتمي هؤلاء إلى النخب الاجتماعية الجديدة من خلال أهميـــة و ضعيتهم الاجتماعية السياسية والرمزية و الثقافية التي تعوض لهم المداخيل الاقتصادية، إن مداخيلهم المؤمنة برأسمال ثقافي و شهاداتي، من 14 إلى 20 % من السكان النشطين في المنطقة لها مستوى دراسي ثانوي من 2 إلى 4 % مستوى جامعي هذه الأنواع الجديدة من المجتمع تســـاهم و بدرجـــة كبيرة في إدخال أنماط جديدة من الحياة. إن التأطير الذي تم تأمينه من أفراد قادمين من الشمال في السنوات الأولى من الاستقلال عوض تدريجيا بنخبة محلية و إطارات ولـــدت بالمدينـــة باســـتثناء عائلات المجاهرية و التي اكتسب أبناؤهم التعليم في المدارس الفرنسية و استطاعوا التموقـــع فـــي الإدارة المحلية و الوظائف الحرة مبكرا. المهن الحرة و التي تحتاج إلى الإطارات العليا كان لهـــا نفس الإطار (مكات الدراسات. ، عيادات طبية خاصة، صيادلة...).

2. الهيكلة الشعبية والفقر الجديد

إن حركية النخب والطبقات الوسطى لم تحجب أعداد كبيرة من السكان من الوســـط الشـــعبي وأنماط الفقر الجديدة. إن الأجور وحجم العائلات الكبير والنسبة الضعيفة للتشغيل والنشاط والأميـــة المتجذرة خاصة في أوساط ابدو الذين تثبتوا حديثا تجعل في كثير من الأحيان وهو الغالب عائلـــة من 6 إلى 7 أفراد تعتمد في معيشتها على أجرة واحدة لعامل بسيط أو عون خـــدمات أو موظـــف إدارة أو معلم. إن اقتصاد البترول القريب من المنطقة وإن كان يلعب مهم في توزيع حجـــم نقـــدي مهم، لكن وظائفه في أغلب الأحيان مؤقتة (80% من الوظائف في هذا القطـــاع مؤقتـــة) وتعنـــي وبصفة كبيرة وظائف لا تشترط نوعي من التكوين (نوعية التكـــوين والشـــهادات) أمـــا التقنيـــين والمختصين يأتون في أغلب الحالات من الشمال. بالرغم من حركية القطاع الاقتصادي بالمنطقـــة والمدينة بالخصوص، فإن نسبة البطالة مرتفعة 30%في المتوسط. وهو العامل الذي يغذي وضعية الفقر والذي لم ينجح قطاع التهريب والطرابندو والعمل غير الرسمي المتعدد الأشكال والمســـتويات

أن يمتصها. هذه الوضعية المتشابهة في كل الوطن تضعف مجموعة كبرة من السكان ينعكس هـذا مباشرة إلى اللجوء إلى التضامن العائلي والتعايش في نفس المسكن لعدد كبير من الأسر والاعتماد على الأبناء وفي أغلب الحالات على الابن الوحيد الموظف باقتسام مداخيله وهـي حلـول أقامهـا الوسط الشعبي لتوصل إلى تغطية جزء من الحاجيات الأساسية وبصعوبة كبيرة. وبهذا نشـأ إلـى جانب الهيكلة الاجتماعية العمودية أي المعتمدة على التدرج الاقتصادي العمـودي هيكلـة أفقيـة مصدرها التضامن العائلي الأفقي منطق ذو مصلحة اقتصادية. إن الحقيقة الحضرية والتي تطمـح إلى إذابة أو التخفيف من الروابط السلالية وإعادة تركيب النسيج الاجتماعي، (نظريا) فمن المؤكد آن التضامن والتآزر العائلي والقبلي يخفض بالكثير من فعاليته وديمومته وتأكيد وجوده، ويتمفصل مع تدرجات اقتصادية بشكل ذكي، خلق تمايزات في الثروة وطرق أنماط الحياة ومسارات لهويات اجتماعية مركبة ومعقدة.

3. التعمير و الأنسجة العمرانية

في أغلب الأحيان حاليا تأخذ المرفولوجية المجالية للمدينة الصحراوية شكل انضمام Agrégationلعدة أنسجة تتماثل مع أربعة فترات تاريخية لعمران:

1. القصر أو المدينة التقليدية التاريخية و التي تؤلف نواة المدينة.
2. - المدينة أو الإضافات الكولونيالية حول المدينة القديمة أو على جانبها.
3. -الأحياء العشوائية التي ميزت الفترة الأولى للاستقلال أوالتي ضمت تثبيت البدو الرحل.
4. أحياء التعمير المبرمج في إطار البرامج السكنية المختلفة من سكن فردي ذاتي وسكن جماعي ونصف جماعي.

هذه النماذج تطورت برتمية مختلفة و بمنطق مختلف، القصور تنمحي، المنـازل التقليديـة الواسعة تختفي لصالح سكنات فردية أو فيلات تأخذ شكل ما يجري في الشمال المراكـز القديمـة تتدهور في صالح مراكز جديدة أو بؤر من الفقر في قلب المدينة.

مدينة تقرت لا تختلف عن هذا النسق العام ، في أصل المدينة الحي التاريخية مسـتاوة، إلـى جانب القصور المجاورة ، النزلة ،تبسبست ، الزاوية أصبحت في قلب المدينة نتيجة التوسع ممـا يعطينا مدينة واحدة ذات أربع أنوية رئيسية قديمة هي الآن مقر ل 04 بلديات نتيجة التقسيم الإداري لسنة 1984م ، والذي بموجبه ارتقت هذه الأحياء لتؤلف بلديات مستقلة إداريا لكنها مدمجـة فـي نسيج مدينة واحدة هي مقر دائرة .

جدول (6) **تطور حضيرة السكن في دائرة تقرت**

البلديات	حضيرة السكن 1987	حضيرة السكن 1998	تقديرات 2001
تقــرت الوســط	3936	5287	5850
النزلـــــــة	4147	6590	7485
تبسبســـت	2683	4594	5371
الزاويـــــــة	1583	2251	2620
المجمـــوع	12349	18522	21326

المصدر : Annuaire statistique de la Wilaya de Ouargla 2001

جدول (7) **توزيع السكنات المشغولة حسب نوع السكن في دائرة تقرت**

	سكن جماعي	سكنات فردية	سكنات تقليدية	أخرى	مؤقتة	غير محدد	المجموع
تقرت	660	3376	44	18	290	81	4469
النزلة	78	659	4187	03	22	39	4988
تبسبست	765	664	2553	6	4	36	4028
الزاوية	19	1734	25	3	1	6	1788
المجموع	1522	6433	6809	30	317	162	15273

المصدر: الديوان الوطني للإحصاء ONS RGPH 1998

1. " القصور" التدهور الحتمي

القصر كشكل تقليدي للسكن ولتنظيم المجال، هو الآن في بؤرة التحول، يطرح تحوله الكثير من التساؤلات حول مصيره، باختفائه يختفي وللأبد شكل هندســي ملــيء بالــدلالات والــدروس المعمارية. بالرغم من الإحصائيات التي تشير إلى أكثرية السكن من النوع التقليــدي فــي بلــديات النزلة والزاوية وتبسبست إلا أن حقيقة هذه الأرقام تشير إلى سكن متدهور تعرض إلى العديد مــن الإصلاحات والتدخلات أفقدته صيغته التقليدية، أصبح فقط سكن قديم. إن مسار هذا التــدهور فــي تسارعه يشير في نفس الوقت إلى نوع من المقاومة وإن كانت ضعيفة ودون وسائل مادية، حتميــة توسع الأنسجة الجديدة وخصوصية الواقع المحلي الجديد وبشكل عام على مستوى الصحراء، أصبح السكن التقليدي يمثل نسبة هامشية أكثر فأكثر مما يعكس تدهور القصور، في مدن الجنــوب هــذا النموذج من السكن هو في الواقع الآن لا يمثل سوى(3%) من حضيرة الســكن (أدرار، بشــار، بسكرة، الوادي) فقط ورقلة بقي هذا النوع يعادل(35%) من حضيرة السكن وفي تقرت الكبرى (17.7%) ومن أربع حالات من مصير قصور الجنوب وهــي: المحافظــة، التــدهور، الهجــرة، التدمير. يمكن ان تنطبق حالتين على قصور مدينة تقرت.

توضح وضعية المدينة التاريخية مستاوة مستقبل الأنسجة التقليدية، فقد حطم جزء منــه فــي العهد الاستعماري بما فيه قصر السلطان الذي وضعت في مكانه ثكنة عسكرية ومنذ ذلــك الحــين يشهد تدهورا مستمرا نتيجة خروج المدينة عن أسوارها وبداية التعمير بمنطق جديد. نتيجة تــدهور سكناته وغياب الترميم قامت السلطة المحلية بعدة مشاريع إسكان لعائلاته لكن بمجرد خروج السكان

يعوض هؤلاء بسكان جدد في الثمانينات وذلك تحت ضغط أزمة السكن موجات من الهجـرة إلـى المدينة من الضواحي والبدو الرحل وأيضا النمو الديمغرافي الكبير، وانتهـت بتـدهوره النهـائي وتحطيم عدة أجزاء منه بقرار من السلطات المحلية بعد ان وحد معظم السكان للاستفادة من سكنات إجتماعية أو في إطار السكن الريفي أو السكن التطوري.

بقيت فقط بعض الكتل والتي تقع على حواف شوارع رئيسية حالته في وقت تهديمه بقيـت بـه 108 عائلات أي 820 من السكان في 155 مسكن منها 52 مهجورة، و70 منها تظهر حالة متقدمة من التدهور هذا القصر برمج كونه يقع في وسط المدينة تقطعه محاور كبيرة عرضا وطولا ليـتم إدماجه في هيكلة المدينة الجديدة، وما تم الحفاظ عليه هو فقط المسجد الكبير والمسـاجد الصـغيرة التي اعيد ترميمها وأيضا مقر الزاوية الهاشمية عليها وحدها فقط أن تذكرنا بعظمة عاصـمة بنـي جلاب.

القصور المجاورة والتي من ضمنها قصر النزلة ميدان دراستنا الميدانية والتي أصـبحت الآن نتيجة توسع المدينة ضمن النسيج العمراني للدائرة الكبرى وبالرغم من أن كل منها مقر بلدية، تشهد تدهورا كبيرا وتحولا عميقا نلاحظ أن معظم السكان استفادوا من سكنات جديدة في أحياء مختلفـة، والعائلات التي استفادت من السكن لم تتحول في مجملها بل احتفظت بسكناتها القديمة والتي بقـي فيها جزء من الأسرة أو قامت بكرائها لأسر أخرى لم تستفد من السكن أو سـكان أكثـر فقـرا أو القادمين الجدد من التل أو من الأوراس أو من أحواز المدينة، وأصبحت مثل حالة النزلة القديمة إلى مقاطعة حقيقية للفقر وحتى لممارسات مشبوهة، بسبب اختفائها عن الأنظار وصعوبة سالكها وأثمان كرائها الرخيصة، حالة النزلة تعد أحسن تمثيلا لهذا الوضع.

إن كثافة هذه القصور كانت مسؤولة عن جزء كبير في هذه التـدهور وإضـعاف مسـاكنها، عرفت النزلة، وتبسبست كثافة كبيرة حتى قبل الاستقلال، النزلة(4187) سكن مصنف تقليدي أي (83.90%) من حضيرة السكن، تبسبست (2553) أي(66.70%) إضافة إلى صعوبة المسالك وضيق الأزقة التي لم تعد تتماشى مع الحركة الجديدة وسائر المواصلات وغياب الصيانة وصعوبة الربط بشبكات التصريف وأيضا المواد المحلية التقليدية الضعيفة المقاومة ففي فيضانات 1969-1990 تضررت هذه القصور كثيرا.

2. مخططات التعمير والرسومات الجديدة

السياسات العمومية للتعمير مطبوعة بمنطق جماعي تلجأ إلـى أدوات التسـيير العمرانـي ، مخطط شغل الأراضيPOS [1] و مخطط التهيئة العمرانية التوجيهيPDAU[2]، والمتعلقة ببرمجـة الأراضي المراد تعميرها، أهدفها إدماج مجالات عمرانية موجودة ضمن النسيج العـام، وتوزيـع السكن والتجهيزات من خلال محاور كبرى للاتصال والمواصلات التي تلعب دور المهيكل للأنسجة العمرانية. الأنسجة القديمة (الموجودة قبل المخططات) فقد تم حصرها، وأصبحت موضوع تدخلات مختلفة بوضع شبكات من الطرق والمسالك، ومحاصرة المدينة الموجودة والأحياء العشوائية لتجنب توسعها والسماح بإنشاء القنوات. وأيضا تنظيم التوزيع العقاري في إطار برامج السكن التي تـوزع

[1] POS عدد البرامج المنطلقة في ولاية ورقلة 78 أنجز منها 54.

[2] PDAU عدد البرامج المنطلقة في ولاية ورقلة 16 أنجزت كلها. Annuaire statistique de W Ouargla 2001

بين السكن الجماعي(collectif) والسكن الفردي، وتسمح بالتأطير المجالي لرسم خطوط مركزية حضرية.

هذا التسيير التقني للمدينة لا يسمح إلا بهامش صغير لا يلاحظ من المشاركاتية والتشاور مع السكان، وتبقى عملية بلورة المشاريع داخل أجهزة التسيير والقرار البعيدة عن السكان[1] وحتى المجتمع المدني المؤطر في الجمعيات لم نجد في برامجه اهتمام بهذا الموضوع.مراكز مدينة جديدة تظهر، جعلت القصور القديمة بقيت للخراب تحتفظ فقط بوظيفة رمزية، و المدينة توجهت لتحيا على الشريان الرئيسي المار بجانب القصور القديمة على طوله ترصفت كل مشاريع البناء والتجديد والتحديث والتخطيط، يمر هذا الخط من الزاوية مرورا على تبسبست ثم تقرت وانتهاء بحي عين الصحراء في النزلة، على نفس منطق خط وادي ريغ، وظهرت مراكز مصغرة إضافة إلى مركز المدينة تقابل كل قصر قديم بها كثافة تجارية، مقاهي، ساحات وكثافة حركة. مما يمثل المحور المركزي للمدينة.إن إعادة إنتاج شبكة عمرانية جديدة داخلية استلهمت من الوضع القديم.

3. التوسعات الجناحية والسكن الفردي الذاتي

وضعت تخصيصات لأراضي جديدة، زاحمت الصحراء، والشطوط، وتوسعت في كل اتجاه مع دفاتر شروط خاصة وطرق بيع مقننة سجلت ضمن برامج جديدة مختلفة مثل ما وقع في مدن الشمال قبل 15 أو 20 سنة، التطور العمراني أدخل إستراتيجيات سكنية جديدة شجعته السياسة العمومية ساهم في بناء هويات إجتماعية جديدة[2] ، المدينة اليوم تتوفر على أحيائها السكنية الراقية الفيلات المنجزة بهندسة مختلفة كان الهاجس الكبر في إنجازها هو إبراز الثراء مثل شارع " الكويت" الذي أصبح يرمز إلى هذا النوع من السكن الراقي أين تجمع فيه العديد من أثرياء السوافة الذي يرمز إلى نجاحاتهم التجارية والبرجوازية الصغيرة المتنامية، بهذه الأجنحة الجديدة تتطور المظاربة العقارية تؤدي إلى ظهور أحياء متمايزة اجتماعيا من جهة المنازل والفيلات الكبيرة التي تعكس التنمية الاجتماعية الجديدة وأسلوب الحياة الذي تبناه.

النموذج الأكثر انتشارا هو السكن الفردي الذي يمثل(54%) في الولاية من حضيرة السكن في أجنحة عمرانية جديدة (لكل بلدية من البلديات الأربع فضاء توسعها) في أغلبها مشاريع مدنية منازل غير مكتملة في معظمها ذات طابق أو طابقين في أحياء متمايزة يظهر ذلك من سعر المتر المربع، وسعر المنازل (سعر المنزل في حي الرمال مثلا يمكن شراء بثمنه 4 مساكن في حي عين الصحراء بنفس المساحة ونفس مستوى البناء) هذه التوسعات على طول المحاور في هندستها معظمها مستلهمة من الشمال لكن مع تطعيمها بعناصر أساسية من السكن التقليدي كالحوش التي تفرضه الظروف الطبيعية، هذه المنازل للمرأة دور كبير في تخطيطها وتوزيع عناصرها. وأيضا الملاحظة العامة أن التأثيرات الجهوية وأصل ساكنيها في التركيب الاجتماعي للمدينة تأثر كبير في توزيعها ومظهرها، هي منازل مهيأة للتوسع عموديا حسب حاجة الأسرة للتوسع خاصة بعد زواج الأبناء، هذا التوسع سمحت به طبعية مواد البناء الإسمنتية والحديد، عوضا عن التوسع القديم الذي كان يتم أفقيا في متسع من الأرض.

---

[1] كان هذا موضوع سؤال وجهناه للعديد من الأسر في مجال بحثنا الميداني أجاب معظمهم بأنهم لا يعرفون شيئا عن من يخطط المدينة كلهم يجيبون" الدولة".

[2] **Said BELGUIDOUM** : « *Urbanisation et urbanité au Sahara* » in Méditerranée, Revue géographique des pays méditerranéens n° 3-4 -2002 ; p 36.

مساكن عائلية في معظمها أنجزت بتكاتف جهود الأسرة من توفر وادخار ومساهمة الأبناء الكبار وأيضا في كثير من الأحيان بيع مجوهرات الزوجة، وعمل الأبناء، المسكن القديم يتم كرائه أو استعماله في وظائف تجارية ليساهم مدخوله في توسيع المنزل الجديد وإتمام بناؤه هذه الأشكال من الممارسات هي العنصر الغالب الآن في المظهر العمراني الجديد.

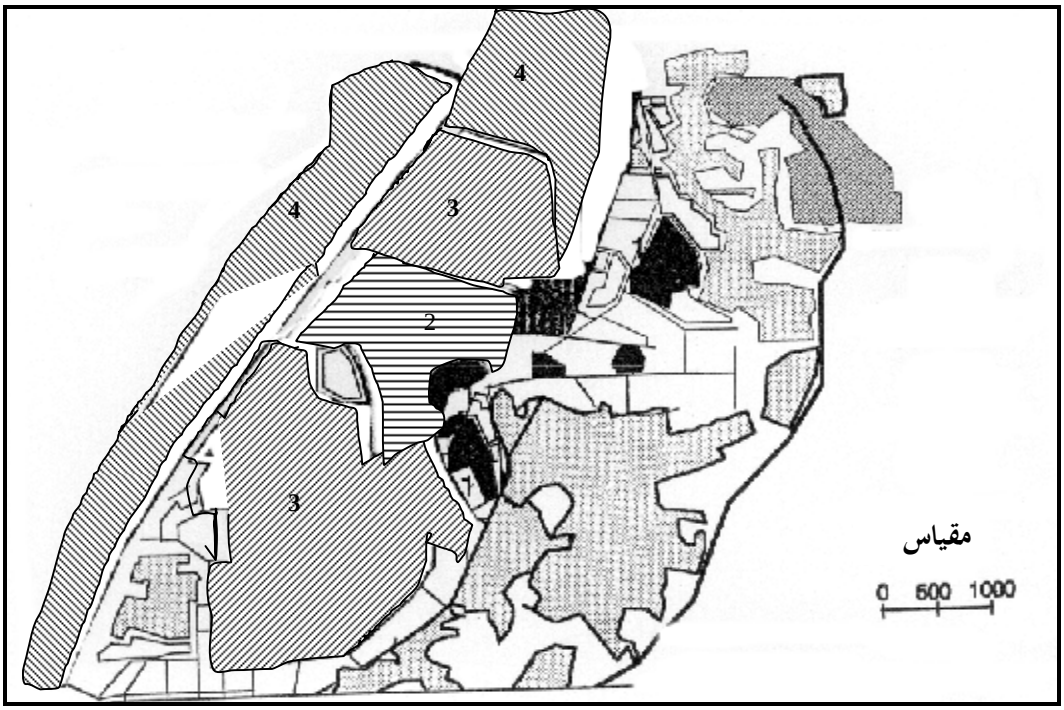

المصدر : Allaoua AMMICHE , ibid p 53

الشكل (12) مناطق توسع المجال في مدينة تقرت

1. القصور القديمة
2. التوسعات الكولونيالية
3. التوسعات الأولى حتى نهاية الثمانينيات
4. التوسعات الحالية

خلاصة الفصل

من" المدينة - القصر" إلى المدينة " الحديثة "

إن المرور من المدينة التاريخية أو القصر إلى المدينة " الحديثة " يطرح العديد من التساؤلات حول النتائج التي يحدثها على أنماط الحياة الاجتماعية والممارسات الحضرية، إن تـــدهور الســـكن التقليدي في القصور والتطور المتسارع لهذه المدينة التي كانت مطبوعة بالمحلية قبل بضع سنوات، هذا التطور المرتبط بالنمو الديمغرافي تأثر و أثر في التحولات في الهيكلة الأسرية والاجتماعية. إن التوسع المجالي لهذه المحليات بعد أن خرجت المدينة عن أسوارها والقصور عن أزقتهـــا الضـــيقة المغطاة أدخل أساليب جديدة للحياة وشروط جديدة ومتطلبات جديدة على المجال المكون في الرفاهية في استعمال فضاءات المنزل تحث على التفكير في مستقبلها حول أي مشروع مدني أو حضري هو في طور الإنجاز.

إن العمران كونه نموذجا لتنظيم المدينة. هو ليس محايدا، وراء كل قرار عمراني يختبئ رسم اجتماعي وسياسي، بين الخط المستقيم والخط المنحني بين المستطيلات والدوائر المركزية حلـــول اجتماعية يجب أن توجد. المسألة العمرانية في الجزائر اعتمدت على الحلول المستوردة من أوربـــا المطبوعة بالنمو الرأسمالي والصناعي، من المؤكد أن تدهور النسيج العمراني للقصـــور والســـكن التقليدي، والشروط الاقتصادية الجديدة وعدم وظيفية القصور تجبر المخططين على التـــدخل علـــى مستواها ولكن السؤال المطروح حول أي نوع من التغيرات أو التعديلات.الصحراء تعيش عبورا و تحولا اجتماعيا – إن عمران الصحراء عمران ذو دلالة كيف يتكيف الآن مع المنطق الجديد؟

الفصـــل الثـــاني

حي النزلة، المجال الأوساط والهياكل الاجتماعية

1. منطق المجال العمراني في النزلة.
2. المجموعات الاجتماعية في النزلة مجموعات أصيلة بين التمـــايز والذوبان.
3. الهياكل الاجتماعية الجديدة، إعادة التشكل
4. الأنساق العائلية، الأسر والعائلات في مجال الدراسة
5. الزواج والقرابة والسكن، نطاق للتعبئة.

مقدمة

إن تاريخ المدن والقصور في الصحراء بشكل عام هو تاريخ من التراكمات والهجرات والتوطنات المتعاقبة قديما وحديثا[1]، هذه المجموعات المعقدة في تركيبة هوياتها التاريخية والاجتماعية وتواريخ قدومها واستقرارها وأسبابه وظروفه. محاولة التمعن في هيكلتها الاجتماعية وطريقة توزيعها في مجال دراستنا النزلة، يجعل منها مجموعات متمايزة، هذه المجموعات التي تشكل الواقع الاجتماعي للمدينة والأحياء المعروفة بتعدد انتماءاتها الاجتماعية والجغرافية وتمايزها منذ القديم.

في النزلة، مجال دراستنا الميدانية، كونها جزء من النسيج العمراني لمدينة تقرت حاليا – حتى وإن أضحت مفصولة إداريا بفعل التقسيم الإداري الأخير كمقر بلدية - مثلت وإلى وقت قريب أحد أهم القصور المجاورة لتقرت المدينة، نظرا للكثافة السكانية الكبيرة التي ضمتها (40524) من السكان في 1998، قادتنا ملاحظاتنا الأولية إلى التصنيف الواضح بين مجموعة الفلاحين القدامى سكان الواحات ذوي التقاليد الحضرية الحشاشنة، أو" الرواغة " كما سماهم **ابن خلدون**[2] المتمركزين مجاليا في الأحياء القديمة التي هي في الأصل أنوية القصور القديمة ذوي ملامح البشرة السوداء. و مجموعات البدو المتمدنين والذين يقسمون بدورهم إلى صنفين رئيسيين، الصنف الأول من أنصاف البدو (semi-nomades) الذين جاوروا وعاشوا وتبادلوا مع سكان الواحات منذ قرون قديمة ومناطق قدومهم قريبة نسبيا من المنطقة، والصنف الثاني من البدو المتمدنين حديثا من أولاد نايل الذين بدأو الإتصال بالمنطقة فقط منذ منتصف القرن العشرين كرحالة موسميين يحلون بالمنطقة في موسم الخريف، توزيعهم المجالي المعزول عن المدينة يبرز منذ الملاحظات الأولية حداثة تمدنهم واستقرارهم في المنطقة.

بين "الحشاشنة" فلاحي النخيل القدامى، والبدو المتمدنين في فترات تاريخية مختلفة ومتعاقبة، هناك تمايزات تاريخية في الهيكلة الاجتماعية والأسرية لها تاريخ طويل هي في تغير وإعادة تشكل نلمسها بدرجة واضحة في المحادثات التي قمنا بها مع السكان ومع الأعيان وأيضا من نتائج الاستجواب أي قمنا به في صيف 2001 تمكننا من الوقوف على الكثير من جوانب الواقع الاجتماعي لهذه البلدية! ، هذه الوقائع النوعية قد تكون دلائل ولوفي ميدان محدود على ما تشهده مدن الصحراء اليوم من تحولات في الهياكل الاجتماعية والأسرية وعلاقاتها بالمجال، هذه العلاقات بين الهياكل الاجتماعية المختلفة المتراوحة بين منطقها المستمد من ثقافاتها المختلفة وهوياتها وإعادة تركيبها ضمن عمرانية جديدة في مدن الصحراء المنخفظة وهي في نظرنا إشكالية رئيسية تتعلق بتوطن البدو والتحول الإجتماعي المجالي الذي يشهده سكان الواحات.

إن تتبع معالم المنطق العمراني والتعميري الذي شكل التوسعات والتوطنات في مدينة تقرت بشكل عام والنزلة بشكل خاص، والمرتبط أساسا بهذه الحركية الاجتماعية في التوسع والتمدن، يمكن من خلاله فهم الواقع الاجتماعي النوعي اليوم والمتعلق بالمجال الإقاماتي والسكني لهذه المجموعات الاجتماعية ودلالاته.

---

[1] **Said BELGUIDOUM** : ibid. p 37.

[2] **ابن خلدون**، المرجع السابق، ص 96.

1. منطق المجـــال العمراني الجديد في النزلة

النزلة من قصـــر صحراوي عتيق إلىحي... إلى مقر بلدية... !

1. المدينة، تقرت

المورفولوجيا العمرانية لمدينة تقرت والتي تعتبر النزلة جزءا منها تتكون من عدة أنواع مـــن الأنسجة تأتي في مقدمتها تاريخيا، الأنسجة التقليدية التاريخية التي تعتبر كأنوية تقليدية في المناطق الوسطى للتجمعات الحضرية، المدينة التاريخية مستاوة ذات الشكل الدائري، والتي تدهورت بشكل متقدم لم يبق منها سوى بعض المعالم القليلة الشاهدة على ماض مجيد، كانت المدينة التاريخية مقر السلطة المحلية الحاكمة تضم أيضا الأسر المحلية الإقطاعية من المجاهرية وغيرهم مـــن التجـــار والحرفيين واليهود.

الأنوية الأخرى والتي أصبحت الآن في قلب النسيج العمراني للمدينة الكبيرة، هـــي قصـــور قديمة (النزلة، تبسبست، الزاوية) هذه القصور ضمت السكان المحليين من الحشاشنة قصور سكنية بالدرجة الأولى تألفت من وحدات سكن كثيفة ومتراصة لضمان أكبر قدر من الظل كانت أهميتهـــا العمرانية أقل من المدينة التاريخية شهدت القصور العديد من التوسعات حسب التعداد السكاني فـــي فترات تاريخية مختلفة.

النسيج الكولونيالي الذي أحاط بالمدينة التاريخية وبالقصور، معظمه كمباني أضيفت في الحقبة الاستعمارية منازل لبعض الموظفين في الإدارة الفرنسية وبعض المنشآت الرسمية هذا النسيج الذي أقام القطيعة الأولى مع المنطق المنحني والدائري للأنسجة التقليدية. بعض التوســـعات التعميريـــة أضيفت في الحقبة الاستعمارية ذات خطوط مستقيمة تفرعت من الأنوية التقليدية أبرزهـــا الحـــي الأوربي حول المدينة التاريخية مستاوة وتوسعات الثلاثينيات وحتى الستينيات في حي النزلـــة، تـــم التوسع أيضا في اتجاه الشمال بإنجاز أحياء جديدة في الحقبة الاستعمارية المتأخرة كامتداد لمستاوة في اتجاه محطة السكة الحديدية ضمن حي " لاڤار"، يسجل في هذه الفترة خروج المدينة التاريخيـــة عن أسوارها وتوسع القصور نحو منطق جديد تميز بالتعمير ذو الشكل المستقيم في شـــكل بنايـــات مستطيلة الشكل تفصلها شوارع واسعة، سجلت الفترة أيضا تحولا في مواد البناء المستعملة، نلاحظ في هذه التوسعات استعمال الجبس المحلي والحجارة والتسقيف بدأ باستعمال الأعمـــدة الحديديـــة، واختفت الوسائل التقليدية كالطين والرمل، الهندسة أدخلت عليها بعض العناصر الجديدة التي مزجت بين الهندسة القديمة والحديثة.

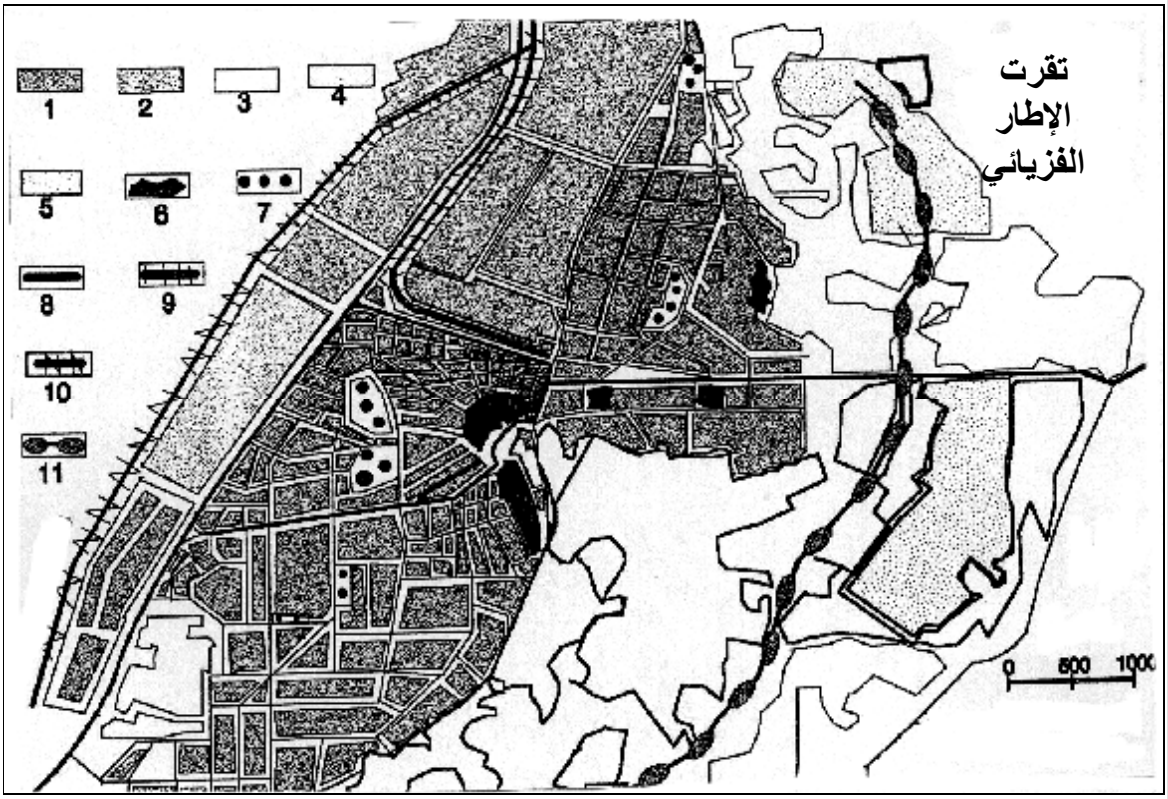

المصدر : Allaoua AMMICHE « L'espace urbain de Touggourt (Oued righ) Etude D'amenagement » thése de Doctorat Université de Provence. P 51

1. ***بنايات موجودة***
2. ***مناطق للتوسع***
3. ***مناطق زراعة (نخيل)***
4. ***منطقة عسكرية***
5. ***منطقة شطوط***
6. ***قصور قديمة***
7. ***مقبرة***
8. ***شوارع رئيسية***
9. ***سكة حديدية***
10. ***سكة حديدية (مشروع)***
11. ***قناة وادي ريغ***

المدينة وبشكل عام أخذت الشكل الخطي يشمل القصور التي كانت مجاورة لتصبح مرتبطة بمد خط يربط القصور المجاورة التي تتوسع في اتجاه بعضها البعض لتظم الفراغات بين القصور والمدينة التاريخية في منطق خطي متوازي مع اتجاه انحدار حوض وادي ريغ وهو الذي أعطى لمدينة تقرت المنطق الخطي الذي أصبح يتوسع في اتجاه المحاور الرئيسية، محور يربط القصور من الزاوية شمالا وحتى النزلة مرورا بت بسبست وتقرت والمحور الثاني ينطلق من مدخل المدينة

الشمالي الغربي قرب محطة السكة الحديدية في اتجاه شرق غرب يشمل تقرت وتبسبست وينتهي في اتجاه الوادي سوف، عند التقاء المحورين في الوسط قرب التوسعات التي لفت الحي القديم مستاوة تشكل وسط المدينة. على هذه المحاور التي أصبحت نقاط الجذب تشكلت البنايات الهامة والرسمية منها مقر الدائرة القديمة والمستشفى وبعض المحلات ونقاط التجارة.

في سنوات الاستقلال بدأت التوسعات الحقيقية للمدينة في إطار مشاريع عمرانية متعددة وأحياء جديدة من السكن الفردي والجماعي، حسب توجيها المخططات المديرة للتعمير والعمران ومخططات شغل الأراضي. يمكن أن نمعلم التطور المجالي لمدينة تقرت بالتواريخ التالية التي لها دلالتها في التوسع العمراني والإداري والاجتماعي للمدينة أولا مرحلة سنوات الإستقلال 1962 عندما رسمت المدينة القطيعة النهائية مع الأنوية التقليدية سنة 1971 المتميزة بالتطورات في ظل التنمية الإشتراكية في إطار المشاريع التطوعية وسنة 1983 بتوطن البدو في الأحياء المعزولة 1984 التقسيم الإداري الذي أعطى الاستقلالية المجالية للأنوية القديمة في شكل بلديات مستقلة تقاسمت المجال العمراني ثم سنوات التسعينيات 1993 وتطور التوسعات الجديدة، هذه المعالم سوف تنعكس بدرجة واضحة على مسارات الإقامة للأسر واستراتيجيات المجموعات الاجتماعية في التوزيع على المجال في مدينة تقرت وفي النزلة مجال الدراسة الميدانية التي تتمفصل في هذه المراحل المعلمية يساعد ذلك في تفهم التعبئة المجالية الاجتماعية وكيف تأقلمت مع هذه التطورات المجالية للمدينة.

نلاحظ أيضا أن وبصفة عامة الاتجاهات التي أخذتها هذه التوسعات تختلف مع المنطق التقليدي في احتلال المجال إلى منطق جديد قد وهو انزلاق التوسعات العمرانية نحو المحاور الكبرى للمواصلات والطرق الرئيسية.

1- توسع نحو الشمال نحو المحور بين تقرت والمقارين في اتجاه الزاوية وعلى طول الطريق الوطني.
2- نحو الجنوب في محور الربط بين تقرت وتماسين وفي محور الطريق الوطني نحو ورقلة (التوسع الذي يخص النزلة).
3- نحو الشرق على طول محور الربط بين تقرت والوادي سوف.

إضافة إلى أحياء تمدن البدو الرحل التي بدأت في الظهور منذ السنوات الأولى للاستقلال التي بدأت في شكل تجمعات من الأحياء القصديرية أو في شكل السكن العشوائي، ثم دخلت في الأنسجة العمرانية الرسمية عن طريق تثبيت البدو النهائي في أحياء معينة، كانت في سنوات قليلة ماضية منعزلة عن الأنسجة المكونة للمدينة ثم أصبحت من ضمن هذه الأنسجة نتيجة توسع المدينة نحوها في السنوات الأخيرة، المخطط العام للتوجيه العمراني حدد أهداف وميكانيزمات عملية التعمير والعمران في المدينة بصفة إجمالية، لكن التوسع على المحاور والتقسيم الإداري الأخير وبالرغم من التوجيه الموحد للمدينة إلا أن المخططين ومكاتب الدراسات يلاحظون أن المدينة فقدت من وحدتها العمرانية في توجيهها نحو مركز بتطور عمرا نيتها في أشكال عشوائية، بحيث يشعر المتجول في المدينة أنه يتنقل بين أحياء كبيرة متجاورة وليس مدينة واحدة، بالرغم من عملية التعمير الموجهة

فإن المنطق التقليدي للقصور المتجاورة فرض ديمومته كما فرضت الممارسات والإستراتيجيات التي تطبقها المجموعات الاجتماعية المشكلة للتركيبة السكانية لمدينة تقرت ديمومتها أيضا.

إن تاريخ التعمير وتطور الأنسجة العمرانية له العديد من الدلالات والتقاطعات مع تطورات هامة في التاريخ الوطني عموما وأيضا في التطورات الاجتماعية والاقتصادية والإدارية التي شهدتها المدينة. هذه التطورات التي نأخذها على أنها تواريخ معلمية تشهد على تطور الأنسجة العمرانية في المدينة تقرت عموما وعلى مستوى مجال دراستنا الميدانية النزلة بالخصوص، بداية من سنوات الاستقلال، سنوات السبعينيات المتميزة بالتغيرات الاقتصادية الاجتماعية والسياسية منها انفتاح العمل في شركات البترول التي كانت المفتاح الذي أعطى لعملية التمدن والتثبيت هذا المدى الكبير، والمشاريع الكبرى التي أثرت على تطور المدينة، كالثورة الزراعية وبناء القرى الاشتراكية، سنوات الثمانينيات وما طبعها من تثبيت البدو في الأحياء المنعزلة و الحدث المعلمي الهام المتمثل في قانون التقسيم الإداري لسنة 1984 الذي قسم المدينة إلى أربع بلديات تتقاسم نسيج عمراني متداخل. ثم سنوات التسعينيات التي رأت الإندفاعة الكبيرة نحو توسع الأحياء الجناحية للسكن الفردي في كل الاتجاهات وخلقت الأحياء الجديدة، التي تستمد من المحاور الكبرى للمدينة وسيلة ربطها ومنطق تعميرها.

عند تحليل حظيرة السكن بشكل عام في مدينة تقرت وذلك حسب المخطط التوجيهي العام للعمران والتعمير **PDAU**، أن المشكلة الأساسية بالنسبة لتقرت بصفة عامة هو النقص الكبير في التغطية السكنية بالنظر إلى النمو الديمغرافي الكبير إذ تحتوي حظيرة السكن على(14459) سكن بزيادة قدرها (282) سكن في السنة بمعدل شغل للمساكن يتراوح من(6.12%) إلى (6.73%) في سنة 1993 وقدر الاحتياج للسكن سنة 1993 (5195) وحدة سكن[1] . هذه الأرقام تقربنا بالوضعيات التي يشهدها شمال الوطن في أزمة السكن، زيادة على مشكلة توجيه المدينة نحو مركز معين.

2. النزلة، الحي

النزلة التي هي الآن بلدية مستقلة، بالرغم من كونها في الحقيقة حي من أحياء تقرت هي في الأصل نسيج عمراني تقليدي كقصر قديم يضم السكان المحليين من مزارعي النخيل، حسب ما يرويه سكان المنطقة وشيوخهم قد أنشأها الولي الصالح سيدي أمحمد بن يحي في حدود القرن الخامس عشر، وقام بتنصيب أولياء في امتداداتها القديمة المختلفة سيدي بن هارون في الشمال وسيدي بوجنان في جنوبها، وفي وسطها سيدي فتيته، إنشاء هذا القصر ارتبط بالتمثلات الشعبية المحلية في إقامة القصور على بركة من الأولياء الصالحين وحمايتهم، إرتبط القصر أيضا بنزول السكان القاطنين قديما بمنطقة الولي سيدي أمحمد بن يحي جراء صعود «النز"، سميت النزلة نسبة إلى نزول السكان بها بعد هجرتهم من منطقة النخيل إلى الأراضي الواقعة بين الولاة المذكورين وهي منطقة مرتفعة قرب غابات النخيل هذا حسب أقوال المسنين والأعيان وفيهم من يؤكد أن النزلة قد أنشئت قبل تقرت نفسها. كونت هذه المنطقة نواة النسيج العمراني في البلدية. تطور هذا النسيج القديم عبر عدة امتدادات وتوسعات:

[1] PDAU المخطط التوجيهي للتعمير والعمران، التقرير التوجيهي لبلديات دائرة تقرت (تقرت، النزلة، تبسبست، الزاوية العابدية)مديرية التعمير والعمران لولاية ورقلة 1993.

1- الامتداد الأول تكون في الثلاثينيات من القرن العشرين وهو أول توسع معروف بعد النواة القديمة " النزلة العتيقة " يتميز بالمنطق التقليدي في بناء القصور من حيث كثافة البنايات والشوارع الضيقة والممرات المغطاة والكتل غير المنتظمة.
2- التوسع الثاني تكون في الخمسينيات في شوارع أكثر استقامة من النواة الأصلية الدائرية الشكل، يعكس العهد الاستعماري في كتل أكثر انتظاما وشوارع أكثر اتساعا واختفاء الشوارع الضيقة والمغطاة، يمثل أحياء بومرداس والنزلة العليا.
3- التوسع الثالث تكون في الستينيات توسع كون المظهر الجديد للنزلة في سنوات الإستقلال يعتبر امتدادا للتوسع السابق ويشبهه إلى حد كبير.

هذه التوسعات التي تصنف ضمن السكن التقليدي حسب الإحصائيات الرسمية تضم أحياء النزلة العتيقة الجالي، النزلة العليا، حي سيدي بوجنان، بومرداس، حي سولاس. يضم هذا النسيج المتراص(2701) بناية تشمل(2021) منزلا مشغولا هي في الغالب منازل تقليدية أو منازل أدخلت عليها ترميمات بمواد بناء حديثة وأخرى في مرحلة متقدمة من التدهور، تضم هذه الأحياء(2470) أسرة، عدد سكانها(15990) ساكنا، تشهد بذلك كثافة سكانية كبيرة جدا لا نلاقيها في التوسعات الأخرى بنسبة شغل للمنازل ب (7.91) أفراد في المنزل الواحد.تزداد كلما توغلنا في عمق الحي التقليدي.

في سنة 1983 تم تثبيت البدو في أحياء معزولة عن النسيج العمراني الأصلي من النزلة في حي عين الصحراء الذي أنشأ في الجهة الجنوبية على بعد آنذاك عن المدينة ب(3كلم)، تم فيه تثبيت بدو أولاد نايل الذين كانوا يسكنون " المشاتي " في بيوت قصديرية حول مدينة تقرت، بمخطط من المجلس الشعبي الولائي لولاية ورقلة كإجراء استعجالي للانتهاء من مشكلة البيوت القصديرية حول مدينة تقرت، بعد تثبيت البدو من أولاد نايل خاصة زادت توسعات الحي من السكان البدو أساسا في شكل تجمعات قبلية على نفس الشكل الذي كانت تتجمع به بعض من عروش أولاد نايل القادمة من الهوامش الجنوبية للهضاب، كل جزء من هذا الحي ضم مجموعة معينة هم أبناء عشيرة واحدة، أولاد وطية، المهاش، الكواكي... كل واحدة من هذه العشائر تحتل جزءا معينا، على الهوامش لحقت بعض الأسر الفقيرة من مناطق أخرى ومن التل ومن الجنوب نظرا لقلة أثمان الأراضي بهذا الحي.

الحي خطط على أساس قطع أراضي مساحتها حوالي(250م^2) وزعت بين العائلات التي تم إحصاؤها في التجمعات الهامشية التي أعادت توزيعها فيما بينها على أساس القرابة والعرش، وفي بعض الأحيان كان موظفو البلدية يستعينون بأعيان العروش في توزيع القطع على العائلات ، هذا ما صرح به الذين قاموا بعملية التوزيع من قدماء موظفي بلدية تقرت، العائلات و نظرا لفقرها هذه العائلات أعادت إقامة "... القربي... " فوق قطعة الأرض والقليلون منهم تمكنوا من رفع الجدار الخارجي فقط، مما أعطى مظهر حي عشوائي دون مرافق ولا تهيئة ولا صرف صحي ودون إنارة في توزيع قطع أراضي بشكل مخطط ورسمي.

يتكون حي عين الصحراء حاليا من مجموع(1816[1]) بناية منها(1357) منزلا مشغولا في معظمها من السكن الفردي العادي بطابق أرضي فقط، عدد الأسر به(1555) سكانه حاليا (11279) ساكن، بالرغم من كونه حي مطبوع بتوطن البدو إلا أن التحاق المدينة به سمح بتنوع سكانه من مختلف المجموعات الاجتماعية خاصة في الأطراف القريبة من النزلة أما وسط هذا الحي فقد بقي يسكنه أولاد نايل خاصة.

نفس النشأة عرفها حي عاسو إلى الجنوب من النزلة على طريق النزلة تماسين، كان في الأصل تجمعا عشوائيا لبدو عرب الطيبات أولاد عبد القادر وأولاد سي أحمد وأولاد جامع وبعض من أولاد السايح القادمين من منطقة الطيبات المجاورة، في شكل تجمع عشوائي من البيوت القصديرية في 1983 تم توزيعه كقطع أراضي على المتواجدين به من هؤلاء السكان تكون أصلا من سكنات فردية ذات طابق واحد في معظمها. حي عاسو الآن يشمل(379) بناية منها(287) منزلا مشغولا تظم (308) أسرة بعدد سكان (1557) ساكن.

تعتبر سيدي مهدي منطقة منفصلة عن النسيج العمراني لبلدية النزلة، وجدت كقرية اشتراكية في السبعينيات استفاد السكان البدو فيها من تخصيصات فلاحية جديدة ومنازل على نمط القرى الاشتراكية ضمن مشروع الثورة الزراعية، هي المنطقة الوحيدة التي استفاد البدو وأنصاف البدو القدامى فيها من التثبيت الكامل وتشجيعهم على ممارسة فلاحة النخيل، هي الآن قرية تبعد على النزلة ب 5كلم بالقرب من مطار المدينة. تتكون أساسا من السكن الفردي الريفي، تسكنها مجموعات من عرب الطيبات نسبة الحشاشنة قليلة جدا في هذا الحي.

أحياء التوسعات الجديدة التي بدأت في التسعينيات، حي النصر وحي المستقبل بعد أن انفصلت البلدية عن تقرت استفادت من تخصيصات سكنية عمرت الفراغات التي كانت بين الأحياء القديمة وأحياء تمدن البدو تمثلت في السكن الفردي بالدرجة الأولى ظهرت فيها سكنات ذات طابق أو طابقين معظمها من النوع (R+1) أو(R+2) ذات " قراج " وزعت على سكان النزلة القديمة بالدرجة الأولى. هي في طور الإنجاز تبدو كورشة كبيرة للبناء الفردي منها المنازل المنتهية ومعظمها في طور البناء تبدوا فيها ظاهرة إبقاء أسلاك الحديد بارزة في الأعلى في انتظار توسعها العمودي. تضم هذه الأحياء الجديدة حاليا (1766) بناية منها (1182) منزلا مشغولا عدد الأسر التي تسكن هذه الأحياء (1184) أسرة بعدد سكان (9755)، هذه المجالات التي تموضعت بين النواة القديمة وحي النزلة القديمة وأحياء تمدن البدو هي في الواقع المجال الهام والمستقبلي لتوسع النزلة والتي نلاحظ من خلالها الإستراتيجيات الجديدة والتعبئة من أجل المجال.

3. السكن، من التوسع الأفقي إلى العمودي

نجد السكن المصنف حسب الإحصائيات الرسمية من ضمن السكن التقليدي أساسا في الأحياء القديمة من القصر العتيق، نسبة هذا النوع من السكن(83.90%) من أنواع السكن في النزلة أي بعدد(4187) سكن من أصل(4988) سكن مشغول في النزلة(الديوان الوطني للإحصاء ONS

[1] الإحصائيات الخاصة بالأحياء الجدول الإجمالي الخاص بالتجمع الحضري لبلدية النزلة ــ بلدية النزلةــ المصالح التقنية.

1998) في تقديرنا وحسب الزيارات الميدانية التي قمنا بها في هذه الأحياء قد أدخل تحت هذا التصنيف كل السكن المتواجد في الأحياء التي شملها التوسع العمراني قبل التسعينيات، أي كل أحياء النزلة القديمة وبومرداس وسيدي بوجنان وسولاس، بعد المعاينة يمكن أن ندرج الملاحظات الميدانية التالية حول هذا السكن:

1- هذا النوع من السكن نتيجة الترميمات والتدخلات التي أدخلت عليه لم يعد يمثل السكن التقليدي القديم.
2- في الأحياء الوسطى للنزلة نجد هذا السكن تعرض للتدهور نجد الكثير من المنازل منهارة نظرا لقدم البناء وعدم تحمل وسائل البناء التقليدية للأمطار، وهجرة سكانه إلى أحياء أخرى مما ترك السكن القديم في النزلة العليا عرضة للإهمال والانهيار.
3- بسبب التوارث والأجيال المتعاقبة على السكنات نجدها قد جزئت وتم تقسيمها إلى عدة أجزاء، نجد السكن القديم الكبير الذي كان في الماضي يظم العائلة الممتدة قد جزأ إلى أربع أو حتى ثمانية مساكن صغيرة بين الأبناء.
4- بسبب المسارات الإقاماتية النشطة نلاحظ بيع هذه السكنات بوضع إشارة أمام المنزل تعلن عن الرغبة في بيعه وهي ظاهرة منتشرة جدا في هذا النوع من السكن.الذي أصبح يمول بناء السكن الجديد "... *الدار القديمة تبني الجديدة*..." حسب تعبير السكان.

لم يعد هذا السكن يذكرنا بالسكن التقليدي إلا بملامح مشوهة، توزيع الغرف والعناصر الأساسية تأثر بعمليات التقسيم والتجزئة من العناصر القديمة تمت المحافظة على الحوش الداخلي. الترميمات التي أدخلت تمت بالمواد الحديثة كالأسمنت والحديد اختلطت مع بقايا المواد القديمة من الجبس المحلي والحجارة. هذه الأحياء في الحقيقة ليست أحياء سكن تقليدي بقدر ما هي أحياء بؤر من الفقر. هذا المظهر ينطبق خاصة على المناطق الداخلية من القصر القديم التي تدهورت حالتها بشكل كبير.

في أحياء تمدن البدو في حي عين الصحراء وفي حي عاسو نلاحظ خصائص سكن البدو الجديد هو سكن فردي ذاتي لكنه مطبوع بالخصائص الاجتماعية لساكنيه، قد كانت بداية هذا السكن تجمعات من البيوت القصديرية التي عوضت الخيام منذ زمن، وبعد السماح لهم بالبناء سنة 1983 قام جل السكان ببناء السور الخارجي للمنزل في بداية الأمر وأصبحت المنازل في شكل بيوت قصديرية مختفية عن الأنظار داخل جدران من الأسمنت دون نوافذ خارجية ما عدا الباب الخارجي، لم تظهر فيها أى دراسة هندسية، بناؤها مشروط بالوضعية الاقتصادية لساكنيها ثم تمت إضافة عناصر أخرى في الداخل على مراحل لكن الحفاظ على الفضاء الداخلي الحوش الواسع يبقى سائدا في معظم هذا النوع من السكنات.

السكن الفردي الذاتي هو المظهر العمراني السائد والذي تسعى معظم الأسر للحصول عليه بتعبئة كل الوسائل المادية والاجتماعية والأسرية، نلاحظ وجوده في الأحياء الجديدة والتوسعات الجديدة بعد التسعينيات يتميز بقطع أرضية تتراوح من 200 إلى 300 م^2، بنيت عليها مساكن فردية ذات طابق أو طابقين مطبوعة بوجود المر آب مثلما يجري في معظم أرجاء الوطن، هندستها متعددة الأشكال والمخططات، الميزة الأساسية هي العناصر الجديدة التي جاءت لتدعم العناصر التقليدية التي تم الحفاظ عليها، حوفض على الحوش بدرجة أساسية والسطح العنصران الذين تفرضهما ظروف الحرارة في الصيف أصبح هذا الحوش يخطط في الغالب على جانب البناء

الرئيسي لم يعد عنصرا مركزيا تتوزع العناصر الأخرى حوله بل عنصرا أساسيا لكنه في أحد جوانب البيت والعناصر الأخرى تبنى في الغالب على شكل كتلة واحدة مغلقة ومسقوفة تتصدرها مساحة مركزية هي فضاء معيشة الأسرة " فناء داخلي مسقوف " يسميه السكان (Haal) هو الذي أصبح يوزع العناصر الأخرى كالمطبخ على الطريقة الغربية والحمام المجهز والغرف والمرآب. هو سكن عائلة كبيرة بالدرجة الأولى معد لاستقبال أسرة كبيرة يمكن توسيعه عموديا بطابق إضافي إذا ما دعت الضرورة لذلك. إنه مستقبل الأسرة كما يصرح به كل أرباب الأسر الذين يبنون هذا النوع من السكن. الذي يمثل حسب الإحصائيات.20% من مجموع أنواع السكن في النزلة لكن الملاحظ أن كثير من السكنات التي صنفت على أنها سكن تقليدي قد تم تحويلها إلى سكن فردي حالي خاصة الموجودة في مناطق وشوارع واسعة وفي خطوط المواصلات.

نتيجة التحولات الاقتصادية الجديدة، وظهور عائلات ثرية من النزلة أربابها في الغالب من إطارات الشركات أو من موظفي شركات البترول بعض السكنات الراقية الفيلات بدأت في الظهور بمخططات تبرز ثراء أصحابها ووضعيتهم الاقتصادية والاجتماعية الجديدة عددها قليل يتناسب مع عدد هذه الشرائح الجديدة في مجتمع الحشاشنة خاصة حولي 50 سكنا يمثل هذه المواصفات حسب جولاتنا الميدانية يمثل نسبة 1% تقريبا. هي فيلات يراع في إنجازها المظهر الخارجي المعتنى به كواجهة تعلن عن وضعية ساكنيها مخططاتها منقولة عما يجري في الشمال متأثرة بالمسلسلات التلفزيونية في هندستها الداخلية على الشكل المصري خاصة مما يوحي بدور المرأة المتزايد في عملية تخطيط السكن.

السكن الجماعي قليل جدا في النزلة لا تمثل نسبته سوى 1.60% [1] من السكن، بخلاف تقرت التي استفادت من مشاريع سكن جماعية، وجود السكن الجماعي في النزلة اقتصر فقط على 78 سكن موزعة في أحياء النزلة القديمة ضمن التوسعات التي تمت في الثمانينيات هي شقق من نوع F+2 و F+3 تظم بعض الإطارات المتوسطة أو المعلمين والموظفين.

تختلف وضعيات السكن من حيث الرفاهية وربطه بمختلف الشبكات من حي لآخر في مجمل البلدية وحسب المعلومات المتوفرة في المصالح التقنية وإحصاءات الديوان الوطني للإحصاء المعتمدة يمكن تسجيل نسب لا تختلف كثيرا على المستويات الوطنية.

جدول ( ) **نسب التغطية بالشبكات في النزلة**

[1] الديوان الوطني للإحصاء (ONS) الإحصاء العام للسكن والسكان RGPH سنة 1989.

المصدر: الديوان الوطني للإحصاء ONS 1998.

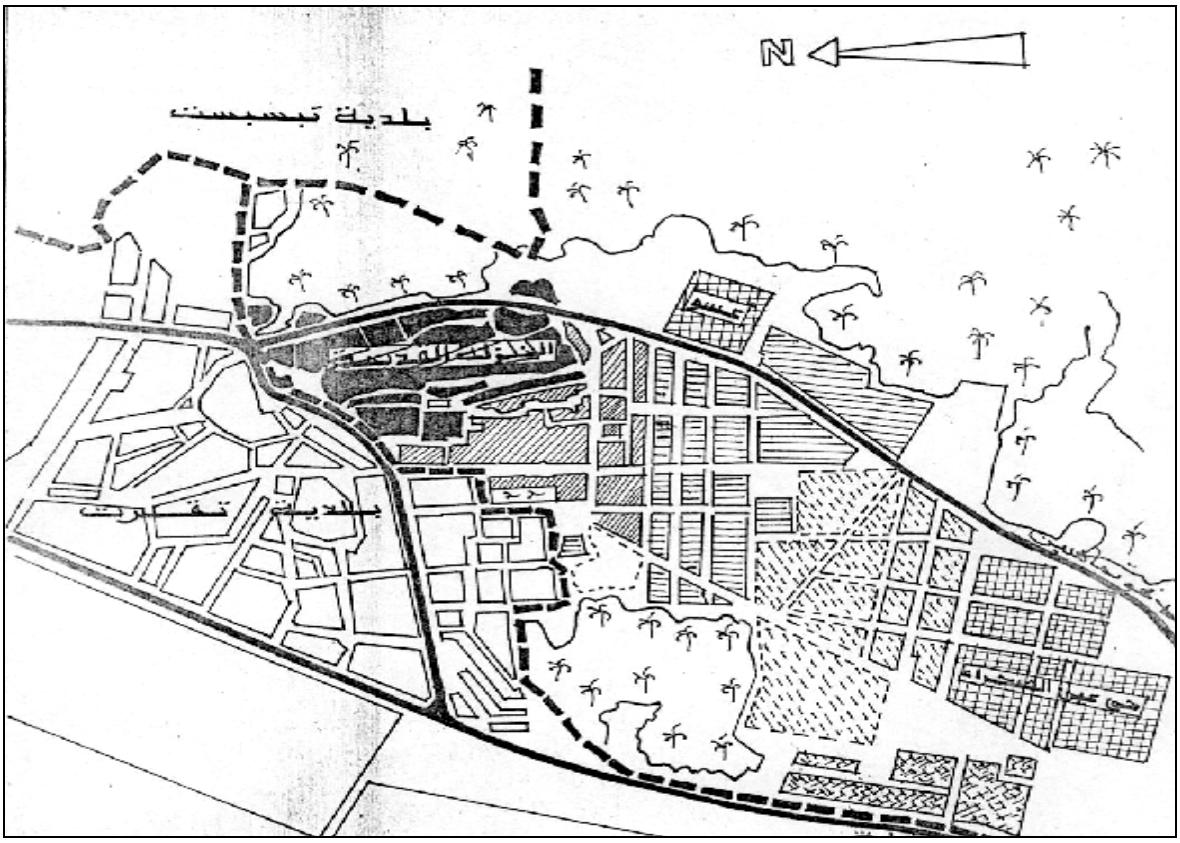

التوسعات العمرانية في النزلة

القصر القديم

توسعات من حتى 1970

توسعات من 70 - 2000

أحياء تمدن البدو

في طور الإنجاز

2- المجموعات الاجتماعية في النزلة

مجموعات اجتماعية أصيلة بين التمايز والذوبان !

سكان النزلة هم الآن – وقت إنجاز هذه الدراسة – 46025 ساكن[1]، حسب الإحصائيات السابقة والرويات المحلية أيضا كانوا دائما أكثر من عدد سكان تقرت، أي سكان حي النزلة أكثر من سكان الأحياء التي كانت تتبع لتقرت حتى قبل التقسيم الإداري لسنة 1984. هذا العدد المعتبر ضم عدة مجموعات اجتماعية متباينة في مناطق تركزها ونشاطاتها وتاريخ اتصالها بالواحة وحتى في لون البشرة... مجموعات تعبر عن الفسيفساء البشرية التي تركب سكان الواحات شكاتها ظروف تاريخية مختلفة، ملاحظاتنا الميدانية في هذا الجزء الهام من مدينة تقرت قادتنا إلى التمييز بين هذه المجموعات الاجتماعية التي تتوزع في الأصل على أحياء متمايزة في النزلة، يمكن تتبع التطور العمراني للنزلة من الحي العتيق الذي هو نواة القصر القديم إلى التوسعات المتتالية التي تظهر في شكل امتداد مطرد في اتجاه الجنوب والجنوب الغربي، هذا التوسع يتوافق تماما مع التوزيع المجالي للمجموعات الاجتماعية المشكلة لسكان النزلة، بداية من الحشاشنة ذوي البشرة السوداء الذين سكنوا القصر القديم، إلى توطنات البدو الأوائل ابتداء من ثلاثينيات القرن العشرين إلى توطنات البدو الجديدة في حدود الثمانينيات، وانتهاء بأحياء التوسعات الجديدة في التسعينيات، لثبت أن المراحل العمرانية تصاحبت مع حركات بشرية واجتماعية نتيجتها هي الوجه العمراني الاجتماعي للنزلة اليوم.

1 - " الحشاشنة " انتماء لأصل أم لحرفة ؟

المجموعة السكانية التي تشكل العدد الأكبر من سكان النزلة[2] مثل باقي قصور مدينة تقرت وقصور وادي ريغ على العموم، تتموقع في الأنسجة العمرانية القديمة تسمى " الحشاشنة " أو رجال الحشان، ميزتهم لون البشرة السوداء. حاولنا أولا التساؤل مع هؤلاء السكان حول انتماءاتهم؟

ابن خلدون[3] في تاريخه تكلم عن ريغة أوبني ريغ، في حديثه عن إقليم وادي ريغ:

«... وأما بنو ريغة فكانوا أحياء متعددة. ولما افترق أمر زناته... ونزل أيضا الكثير منهم ما بين قصور الزاب ووارکلا، فاختطوا قرى كثيرة في عدوة واد... يشمل المصر الكبير والقرية المتوسطة... وكثر فيها العمران من ريغة هؤلاء، وبهم تعرف لهذا العهد، وهم أكثرها ومن بني سنجاس وبني يفرن وغيرهم من قبائل زناتة..»

---

[1] الدليل الإحصائي لولاية ورقلة 2001، مديرية التخطيط وتهيئة المحيط لولاية ورقلة.

[2] لا توجد إحصائية رسمية يمكن من خلالها أن نتأكد من أن الحشاشنة أكثر عددا. لكن الملاحظات في الميدان ومعلومات البلدية تؤكد ذلك.

[3] **ابن خلدون عبد الرحمان**« *كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ..* » الطبعة الثانية، بيروت 1921 ص 96.

فيرو Féraud تحدث أيضا عن هؤلاء السكان في مجمل مقالاته عن بني جلاب في المجلة الإفريقية، الذين يسكنون القصور المجاورة لتقرت التي قيم عدد سكانها آنذاك حوالي الخمسة آلاف من السكان، ويؤكد أن تقرت مثل وادي ريغ هو ملتقى بين" **الزنوج والبربر**" نتيجة التهجين أخرجوا جيلا جديدا من المولدين(Métisses) ذوي ملامح البشرة السوداء[1]، والحشاشنة حسب رأيه هم أبناء هذا التهجين، يتكلم **فيروا** أيضا عن بعض الروايات التقطها من هؤلاء السكان آنذاك حول محاولتهم ربط أصلهم بالفاتحين العرب[2].

أعيان المنطقة وسكانها لهم أقوال يرددونها حول انتمائات الحشاشنة، أحد الاعيان المسنين من الحشاشنة وله دراية كبيرة بالسكان وتاريخ المنطقة في مقابلة معه:

« ...الحشاشنة هم السكان الأصليين في القصور، وهم ليسوا أصلا واحدا ولا نسبا ولا عرقا كما يعتبرهم البعض فالكلمة "حشاشنة" هي صفة لحرفة الفلاحة وغراسة النخيل، لأن " الحشانة " في لغة أهل المنطقة تعني فسيلة النخيل، ورجال الحشان هم الذين زرعوا النخيل في وادي ريغ وبهذا أطلق عليهم اسم رجال الحشان أو الحشاشنة....''

وينقد رواية فيرو التي لا يزال بعض المسنين يرددونها:

«... كون التحريف الذي مس كلمة حسان إلى حشان أي من حرف السين إلى حرف الشين، هذا يناقض تماما لهجة الحشاشنة الذين لا يستطيعون نطق حرفالشين بسهولة فينطقون في كلماتهم الشين سينا كقولهم، السمس بدل الشمس أوالسارية عوض الشارية... لو كان الحشاشنة أصل لتكلم به ابن خلدون في تاريخه مع من ذكرهم من القبائل والبطون بالمنطقة..."

السكان والمسنين منهم خاصة لديهم صعوبة كبيرة في تحديد هذه الهوية أو الأصل، تختلط لديهم الأسطورة والواقع التاريخي، عندما نسألهم عن أصلهم يرددون عبارة:
"نحن من *رجال الحشان* " فلا شجرة ولا انتماءات أكثر من العائلة الكبيرة التي لا يستطيعون مدها إلى أكثر من جيلين أو ثلاثة، لا يعيرون اعتبارا لهذه المسائل مثل جيرانهم البدو المتمدنين من أولاد نايل أو أولاد السايح وغيرهم الذين يعتبرون مسألة الشجرة والأصل أساسية ويولونها أهمية خطيرة بمجرد الحديث معهم حول مسائل النسب والانتماء والشجرة.

الحشاشنة السكان الذين يعتبرون من وجهة النظر المحلية السائدة عند جميع سكان المنطقة السكان **الأصليين** لوادي ريغ هم غالبية السكان في النزلة، المختصين في فلاحة النخيل منذ قرون طويلة و نظام السقي أبناء الملاك الصغار من البربر أو أبناء العبيد القدامى الذين استقروا منذ تاريخ طويل [3] نجدهم في القصر العتيق بالنزلة وتوسعاته المختلفة كمجموعة اجتماعية ذات تقاليد

.[1] **L.Ch FERAUD** *Notes historiques sur la province de Constantine - les Ben – Djellab, sultans de Touggourt* ;; in Revue africaine N° 23 1879. p 59-60

[2] **L .Ch FERAUD** ibid p 60.

[3]**Daniel DUBOST** : *la ville ; les paysans et le développement agricole au Sahara Algérien*, in Le nomade,L'oasis et la ville Fascicule de recherche n°20 URBAMA, 1989, Tours , p 134.

حضرية قديمة واستقرار فلاحي امتد عبر تاريخ الواحات والقصور، أنتجوا وطوروا أنواعا من التمور هي من أهم نوعيات العالم " دقلة نور" "الغرس " "دقلة بيضاء" هم بناة القصور المجاورة لتقرت، التي كانت لها وظيفة حضري إذ أن السكن المبعثر نادر جدا في هذه المناطق [1].

الشباب من أبناء الحشاشنة الآن تسود لديهم نظرة خاصة عن مسائل الأصل هذه تعرفنا عليها من خلال حواراتنا معهم:

عمر شاب حشاني متعلم ذو شهادة جامعية في سن السبعة والعشرين يعمل موظف في البلدية رافقنا في العديد من جولاتنا في حي النزلة، له نظرة لا تختلف عن أبناء جيله من الشباب عن مسألة الأصل حدثنا عندما كنا بصدد الحديث عن الأسرة وطرق الزواج في هذا المجتمع:

«...أن هناك فعلا نوع من الشعور التمييزي في البلاد...الحشاشنة لديهم نوع من الشعور السلبي تجاه لون البشرة، خاصة من جهة الشباب الذين سمحت لهم الدراسة بالتنقل والاتصال بمجتمعات التل أو من الذين يعملون في الشركات، يحاولون ترقية حياتهم والزواج من بنات التل " البيض " مما انعكس سلبا على فتياتنا اللواتي يعانين من العنوسة وتأخر سن الزواج، مما يهدد مجتمعنا بالخطر..."

هذا الكلام تكرر كثيرا معنا في محادثاتنا، هذا الشعور الذي يدفع شباب الحشاشنة إلى أنواع جديدة من الممارسات في طرق الزواج وأنماط الحياة التي تتغير بفعل التحديث، المدرسة العمل في المؤسسات والشركات الخدمة الوطنية. وإلى أي مدى تؤثر هذه الممارسات الجديدة على مجتمع الحشاشنة وتقاليده المحلية؟

يتهيكل الحشاشنة في عائلات كبيرة ومعروفة بالمنطقة. بين التاريخ والأسطورة بين الحرفة والأصل بين التمايز الاجتماعي والعاداتي الحضري ومحاولة الذوبان في كيان مديني جديد ضمن مدينة تقرت وضمن البلدية النزلة. من خلال وضعهم كسكان قرويين فلاحيين و استقرارهم الطويل في الواحات، انتمائهم للمكان أكثر وضوحا من الانتماء لنسب أو أصل قبلي أو سلالي. من خلال دراسة القصور التي بنوها والمجال الذي استقروا فيه نقرأ الكثير من ملامح الهيكلة الاجتماعية والأسرية لهولاء، المجال المبني وطريقة توزيعه داخل القصور يتميز بكونه مجال سكني لفلاحين بالدرجة الأولى. لا نجد تنظيما اجتماعيا لهذه الفئة عدا العائلة الكبيرة، أسماء عائلات تتداول، "بن طرية " " بن لمنور" "بن هدية " "بن احميدة " على سبيل المثال. هذه الألقاب تتفرع إلى أسر متشابكة في القرابات والمصاهرات بينها لها علاقات قرابية ومصاهرات تربطها بالقصور المجاورة لتقرت.

[1] **Daniel DUBOST** : ibid. p 145.

2 - " الحشاشنة " و" المجاهرية[1] "

هذا الوضع يختلف عن المدينة التاريخية مستاوة التي هيمنت على القصور المجاورة التي سكنت قديما من طرف عائلات إقطاعية محلية ارتبطت بالتجارة والعقار والحرف "الذين يسمون " المجاهرية ". هم أيضا مجموعة متميزة من الحضر البيض جاءوا كهجرات متعاقبة في مراحل تاريخية من الجريد التونسي وليبيا والزاب ومناطق التل في وقت ازدهار حكم بني جلاب (1414-1854). استوطنوا مع اليهود المدينة التاريخية مستاوة، أسماء عائلاتهم " كافي"" الطرابلسي" " وزاني " السنوسي" توحي بهذه الانتماءات التي هي في الحقيقة كما أكد لنا المسنون منهم والأعيان بأسماء المناطق التي قدموا منها. يفسر الكثير من الأعيان في المنطقة كلمة "المجاهرية " المشهورة كأصل تحريفا لكلمة " مهاجرية " أي مهاجرين، نتيجة وضع المهاجرين المتشابه في كونهم غرباء عن المنطقة حدثت بينهم مصاهرات وتحالفات أدت إلى بروزهم تاريخيا كمجموعة إقطاعية محلية يشكلون الآن خصائص مجموعة اجتماعية مميزة بخصائصها عن الحشاشنة و التمايز في النشاط الاقتصادي بالرغم من تجاورهم الطويل وحضريتهم العريقة كون المجاهرية شكلوا طبقة من الملاك الإقطاعيين الرئيسيين للعقار السكني والنخيل ولمدة طويلة من تاريخ مدينة تقرت، استطاعوا الهيمنة على المحيطات الفلاحية والعقار السكني باستثمار عائدات التجارة وتمويلهم لقوافل التجارة والمبادلات.

من علاقة المجاهرية والحشاشنة أي ما يمكن أن نطلق عليه تجمع المدينة مع القرية أو القصر هذا التجمع هو الذي شكل أصل الواحة [2]. المجاهرية في مدينة تقرت لا نجدهم يسكنون النزلة أو القصور المجاورة بل تركز وجودهم في المدينة التاريخية " مستاوة " حتى الآن مما يوحي بالقسيم المجالي التاريخي المحدد بين الحشاشنة والمجاهرية، المجاهرية في المدينة الرئيسية تقرت والحشاشنة في القصور المجاورة.

الواحة، مجال حضري إذن يجمع بين المدينة والقرية أو ما يطلق عليه القصور تشرف على محيط النخيل عمل فيه الخماسة من الحشاشنة، لكن ملكيته تعود في الغالب إلى العائلات المالكة من المجاهرية كإقطاع محلي أو إلى الرئاسات الدينية التي وجدت بالمنطقة كالمشرفين على الزوايا، أو حتى من البدو المتمدنين قديما[3] ، هذه العلاقة الاقتصادية والملكية هي التي أسست للعلاقة بين الحشاشنة والمجاهرية وأيضا مكان توزعهم المجالي علاقات تحولت مع مجرى التحولات التي طرأت على المجموعتين لكنها لا تزال تمثلاتها وممارساتها موجودة حتى اليوم تفضي إلى تقاليد مصاهراتية ومسارات إقاماتية ومهنية معينة، يطبعها حاليا وحسب تعبيرات السكان، هذا التاريخ الطويل من العلاقات الاقتصادية والمجالية بين المجاهرية الملاك والحشاشنة فلاحي النخيل أو " الخمامسة " لاحظنا آثاره موجودة حتى اليوم، أحد السكان المسنين العارفين بخبايا هذه العلاقات لخص لنا العلاقة الآن في جملة واحدة قالها بأهمية بالغة:

" ... *الحشاشنة ما حبوا ينسوا ... والمجاهرية ما حبوا يبطلوا*...".

---

[1] المجاهرية، مجموعة من العائلات تسكن أغلبها في تقرت كونهم كانوا يمثلون طبقة من ملاك النخيل والعقار في المنطقة، حتى وإن لم يسكنوا النزلة أو القصور المجاورة لتقرت التي كانت مخصصة لسكن الحشاشنة، ارتبط تاريخهم بهؤلاء كون الحشاشنة هم الخماسين القدماء في أملاك المجاهرية " البيض" .

[2] **Daniel DUBOST** ibid. p 135.

[3] **Daniel DUBOST** ibid. p 135.

3- أصول بدوية متمدنة، بين النظام السلالي القبلي و ظروف التمدن

البدو وأنصاف البدو[1](semi-nomades)، مجموعات ارتبطت بالوسط الصحراوي أو هوامش الصحراء، عشريات من التمدن غيرت كثيرا من طرق وأنماط حياتهم، الفترات الطويلة من الجفاف التي أصابت مناطقهم في الصحراء أو على الهوامش الصحراوية شمال الصحراء التي ينتشرون فيها، وعوامل التحولات التي أدخلت على الواحات منذ بداية القرن العشرين، ساعدت في تسارع عملية تمدنهم، ضمن مدن الواحات [2] . في ظروف الصحراء الجديدة لم يكن البديل أمامهم من خيارات سوى التمدن والتثبيت أو التهميش، هذا التمدن الذي أحيا إشكالية التمييز بين نوعين من الحياة الريفية في الصحراء، البدو والسكان القرويين في الواحات، والعلاقات بين هذه المجموعات المتمايزة اجتماعيا وثقافيا مع عالم سكان الواحات من فلاحي النخيل، هذا التمايز الذي يطرح في ميدان دراستنا النزلة، وبشكل واضح مشاكل تمدن البدو، والعمران في المدينة وعلاقات هذه المجموعات الاجتماعية بالمجال وبالحياة في المدينة.

في الوضع التقليدي القديم وكما بينا في الفصل المتعلق بالمجال التقليدي قامت علاقات تاريخية طويلة بين مجتمع الواحات وقبائل البدو في الصحراء علاقات قامت قديما على أساس تكاملي يظهر في تقاسم العمل والمقايضة والمبادلات والحماية، علاقات دامت طويلا زمن ازدهار القوافل التجارية، يظهر في قوة من التماسك الاجتماعي الذي كان قائما بين البدو والرحل من التجار أو المحاربين أو الرعاة المربين الذين يضمنون المبادلات وحركة السلع وحماية القصور في إطار من التحالفات والولاءات، والقصور وسكانها من الفلاحين "الخمامسة"، وسكان المدن من الإقطاعيين والملاك الكبار الذين يجمعون الفائض من المبادلات التجارية لإنشاء المزيد من النخيل والملكيات الواحاتية، التي هي أساس حياة التجمعات الحضرية في الصحراء هذه المحيطات الفلاحية التي تعيش من أجلها القصور وأهلها، هذا النظام الذي وصفه Capot REY في كتاباته حول الصحراء[3]، أين كانت الوضعية بسيطة غير معقدة ديمومتها التاريخية بما يقرب من الألف سنة من هذا النظام الذي عزز التعاون الاقتصادي والتعايش الاجتماعي في مراحل قديمة، بمقارنته بالوضع الحالي نتيجة التحولات، هذا النظام قد تحول وبشكل عميق وأفضى إلى نوع المواجهة الخفية وعلاقات القوة تظهر ملامحها في قضايا المجال وتملكه وتشكيله.

1. أنصاف البدو

في مجال دراستنا في حي النزلة نميز بين مجموعات مختلفة ذات الأصول البدوية استقرت في المنطقة في ظروف تاريخية مختلفة، بين مجموعات توطنت واستقرت قديما بين السكان الحشاشنة وبين المجموعات التي بقيت تمارس الحضور الموسمي على هوامش المدينة الصحراوية حتى

[1] أنصاف البدو نقصد بهم المجموعات التي تمارس الرعي وتربية الماشية إلى جانب زراعة النخيل غير المسقية في الأحواض المنخفظة وتعيش شبه استقرار أو التنقل في مساحات جغرافية محدودة.

[2] **Jean BISSON**, *le nomade, L'oasis et la ville*, URBAMA, n °20, 1989, p 5.

[3] **Capot REY** : *le Sahara Français* ; PUF ; 1953 ; Paris p 564

سنوات متأخرة (السبعينيات) ومنه التي ما تزال تمارس بدويتها والتبادل بين المدينة والبادية الصحراوية حتى اليوم في أشكال جديدة من التكيف مع الظروف الاقتصادية والسياسية الجديدة.

المعلومات التي جمعناها من المسنين الكبار للمجموعات المختلفة في محادثاتنا معهم، ركبنا منها وبمساعدتهم خطوط مسارات هذه المجموعات وانتماءاتها القبلية ، كان المسنون من البدو القدامى سعداء جدا بتقديم هذه المعلومات التي يقدمونها بكل إعتزاز وافتخار كل شخص منهم ومن كل قبيلة أو عرش كان مستعدا أن يقدم لنا " الشجرة " العائلية لأسرته وعرشه حتى " ...*ينتهي بها إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول...*"، وهي أفضل هواية عندهم.

في تصنيفنا للمجموعات ذات الأصول البدوية التي تتوزع في مجال دراستنا الميدانية نميز بين مجموعتين رئيسيتين بخصوص الواقع الاجتماعي الخاص الذي يؤلف الأوساط الاجتماعية التي يتركب منها سكان النزلة. أولا المجموعات التي كانت ومنذ القديم تتصل بهذا المجال العمراني وتمكنت من الاستقرار ضمنه والتي تم تصنيفها منذ الفترة الاستعمارية، **كأولاد السايح** ومجموعات أخرى، **أولاد أحمد** و**أولاد جامع** و**أولاد عبد القادر** من منطقة الطيبات الفضاء الصحراوي البدوي الذي لا يزيد عمقه الجغرافي بعدا عن المنطقة 40 كلم عن مدينة تقرت و أيضا **السوافة** من منطقة وادي سوف هذه المجموعة التي انتشرت في ربوع الصحراء الشمالية الشرقية في العقود الأخيرة بفضل الشبكة التجارية الكبيرة والصغيرة في جل واحات وادي ريغ. وأيضا مجموعات من البدو من منطقة الحجيرة التي تبعد عن المنطقة ب حوالي 70 كلم تجمع قبائل أكثرهم من **سعيد أولاد عمر**، و**الفتايت** الذين قدموا من منطقة الشقة قرب الحجيرة هذه المجموعات الاجتماعية ذات الصلة والعلاقات بعالم الواحات منذ تاريخ طويل.

هي مجموعات يمكن تصنيفها حسب الانتماء الجغرافي الأصلي لهذه المجموعات التي تمدنت في ظروف مختلفة ضمن إقليم تقرت وخاصة النزلة ، إن تاريخ تثبيتها وعلاقاتها التاريخية بالواحة هو الذي يحدد اليوم شكل علاقاتها بالمدينة، من خلال توطنها والأحياء التي تسكنها نميز بين مجموعات من الذين قدموا من مناطق صحراوية قريبة من واحات وادي ريغ في الأصل هم مجموعات من مربي الماشية وجمالة ومزارعين أيضا للنخيل في محيطات ضيقة مثل "الغوط " في واحات وادي سوف والطيبات والشقة و الحجيرة هذه المجموعات توطنت في تقرت والنزلة خاصة في أوائل القرن العشرين واستقرت مع الحشاشنة في محيطهم السكني ماعدا مجموعة عروش أولاد السايح الذين شكلوا حيا هامشيا قرب النزلة " عاسو" فقد سكنت هذه المجموعات ونظرا لاتصالها الطويل بواحات وادي ريغ ضمن القصر القديم في النزلة، يتحدث مسنون من سعيد أولادج عمر من الحجيرة عن قدوم أسرهم منذ الثلاثينيات واستقرارهم في النزلة وشرائهم للنخيل:

- سعيد أولاد عمر

سعيد أولاد عمر، موطنهم الأصلي إلى الجنوب من وادي ريغ في منطقة الحجيرة على بعد 70 كلم جنوبا، يؤكد الكثير من الأعيان وكبار السن الذين قابلناهم وأخذنا معظم معلوماتنا عن هذه المجموعة منهم أن سعيد أولاد عمر هم و سعيد عتبة في ورقلة نفس الإنتماء، هؤلاء البدو الجمالة استوطنوا أولا منطقة "بلدة عمر" واحة من واحات وادي ريغ 25 كلم جنوب تقرت، ما تزال بعض

العائلات منهم تتوطن في هذه البلدة التي يؤكد أعيانهم أن تسميتها بلدة عمر ما هي إلا إشارة إلى اسم جدهم، في بداية الثلاثينيات من القرن العشرين بدأ توطن سعيد في تقرت،خاصة في النزلة، كعائلات امتلكت بعض النخيل منهم من بقي في بلدة عمر، سكن سعيد في تجمعات عائلية في أحياء النزلة القديمة، كانوا يتنقلون بين منطقتهم الأصلية الحجيرة في فصل الصيف من أجل رعية نخيلهم " الطلوع[1] " يعودون في بداية الخريف للنزلة ليقضوا السنة في وادي ريغ هذه المجموعة الآن تتوزع في شكل مجموعة عائلات موزعة على أحياء النزلة، أقدمتيتهم النسبية في المنطقة سمحت لهم بالتوزع على مختلف الأحياء، ولا نجدهم في النزلة يحتلون حيا بعينه نجدهم بالأساس في التوسعات التي تمت بعد الخمسينيات امتلكت بعض الأسر النخيل بعضهم اندمج في النشاطات المختلفة للمدينة.

- الفتايت

الفتايت مجموعة أيضا مميزة في النزلة يشكل ضريح" سيدي فتيتة" بوسط النزلة بالنسبة لهم الجد الأكبر لهذه الفئة التي استوطنت النزلة منذ مدة طويلة، الإستناد الرمزي لوجودهم بالنزلة حتى أن الشائع لديهم وبالنسبة للكبار خصوصا أنهم السكان الأصليون بالنزلة، المنطقة الجغرافية التي قدموا منها هي " الشقة " قرب الحجيرة، استوطنوا بالنزلة في نفس الأحياء التي استوطن فيها سعيد أولاد عمر، الملاحظ أن سكنهم قد تم في شكل تجمعات عائلية في مختلف الأحياء معظم هذه العائلات تنقلت في شكل تجمعات إلى التوسع الجديد لتقرت في سنوات السبعينيات في حي " العرقوب " هذا الحي الذي تم تجمعهم فيه وحسب رويات المسنين منهم يسمى " عرقوب الفتايت " منذ القديم أي قبل أن يصبح من التوسعات العمرانية لتقرت قبل التقسيم الاداري في سنة 84، ربما تكون هذه المنطقة هي مكان لتجمع هذه الفئة قبل تمدنها الذي تم في بديات القرن العشرين، الفتايت ما زال الكثير منهم يملك بعض النخيل في منطقة الشقة، أغلبهم عائلات اندمجت في الحياة الاجتماعية والأنشطة المتنوعة في المدينة.

- السوافة

السوافة من منطقة وادي سوف، بل مجموعات منهم انتشرت بوادي ريغ خاصة مدينة تقرت ارتبطت هذه المجموعات بالحركية التجارية والمبادلات سواء التجارة الكبيرة والجملة أو التجارة الصغيرة والتجزئة ، أسر كثيرة نجدها في النزلة من منطقة سوف كتجار صغار وأصحاب محلات للتجزئة ، هم لا يميلون إلى التكتل في أحياء معينة بل ممارستهم للتجارة شجعهم على الانتشار في مختلف الأحياء.

- أولاد السايح وعرب الطيبات.

منطقة الطيبات التي تبعد على مسافة 40 كلم في اتجاه الشرق من تقرت قبل وادي سوف، كانت أيضا مصدرا لتوطن العديد من البدو " **أولاد السايح، أولاد جامع، أولاد عبد القادر وأولاد**

[1] نوع من غراسة النخيل، يزرع بعد الحفر في الرمل عدة أمتار للوصول إلى قرب الماء، لا يحتاج إلى السقي،يتم إزاحة الرمل الذي يغمره، الطريقة هذه مشهورة في الوادي والطيبات والحجيرة.

أحمد هم أيضا عروش متشابكة ومتنوعة في الهويات والانتماءات، ذات الصلات القديمة بوادي ريغ ومنطقة تقرت بالخصوص كونت منطقتهم القريبة من تقرت عمقا صحراويا قريبا سمح بالتنقل الدائم ولاتصال المستمر بين مناطق انتمائاتهم وناطق نشاطهم وتوطنهم في تقرت والنزلة المتميز بالحركة الدائمة بين مناطقهم وتقرت ، عائلات كثيرة منتشرة في أحياء النزلة من هذه الفئات نجد مجموعة هامة تتجمع في حي خاص بتمدنهم في النزلة " حي عاسو" حوالي 350 أسرة على الأقل بيدوا أنه كان مكان تجمع هؤلاء في شكل من الأحياء القصديرية المحاذية للواحة ثم سمح لهم بالبناء في نفس المكان.

2 - بدو أولاد نايل

أولاد نايل مجموعة من سكان أهم المجموعات السكانية ذات الأصول البدوية في النزلة، العدد الأكبر من هؤلاء السكان ذوي الأصول البدوية من منطقة السهوب الهامشية مع الصحراء بين **مسعد** (ولاية الجلفة) والهضاب الممتدة حتى تقارب الحدود الشمالية الغربية لتقرت ، هؤلاء البدو " ملوك تربية الأغنام"[1] تم تثبيتهم النهائي سنة1983 في حي عين الصحراء، هذه المنطقة تصبح من ضمن بلدية النزلة بموجب التقسيم الإداري لسنة 1984، تم تثبيتهم في هذه المنطقة التي كانت آنذاك بعيدة عن المدينة (3 كلم) سنة ترحيلهم لها في 1983، إذ كان هذا الحي منطقة معزولة عن المدينة، وبقي كذلك لمدة سنوات، أصبح مطبوع كونه حي "البدو"، كانت هذه المجموعات من البدو قبل تثبيتها ولمدة طويلة من تاريخ علاقاتها بالواحات تمارس التنقل الموسمي بين وادي ريغ وأطراف السهوب و على هوامش الصحراء التي تتصل بمنطقة الهضاب العليا، بين مسعد وتقرت منذ حوالي سنة 1945 وحسب ما يرويه المسنين منهم في محادثاتنا معهم بدأ توافد هذه المجموعات من أولاد نايل إلى واحات وادي ريغ كل سنة يتم وصولهم الجماعي في بداية الخريف للعمل في واحات النخيل في عملية جني و فرز التمور، ثم يقضون الشتاء في خيامهم حول المدينة[2] حتى حلول الربيع يعودون إلى مناطقهم ترقبا للعشب لمواشيهم وموافاة موسم الحصاد في مناطق التل، احد الشيوخ المسنين من الذين مارسوا هذا التنقل يسرد لنا في حوار معه حول طريقة الحياة التي مارسها أولاد نايل ضمن حركتهم في الخمسين سنة الأخيرة:

" ...قد بدأنا النزول إلى واد ريغ عندما حلت المجاعة في 45، نأتي إلى تقرت بخيامنا بعد أن نترك أغنامنا مع من بقي في " الصحرة[3] " ، نحط بالقرب من المدينة ونبني خيامنا تبقى النساء والأولاد وينزل الرجال إلى الغابة للبحث عن العمل في التمر، أو في المخازن لفرز التمور، ومنا من يتوجه للسوق لبيع الصوف أو الدهان، بعد انتهاء العمل في التمر نبحث عن أعمال أخرى في التحميل في" الكرا يل[4] " عندما يحل البيع نبدأ العودة إلى مناطقنا في الصحرة، لنقضي مدة من الزمن حتى الصيف أين نتوجه إلى التل للعمل في الحصاد، إما بالكراء أو كأجراء، في بداية

---

[1] **Daniel DUBOST :**. ibid. p 140.

[2] المنطقة التي كانوا يخيمون بها على طرف المدينة المؤدي إلى منطقتهم، عبر طريق غير معبد تقطعه مسالك تجوبها الشاحنات العسكرية القديمة التي يشترونها من المزادات ويستعملونها في تنقلاتهم بين المدينة وصحرائهم وجلب المواشي للمدينة ونقل الماء لقطعانهم، الشاحنات التي عوضت الجمل منذ بدايات الاستقلال.

[3]. يطلق أولاد نايل تعبير" الصحرة" على المناطق التي جاؤا منها ، المنطقة الممتدة بين مسعد (ولاية الجلفة) شملا حتى النهايات الجنوبية للهضاب العليا.

[4] هذا التعبير يطلقونه على العربات التي تجرها الحمير أو البغال، هذه العربات استعملها أولاد نايل في التحميل والنقل في المدينة. قبل ذلك كان الحشاشنة ينقلون حاجياتهم بواسطة الحمير دون عربات.

الخريف نعود إلى مناطقنا للحرث بالنسبة للذين يملكون ضاية أو أرض، ثم العودة من جديد إلى واد ريغ. قبل هذا النظام الذي بدأنا في اتباعه كنا من ضمن العشابة، لكن الجفاف والمجاعة جعلتنا ننزل حتى وادي ريغ، في السنة الواحدة نقطع مئات الكلمترات متنقلين على الأقدام ونعمل عند الناس، الجمال قليلة ومكلفة، كانت تشترك عائلة أو أكثر في كراء جمل لحمل الخيمة والمئونة..."

وصف هذا الشيخ لشكل حياة البدو من أولاد نايل ونظام رحلتهم السنوية من وادي ريغ حتى التل، والذي دام منذ الأربعينيات، حتى الثمانينيات. عندما بدأ استقراهم وتثبيتهم في مدينة تقرت هذا التثبيت الذي تم على مراحل منذ بدايات الاستقلال، تحولت خيامهم إلى تجمعات من البيوت القصديرية على هوامش المدينة، بسبب الجفاف في مناطقهم وأيضا حصول الكثير منهم على وظائف كحراس في الشركات البترولية أو سائقين، بدأ أولاد نايل في التثبيت والبقاء حول المدينة طول السنة[1]. في محادثة أخرى حول تثبيت أولاد نايل بتقرت:

" في سنوات الاستقلال، بسبب الجفاف في مناطقنا وقلة الرعي وفقر العائلات ، وأيضا لأن الكثير من الرجال وجدوا العمل في الشركات في تقرت وحاسي مسعود، كنا نعمل حراس أو حمالين لأننا لا نعرف غير الرعي كحرفة، بقيت الكثير من الأسر في" الشتاية " المنطقة التي كنا نخيم بها وبدأ عدد العائلات التي تذهب إلى الصحرة يقل وتتكاثر تجمعات الأسر التي تبقى في مدينة تقرت" بعد تخلينا عن الخيام وبنينا" قرابي" نتيجة العمل ودراسة الأولاد في المدرسة الشيء الذي أصبح ممكنا، والعلاج، أصبح من الأسهل علينا البقاء في تقرت، لكن الدولة تنزعج من وجودنا، قامت بتحويلنا عدة مرات عندما تحول الأرض التي نقيم عليها قرابينا، إلى العمران دون أن يلتفتوا إلينا واشتكينا في كل مكان حتى قرروا في الأخير منحنا مكان نستقر فيه، في عام 1983رحلونا إلى ذراع البارود "

كخلاصة لهذا التقسيم للمجموعات الاجتماعية، نلاحظ أننا بصدد مجموعات اجتماعية متمايزة في أصولها الجغرافية، تحتل المجال العمراني لبلدية النزلة على العموم في صورة تجمعات سكانية في الأحياء على أساس التمايز الاجتماعي، نجد الحشاشنة يتواجدون في القصر القديم وتوسعاته الممتدة حتى الأحياء الجديدة (بومرداس، النصر1 و 2 وحي المستقبل 1و2، تتواجد بينهم تجمعات من العائلات من السكان البيض، سعيد أولاد عمر، فتايت، سوافا، هذه العائلات تتواجد أساسا في التوسعات التي تمت في سنوات الخمسينيات إلى التسعينيات نجدها في الغالب أربع أو خمس عائلات تتجاور في السكن في حي النزلة. أما عائلات البدو المتمدنين حديثا نجدها تحتل أحياء بكاملها مستقلة أنشئت هذه الأحياء بصفة هامشية ومعزولة عن النسيج العمراني الأصلي للبلدية كحي عين الصحراء بالنسبة لأولاد نايل وحي عاسو بالنسبة لبدو الطيبات، سرعان ما توسعت الأحياء نتيجة التوسع العمراني واندمجت ببعضها البعض لكن التوزيع المجالي الاجتماعي يبقى ساري المفعول يعزز إستراتيجيات مجالية، هناك بعض الاستثناءات القليلة العدد في هذا التوزيع المجالي لكن الشكل العام للأوساط الاجتماعية وتوزيعها على الأحياء يبقى مرسخا يشكل أحياء ذات هويات مختلفة.

[1] **Daniel DUBOST .**1989 ibid. p 139.

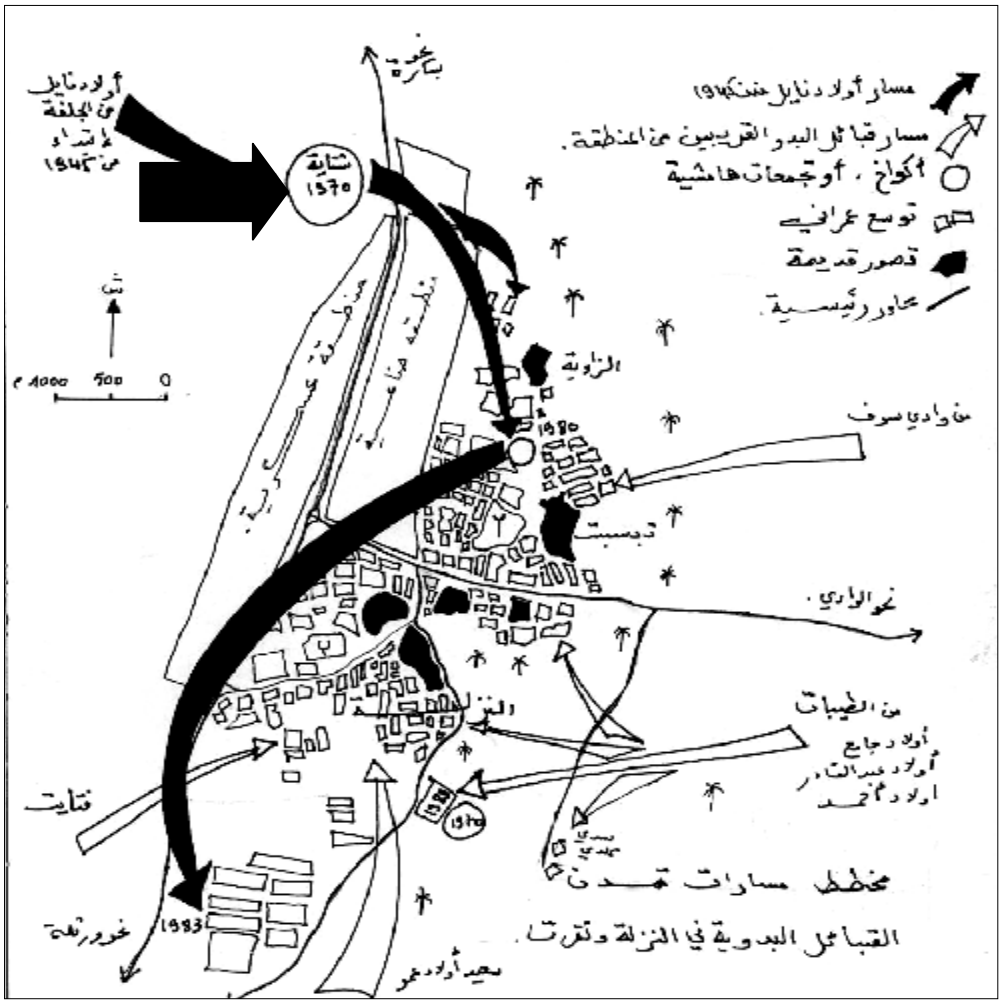

المصدر: إنجاز الطالب + المحادثات مع المسنين + أرشيف دائرة تقرت

الشكل (13) مسارات توطن البدو في أحياء مدينة تقرت

* (ملاحظة: الأسهم لا تشير إلى أعداد أو قيم، بل مجرد اتجاهات)

3 - الهيكلة الاجتماعية الجديدة، إعادة التشكل

عند التطرق لقضايا الهيكلة الاجتماعية في مجال دراستنا المتميز بتجاور مجموعات اجتماعية ذات تركيبة مختلفة في البنى الاجتماعية والأسرية ارتبطت منذ عهد قريب بعاداتها وقيمها الاجتماعية هي الآن في تحول وتغير نحو حضرية جديدة بتشرب قيم وعادات وأعراف المجتمع الحضري والتكيف مع مع عناصر البناء السوسيو اقتصادي للمدينة، بتعبئة الوسائل الاجتماعية والاقتصادية منها إعادة تركيب الروابط الاجتماعية التقليدية وملائمتها مع الظروف الجديدة، يمكن من خلال ملاحظاتنا استخلاص نوعين من التعبئة المعتمدة على العلاقات الأسرية والقراباتية تتكاتف من خلالها العلاقات الاقتصادية المهنية.

1 – الحشاشنة، العائلة الكبيرة

بالرغم من انعدام الدراسات التي أقيمت حول هذا المجتمع وهياكله الإجتماعية وتنظيماته ، المعلومات التي جمعناها بخصوص هؤلاء السكان قليلة جدا ، وحتى المحادثات التي جمعناها من السكان وهي كثيرة، تسمح لنا برسم خطوط عريضة فقط، هذه الفئة المنتشرة في وادي ريغ في قصوره القديمة التي هي في طور تحولات عميقة تحتاج إلى دراسة أشمل وأكثر وقتا.

هؤلاء السكان من أبناء الرواغة، حسب الروايات التاريخية من خليط من البربر الزناتيين ومن الزنوج الأفارقة، وحتى من بقايا أبناء العبيد القدامى الذين عمروا واحات النخيل وكونوا مجتمعا محليا متميزا بملامحه المظهرية في البشرة السوداء لكن الملاحظ أن الملامح تختلط بين البشرة السوداء والخطوط الدقيقة للوجه مما
يوحي بتهجين قديم أصبح الحشاشنة يختلفون كثيرا عن السكان المعروفين " الحرطن " او " الحرطانيين" المعروفين في الواحات الجنوبية أوفي الجنوب الغربي. قد فقد الحشاشنة ومنذ زمن بعيد اللهجة البربرية
" الشلحية " ولا ندري هل كانوا يستعملونها ، بقيت بعض الفئات المحصورة في القصور " بلدة عمر" 25 كلم إلى الجنوب من تقرت يتكلمون لهجة شلحية ، بربرية قديمة.

الهيكلة الاجتماعية عند الحشاشنة تختلف كثيرا عن هيكلة البدو من جيرانهم، المعروف عندهم العائلات الكبيرة الممتدة والمتشابكة فيما بينها بنظام من المصاهرات والقرابات، في أحاديثنا معهم لا يحددون تسميات القرابة بشكل واضح ولا يحسن الشخص منهم تفصيلها مثلما يحسنه البدو المتمدنين، فيما عدا القرابات المباشرة في الأسرة الكبيرة، كل شخص تربطه به نوع من القرابة البعيدة يقول لك" ... ابن عمي ... " هذه اللفظة تطلق على كل قريب لا يحدد نوع ودرجة قرابته. الهيكلة الأكبر هي العائلة الكبيرة، حتى أسماء العائلات لا توحي بانتماء أو بمنطقة، وكثير من ألقاب العائلات هي نفس ألقاب عائلات المجاهرية من البيض، انتسبوا لها في تاريخ معين. الأسلوب الواضح هو العائلات الكبيرة التي تتفرع إلى أسر. لدى السكان ميل واضح نحو إحياء روايات

وأساطير تربطهم بالأصول العربية. تجد من يحتك عن قدومهم من الساقية الحمراء ووادي الذهب، لكنهم لا يحسنون هواية الشجرة مثل جيرانهم البدو.

2 – **البدو، القبلية نحو التمدن**

عند المجموعات الأخرى ذات الأصول البدوية سواء من الذين أطلقنا عليهم عبارة أنصاف البدو (semi – nomades) أو البدو الحقيقيين من أولاد نايل، التنظيم السائد والواضح هو البناء القبلي، بالرغم من سنوات التمدن والتثبيت إلا أن الشعور بالروابط ودراية كل أفراد المجموعات بالأنساق القرابية وتفرعاتها والشعور بوحدة تلك القبيلة أو العرش أو الفرقة مهما كان تباعدها الجغرافي[1] .

في مقبلاتنا مع مسنين من مجموعات السكان في النزلة من ذوي الأصول البدوية خاصة من أولاد نايل وأحاديثنا معهم بخصوص العروش وتقسيماتها لاحظنا حيوية هذه المسائل عندهم ، يصنف لنا أحد الحاذقين من الشيوخ عرش أولا نايل - وكم كان فرحا فخورا وهو يسرد علينا تقسيمات العرش:

"... *أولاد سيدي نايل عرش كبير أكبر عرش في الجزائر ... في تقرت فقط مجموعة قليلة من أولاد نايل. سيدي نايل هذا ولي صالح جاء من الساقية الحمراء وعمر البلاد ، له عدة أبناء منهم* خرجت *الفرق التي في تقرت وهي أولاد وطية، أولاد المبارك، أولاد ساسي، المهاش*، حركات ... وهم كثيرون *كل فرقة تنقسم إلى ألقاب نسبة إلى جدهم القريب وكل لقب يقسم إلى عيالات* ..." العيال في منطوقه هي العائلة الكبيرة التي تنتمي إلى جد واحد- .يبدو أن كل أعضاء القبيلة مسنين وحتى الشباب يعرفون معرفة جيدة هذه المعلومات.

الإحساس القوي بوحدة القبيلة عند البدو المتمدنين يبقى موجودا رغم سنوات من التمدن والتثبيت، هذه الهيكلة الاجتماعية لا تزال فاعلة عند المجموعات الاجتماعية وحتى تلك التي كان تمدنها يمتد إلى الثلاثينات مثل ماهو بارز في مجموعات عروش منطقة الطيبات ومنطقة الحجيرة، أبرز دلالة لمسناها على بقاء هذه الروابط واستمرارها تجمعهم في أحياء معينة في النزلة في شكل تجمع من العائلات من عرش واحد أو فرقة واحدة أو أبناء عمومة في حي واحد. الروابط التي تجمعهم بماطقهم الأصلية الجغرافية بقيت قائمة بالرغم من البعد الجغرافي تبقى وحدة القبيلة والعرش هي الهيكل الاجتماعي القائم بمؤسساته التقليدية والرقابة القبلية التي يمارسها كبار السن.

4 - الأنساق العائلية، الأسر والعائلات والمجال السكني في النزلة

هيكلة الأسرة التي تؤثر بشكل مباشر على المجال السكني، إذ بتحول هيكل النشاطات بالاندماج في هيكلة اقتصادية وطنية شاملة ضمن المجموعة الوطنية العامة الذي حول بدرجة كبيرة منطقة الصحراء في العشريات الأخيرة، خاصة مجال دراستنا النزلة إذ شهدت هيكلة الأسرة في هذه المنطقة كغيرها من مناطق الوطن تحولات عميقة أثرت على نوع السكن من حيث هندسته أو من حيث وظائفه وتمثله. بين الأسرة التقليدية الممتدة في مجتمع الحشاشنة، والأسرة داخل العرش

[1] فاروق مصطفى إسماعيل ، *التغير والتنمية في المجتمع الصحراوي* . دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1990 ص 64.

والقبيلة بالنسبة لعالم البدو الذين تثبتو حديثا، هناك إعادة لتركيب الروابط الأسرية والاجتماعية و تغير في الممارسات وفي التمثلات والإستراتيجيات، نحاول تتبعها والكشف عنها من خلال مقاربات متنوعة مركزين على النوعية منها، لاكتشاف وضع الهياكل الأسرية داخل مختلف المجموعات والأوساط الاجتماعية التي تؤلف المجموعات الاجتماعية في بلدية النزلة، التي تشكل أوساطا اجتماعية متميزة لكل منها علاقاتها مع المجال.

في مقاربتنا اعتمدنا التقصيات النوعية التي تركز على المحادثات والملاحظات المباشرة مدعمينها بالإحصائيات المتوفرة خاصة الإحصاء العام للسكن والسكان لسنة 1998 و بتدعيم معطياتنا بنتائج الاستجواب الميداني الذي مس ما يقارب 550 أسرة من النزلة وزع على مختلف سكان أحياء البلدية خاصة الأحياء الجديدة. أيضا رأينا أنه من الضروري الاستفادة من سجلات عقود الزواج في الحالة المدنية للبلدية ومقارنة عدة سنوات في مواضيع أنواع الزيجات وحركيتها وتطورها منذ إنشاء البلدية سنة 1985 إلى سنة 2000 مرورا بسنة 1990. هذه المعطيات وفرت كمية هامة من المعطيات بتحليل دلالاتها يمكن أن ترسم لنا صورة الهياكل الأسرية في مجال الدراسة وعلاقاتها بالمجال السكني وبالأحياء وبالمدينة بشكل عام وبالمجموعات الاجتماعية المشكلة للنسيج الاجتماعي في المنطقة قصد الوصول إلى أنواع التعايش في المجال ومنه استكشاف الممارسات التسكنية في هذه المنطقة حاليا.

لمحاولة فهم الهياكل الأسرية وأنواع التعبئة في المجال ضمن مجال دراستنا المجال المتميز بتجاور مجموعات اجتماعية تركيبتها من السكان القرويين إلى البدو المتمدنين، أحياء تعبر عن نماذج اجتماعية متمايزة، سنعتمد التوزيع الاجتماعي على الأحياء الذي يتم بالطريقة المبينة في الجدول التالي هذا التوزيع كواقع اجتماعي يخلق أوساط اجتماعية موزعة على أحياء النزلة.

جدول(9) **توزيع السكان والمساكن على أحياء بلدية النزلة تقرت**[1]

[1] **ملاحظة**: يقرأ الجدول بالاعتماد على الخريطة المرفقة لأحياء النزلة

الأحياء	المساكن المشغولة	عدد الأسر	عدد السكان	السكان المشتغلين	نسبة التشغيل	عدد الأفراد في الأسرة
النزلة العتيقة و المنطقة الوسطى	2021	2470	15990	2416	%15.10	6.47
التوسعات الجديدة بعد 1990	1182	1173	9755	1347	%13.80	8.31
عين الصحراء	1239	1418	10247	854	%8.33	7.22
عاسو	287	308	2414	233	%9.65	7.83
سيدي مهدي	259	419	2118	/	/	5.05
مجموع	4988	5788	[1]40524	4850	%11.72	07

المصدر : Tableau récapitulatif de l'agglomération chef lieu de la commune de Nezla 1998

1 – أنواع التعايش في المجال السكني

انطلاقا من المعطيات النوعية و الإحصائية بالنسبة للأسرة، سواء بالنسبة لمجتمع الحشاشنة أو البدو المتمدنين في المدينة، وإعادة التركيب أظهرت أنواعا جديدة من التعايش داخل المجال السكني ساهمت في رسم ملامحه أزمة السكن بدرجة كبيرة التي أصبحت تمس المنطقة كغيرها من مناطق الوطن، نستنتجها من تطور عدد السكان من(27187) سنة 1987 إلى (40524) سنة 1998 الشيء الذي لم يصاحبه تطور في حظيرة السكن الذي كان سنة (4147) سنة 1987 بمعدل إشغال السكن(5.89) ليصل إلى (4988) بمعدل إشغال(8.12) سنة 1998، بسبب هذه الأزمة فإن مبدأ التعايش لأسر متعددة أو مركبة ليس دائما مسألة اختيارية، فقد لعبت الأسرة دورا كبيرا في تسيير أزمة السكن، مما يجبرنا في الأخير على التساؤل عن حقيقة التركيبات الأسرية المتعددة والتي نلاحظها، سواء عند الحشاشنة أو عند البدو المتمدنين. هل هي أنواع من التعاضد الأسري كتسيير لأزمة السكن أم هي اختيارات في هيكلة الأسرة تقود إلى رسم ملامح تركيبة أسرية جديدة في مدن الصحراء اليوم؟

إن التركيبات الأسرية التي وقفنا عليها في مجال دراستنا، بعد اضمحلال الأسرة التقليدية الممتدة. عند الحشاشنة أو الأسرة البدوية في عالم البدو المتمدنين تفجرت الأسرة إلى إمكانيات عديدة من التعايش داخل المجال السكني الجدول الذي استخرجناه من الاستجواب الميداني والذي كان موجها لنا في القيام بالمقابلات والمحادثات على أساسه تم إختيار الأسر التي تجرى معها المحادثات، في مختلف أحياء النزلة خرج بتركيبات التعايش التالية:

جدول (10) **أنواع الأسر وأشكال التعايش في المجال السكني في النزلة**

[1] الإحصائيات سنة 1998 **للديوان الوطني للإحصاء**. 1998. **ONS**

نوع الأسرة أو شكل التعايش	عدد الأسر	نسبة %
أسرة بسيطة (أب، أم+ أبناء)	271	%49.2
أسرة مركبة (أب، أم+ أبناء متزوجون) مع مطبخ مشترك	163	29.6 %
أسرة مركبة (أب، أم+ أبناء متزوجون) مع مطبخ مستقل	75	%13.6
تعايش إخوة متزوجين	21	%3.8
غير محدد	20	%3.6
مجموع الشريحة المحقق معها	550	%100

المصدر: استجواب شخصي صيف 2001 .

هذه الأنواع من التركيبات التي تولدت عن انفجار العائلة الأبوية التقليدية . تتضمن تركيبات جزئية أخرى متعددة ومعقدة في دلالاتها لم نوردها في الجدول، قمنا بجمع التركيبات الأساسية والتي نحتاجها في استنتاجات بحثنا. إعتمدنا على الملامح الأساسية من حيث بساطة الأسرة وتركيبها في الأسرة المركبة لاحضنا بروز التمييز بين الأسرة المركبة في مسألة تناول الوجبات والطبخ كونه عامل هام يمكن أن يوضح واقع التعايش في عدة أسر ودلالته وأيضا، بقاء الأبناء المتزوجين بعد وفاة الأب أو الأم أو كليهما يعيشون في نفس المنزل ودلالة هذا أيضا.

إذا كانت الأسرة البسيطة التي تمثل هنا النسبة الغالبة 49.2% هذه الأسر ما هي حقيقتها؟ هل هي اختيار أم بداية لدورة أسرية مركبة جديدة ؟ التوسعات الجديدة في النزلة ذات السكن الفردي التي أنشئت في السنوات الأخيرة (بداية من التسعينيات) في أحياء المستقبل وحي النصر، جمعت الأسر الجديدة بعد الانفصال عن الأسرة الكبيرة في الأحياء القديمة، تتم فيها تهيئة المنازل الفردية بالدرجة الأولى وترك حديد البناء بارزا تحضيرا لتوسيع عمودي جديد، الجدول الموالي لأعمار أرباب الأسر في النزلة المستقى من الإستجواب الشخصي يبين لنا أن أغلبية أرباب الأسر من فئة (45- 54) سنة بنسبة 43 % مما يوحي بأن نسبة الأسرة البسيطة التي لاحضناها في الجدول الأول إنما هي بداية لدورة أسرية جديدة.

جدول(11) **سن أرباب الأسر في النزلة**

السن	من 20- 34 سنة	35- 44	45-54	أكثرمن 55	غير محدد	مجموع
عدد	13	123	237	165	3	550
نسبة %	2.3	24	43	30	0.5	100

المصدر:تحقيق شخصي 2002

2. الأسرة في مجال السكن

حالة من هذه الحالات التي نتأكد من خلالها من صحة استنتاجنا هي أسرة السيد (السعيد) أسرة من الحشاشنة سكنت حي النصر الجديد سنة 1999 رب الأسرة أستاذ في التعليم الثانوي عمره 57 سنة زوجته وأبنائه السبعة أربع ذكور وثلاث بنات وأمه وأخته غير المتزوجة الإبن الأكبر عمره 17 سنة والبنت الصغرى عمرها سنتين، يقول لنا:

" ... أسرتنا الكبيرة من الحشاشنة ، الجد كان فلاحا يملك مجموعة قليلة من النخيل ويعمل خماسا في نخيل أحد الملاك ، يسكن في النزلة القديمة في منزل كبير من النمط التقليدي بالطين والجبس... الجد كان له زوجتين والدي كان الإبن الثالث من الزوجة الأولى تزوج من أمي التي هي بنت عمه حسب التقاليد ... كانت أسرة جدي التي تربينا فيها متعددة الأفراد كلهم يعيشون من الفلاحة ...في سنوات السبعينيات والدي يتوظف في شركة للمياه كبناء الوظيفة التي جعلته يتحصل على أرض للبناء بحي بومرداس ويبني لنا بيتا مستقلا عن أعمامي في هذا الحي وبقينا به حتى تقاعد الوالد ثم وفاته في سنة 1991 وكنت آنذاك أشتغل بالتعليم مع أخي الذي يشتغل في البريد ...تزوجت سنة 1981 من فتاة من النزلة بعد ذهاب أخي للعمل في حاسي مسعود ، تحصلت على قطعة أرض بحي المستقبل في النزلة وشرعت في بنائه بعد أن بعت حصتي من البيت القديم واستعملت مداخيلي الشخصية في بنائه ... أخذت الولدة للعيش معي وأختي غير المتزوجة ... هذا السكن الجديد الذي بنيته في مكان ملائم مقابل الشارع الرئيسي هو مستقبل العائلة إني أبنيه من أجل أولادي حتى يكونون في أمان ... هو كبير يسع الجميع ويمكن لهم الزواج فيه مستقبلا..."

في هذا الجزء من المحادثة التي تمثل بالتقريب مسارا نموذجيا يتكرر كثيرا بالنسبة لعائلات الحشاشنة في النزلة الخط المتبع يبدأ من الدار التقليدية التي ضمت أسرة الجد المركبة المرتبطة بواحة النخيل في الحي العتيق التحولات الأولى بدأت لهذا المجتمع في السبعينيات عندما انفتحت الوظائف لتستقطب عدد كبير من الرجال نحو الشركات الوطنية ونحو العمل في حاسي مسعود هذه الهجرة التي غيرت كثيرا من ثقافتهم المحلية ومن نوع علاقاتهم بالمجال ، تتوافق هذه التحولات مع التوسعات العمرانية في الأحياء التي بنيت كتوسيع للنزلة القديمة، سجلت التحول عن النسق القديم ، هذه المرحلة التي أسست لجيل آخر من الحشاشنة الذي يتوسع بدوره في الأحياء الجديدة ، هذا المنزل الكبير الذي يؤسس له محاورنا السيد السعيد " ... *دار المستقبل*..." حسب تعبيره والذي يعبأ من أجله جل مداخيله بالرغم من أن أسرته صغيرة وبسيطة لكن المشروع الذي هو بصدده إنما هو بالتأكيد أكبر من الواقع الحالي لهذه الأسرة فهو يفكر عندما يتم تزويج الأبناء الأربعة والتوسع عموديا ، المنزل ذو الطابق الأرضي والقاراج و" الهول " والحوش والصالون وصالون النساء و " الفرندة " ومكتب عمله والحمام هي عناصر مركبة بين عناصر البيت القديم والعناصر الحديثة، وحديد البناء البارز على السطح هو في إنتظار زيجات المستقبل ليتم بناؤه كطابق آخر.

من دراسة حالة أخرى تمثلت في محادثة مع السيد (علي) رب أسرة مقاعد كان يعمل في شركة بترولية في حاسي مسعود عمره 62 سنة يسكن بيت كبير في حي بومرداس بالنزلة.

"... أنجزت مسكني عام 1989 بعد أن عملت سنوات كثيرة في حاسي مسعود، كافحت كثيرا من أجل الأسرة ومن أجل بناء المنزل الذي كلفني الجهد والوقت، تحصلت عليه قطعة أرض من البلدية عام 1986 الآن والحمد لله البيت كبير نعيش كلنا فيه في مكان جيد، لي سبعة أبناء وبنت واحدة، لما تزوج أبنائي الكبار قمنا ببناء الطابق الأول وأخذ كل منهم جناح خاص به مع زوجته، أحدهما تاجر والثاني موظف..."

إن إعادة تشكيل " العائلة" الكبيرة تظهر ملامحه واضحة، بالنظر أيضا لظروف أزمة السكن التي سهلت هذا التوجه، رب الأسرة يقرر من البداية إنشاء منزل كبير مركب من عدة شقق أو أجنحة للأبناء بالزواج فيها لتتكون العائلات بتفرعات En souche ، كل زوج يحتل جناح بدرجة من الإستقلال يكون تناول الوجبات معا هو العامل المحدد لدرجة الإستقلالية النسبية ، هو نمط ثقافي يسمح بنسبة معينة من الاستقلالية للأسرة الصغيرة المحتواة في الأسرة الكبيرة ، أما في الخارج فينظر لهذه الأسرة على أنه وحدة عائلة كبيرة. حالات متعددة تمت مسائلتها حول الموضوع ، يتوقف هذا الإنجاز على نوع الوظيفة والمداخيل الإقتصادية التي تجعل المشروع العائلي ممكنا، ،أيضا دور المرأة وبدرجة أهم في ترتيب الزيجات المستقبلية للأبناء، معظم العائلات التي قابلناها والتي هي بصدد مشروع من هذا النوع تولي أهمية كبيرة لقضايا اختيار الزوجة " المناسبة "للإبن" وبالضرورة المناسبة لهذا المشروع.

بالنسبة للبدو المتمدنين فالتغير الذي لحق بهذه المجموعات الاجتماعية منذ الخمسينيات على الأقل قد أثر على جانب كبير من نسق حياتهم وطريقة حياتهم، إن نظام القبيلة الذي يقوم على عدد من الوحدات القرابية.
عوامل التغيير والتحول التي بدأت مع عمليات التمدن والتثبيت في واحات الجنوب وتغير العلاقات الاقتصادية واندماج هذه الفئات في اقتصاد المدينة تقرت طرأت عليه تحولات في البنية الاجتماعية وفي العلاقات الأسرية والعلاقة مع المجال سوف نستعرض بعض الأمثلة عن مسار مجموعات من البدو المتمدنين عبر محادثات معهم.

أسرة السيد بوزيد المتكونة من ستة عشر فردا يعيشون في منزل واحد بحي عين الصحراء زوجته وخمسة أبناء وثلاث بنات وزوجات أبنائه الثلاثة المتزوجون. استقبلنا كعادة البدو أمام منزله المتواضع وجلسنا بالخارج على فناجين من القهوة، وكان يظننا من الحكومة جئنا بغرض إحصاء أسرته لكننا وضحنا له الأمر وبعد تجاوبه مع موضوعنا. تركناه يتحدث مليا على قضايا الحي والبلدية والمدينة وأن أبنائه يعانون من قلة العمل وأن لا عمل يحسنونه سوى الحمالة أو السياقة. لما أثرنا موضوع الأسرة لم يفهم هذا الرجل معنى أن يخرج أبناؤه ويستقلون بأسرهم بعيدا عنه فلا حاجة لذلك فالدار كبيرة ولماذا يذهب أبنائي حتى وإن وجد سكن آخر وأكد أنه في عاداتهم حتى وإن كان أبناؤه يعملون بعيدا فلابد وأن يتركوا زوجاتهم وأبنائهم معنا.

النوع الثاني الملاحظ وهو الأسر المركبة من أب وأم وأبناء متزوجين في منزل، قمنا بتصنيفه إلى فئتين الأولى تضم هذا المركب مع الاشتراك في تناول الوجبات التي تمثل حسب الاستجواب

نسبة(29.6 %) والثانية نسبة(13.6%) أي الذين يتوفر لديهم في المنزل مطبخ مستقل لكل أسرة نووية، هذا التمييز فرضته الحالات الموجودة، ويبدوا أنه مسألة هامة لدى السكان يحددون به درجة التماسك في الأسرة المركبة. بالنسبة للفئة الأولى والتي تثير الاهتمام من حيث نوع هذا الترابط وإمكانيات ديمومته كاختيار أم هو شكل مفروض بفعل أزمة معينة حاولنا التأكد من ذلك بواسطة معرفة من هن زوجات الأبناء للواتي يعشن هذا النوع من طريقة الحياة لاحظنا أن فترضنا أن هناك نوع من القرابة بين الزوج والزوجة حتى يتم هذا التعايش وفعلا عندما نطلع على جداول أنواع الزيجات في النزلة وهو الدافع الذي كان وراء قيامنا بالإطلاع على عقود الزواج، نجد معدل الزيجات داخل القرابة يصل إلى نسبة أكثر من(23%) وعند أولاد نايل وغيرهم ذوي الأصول البدوية أكثرمن ذلك وهو ما يفسر هذه التعايشات في رأينا.

الأمر الثاني والهام في هذا الموضوع هو دور المرأة عند المجموعات الاجتماعية والدور الذي تلعبه في هذه الهيكلة الأسرية، من الملاحظ أن عند الحشاشنة تبدو للمرأة دور أكبر في الحياة الاجتماعية من وجهة نظر أن هذه المجموعة ذات تقاليد حضرية. الزيارات التي قمنا بها لبعض المنازل التي تأوي أسر مركبة ويتم فيها التعايش ضمن مطبخ واحد للأسرة جميعها وجدنا أن هناك قرابة ما تجمع زوجات الأبناء والأسرة من الحالات التي تكررت معنا بنت الخالة أي بنت أخت الأم وهي حالات يمكن تفسيرها بتعاظم دور المرأة في الهيكلة الأسرية هذا النوع نجده مكررا وقد تتفادى بواسطته الأسر ما يجري عادة من مشاجرات بيت الأم وزوجة ابنها ويسمح بالتعايش لأسرة محدودة الدخل، الملاحظة الأخرى قد نربطها بنوع وضيفة الأب خاصة الآباء الذين عملوا فترات طويلة بعيدا في شركات البترول أو كسائقي شاحنات غيابهم الطويل عن المنزل سمح أو دفع المرأة أن تحتل مكانة في تسيير أمور الأبناء والأسرة.

من جهة البدو المتمدنين هذه الأسر المركبة تأخذ تفسيرات أخرى غير التي تتم على أساسها تركيبات أسر الحشاشنة، النظام الأبوي والقبلي السائد يفرض أنواعا من التعايشات تفلرضها نظم الزواج والقرابة والرقابة الجماعية، وأيضا إنعزال معظم مجموعات البدو في مجالات عمرانية محدودة ومحدودية الإمكانيات وصعوبة الحصول على المجال هي عوامل تساهم في ترسيخ هذه التعايشات المركبة.

5- الزواج، القرابة والسكن "نطاق للتعبئة"

موضوع الزواج هو أيظا قضية هامة تتعلق بالهيكلة الإجتماعية والأسرية و بنطاق واسع للتعبئة من أجل المجال، ولتفسير أنواع التعايش داخل المجال والسكن وأيظا لتحديد درجات ذوبات هذه المجموعات الإجتماعية في النزلة، وحركة النساء بين المجموعات الإجتماعية وداخل المجموعة نفسها، قد يمدنا هذا بإشارات هامة نطلع من خلالها على الممارسات والإستراتيجيات التي تطبقها العائلات من المجموعات الاجتماعية التي تقطن النزلة.

باعتبار أن نصف السكان يتنقلون بعد الزواج، نظريا على الأقل عندما تتبع الزوجات أزواجهن لأن الرجولية هي القاعدة العامة في مجتمع نطاق دراستنا، عندما يكون التنقل تحويلا إلى حي آخر أو مدينة أخرى تخل اندماجا جديدا يوصل إلى اجتماعية متعددة الأشكال والأوجه، في نفس الوقت فإن تناقص نسبة الزيجات داخل رابطة الدم أي العائلة الكبيرة أو العرش هي إشارة دلالات أكبر

لإعادة تشكلات جديدة ما هي حدودها؟ وإلى أي شكل من أشكال التعبئة المجالية تقودنا هذه التشكلات؟

في مسألة الزواج يظهر إختلاف النسق القبلي للبدو المتمدنين، عن النسق الاجتماعي للسكان المحليين الحضريين الحشاشنة يظهر هذا في الزواج واستراتيجياته وعاداته في محاولة تقصينا حول الهيكلة الأسرية عند هؤلاء و أولائك لمعرفة تحولات الاستراتيجيات الزواجية وتطورها وعلاقاتها بالمسارات الإقاماتية ونتائج ذلك على طرق الحياة الجديدة و التشكلات الجديدة.

1 - الزواج، الأسرة عند المجموعات الاجتماعية

سجلات عقود الزواج في الحالة المدنية لبلدية النزلة منذ سنة 1985 سنة تأسيس البلدية، هذه السجلات بعد تحليل شرائح منها تعطينا فكرة حول أنواع الزيجات الممارسة عند هذه المجموعات ومسارات الإقامة وحركة النساء وتحولات نظم المصاهرات ونسب الزواج بين المكونات الاجتماعية لهذه البلدية، سنستعمل نتائج هذه المعطيات التي اخترنا منها عقود لثلاث سنوات متباعدة، 1985 وقت نشأة البلدية وسنة1990 بعد 10 سنوات ثم سنة 2000. سوف توجهنا هذه المعطيات إلى ممارسات واستراتيجيات، وأيضا إلى تساؤلات سوف توجهنا عند القيام بالمحادثات مع أسر من مختلف المجموعات الاجتماعية، في هذا الباب أيضا سنضيف نتائج الإستجواب الذي قمنا به في نفس الوقت في الأحياء المختلفة الذي مس شريحة من 550 أسرة من سكان النزلة، خاصة نتائج الجزء الأول منه الخاص بالأسرة [1] والذي يلقي الضوء على كثير من تساؤلاتنا.هذه التقصيات الاحصائية الكمية كانت أساسا بهدف استكمال وتدعيم المحادثات التي أجريناها مع العديد من الأسر.

إن تصنيف السكان ضمن المجموعات والأوساط الاجتماعية تم على أساس الأحياء السكنية أولا باعتبارها مميزة اجتماعيا و أيضا بالنظر إلى الاسم العائلي الذي يحدد المجموعة المنتمي إليها المعني، بالاستعانة طبعا بموظفي البلدية العارفين منهم بألقاب العائلات وانتماءاتها الذين قدموا لنا عون كبيرا عن طيب خاطر.و أيظا الأعيان وكبار السن الذين يميزون جيدا بين العائلات وانتماءاتها وتاريخها.

2 – من يتزوج من في النزلة ؟

العديد من المؤشرات التي سمحت لنا بتصنيف الزيجات في المنطقة بالنسبة لكل الأوساط الاجتماعية إلى ثلاثة أنواع كبيرة من الزيجات، قد يتفرع كل نوع بدوره إلى أنواع فرعية، الاسم العائلي للزوجين بالنسبة لعقود الزواج وخاصة الأب والأم تسمح بتحديد درجة الرابطة الأسرية بين الزوجين، للذين يحملون نفس الاسم العائلي نتأكد من الأبوين لنحدد أن الأمر يتعلق بالزواج ببنت العم الذي يتماثل مع الزواج المشهور "بالزواج العربي " Mariage arabe "وهو الزواج الأسهل في تحديده بخلاف الصعوبة في تحديد الزواج ببنت الخالة أو الزيجات الأخرى في محيط القرابة الأسرية القريبة، التي تتضمن في تصنيفنا علاوة على بنت العم وبنت العمة أيضا بنت الخالة وهو

[1] نموذج الاستجواب، أنظر الملحق ص:

الزواج الذي لاحظنا أنه يأخذ نسبة في الزيادة لأسباب عديدة تم التعرف عليها خـــلال المحادثـــات، وبنت الخال أيضا.

- النوع (1)

قد صنفنا هذه الزيجات ضمن نوع الزواج داخل قرابة الدم القريبة (زواج القرابة) وقسمناه على مختلف المجموعات الاجتماعية، يتضمن حتى الزواج الذي يتم بين الأقرباء مـــن جيلـــين مختلفين كأن يتزوج المعني من حفيدة أخ الأب(بنت ابن العم) وغيرها من الزيجات المحتملـــة في هذا النطاق. قد يقسم هذا الصنف إلى فروع أو مستويات نهدف منها إبراز مدى تطبيق نسبة الزواج العربي المفضل خاصة لدى البدو المتمدنين وتطوراته، وأيضا الإطـــلاع علـــى مـــدى ممارسة زواج بنت الخالة الذي أصبح شائعا مع تطور وتنامي دور المرأة في وسط الحشاشـــنة بالخصوص. نتأكد من هذه الممارسات ودورها في المجال السكني وتعدد أشكاله وأشكال التعايش بين أفراد الأسرة. نجده في الجدول تحت نوع (زواج 1) بالنسبة لكـــل مجموعـــة (أ) تخـــص الحشاشنة ، (ب) تخص أولاد نايل المجموعة البارزة من البدو في حي عين الصحراء خاصة ، أما المجموعة (ج) فتخص المجموعات التي تعيش بين الحشاشنة كمجموعات لهـــا خصـــائص متشابهة وهم (سعيد أولاد عمر ، السوافا ، الطيبات) ، أما (د) فتخص مجموعـــات متنوعـــة أخرى من السكان الذين استقروا في شكل فردي أو عائلات صـــغيرة مـــن التـــل أو الأوراس أوالجنوب .هذا التصنيف يجري على كل بقية الجدول في السنوات المعلمية المختارة.

- النوع(2)

يتضمن الزيجات من درجة قرابة أبعد، أي داخل العرش بالنسبة للبدو المتمدنين وإلى أي مدى يمكن لهم تمديد دائرة الزواج بفعل سنوات التمدن والتثبيت التي عاشوها في تقـــرت وفـــي النزلة، ومقارنة ذلك إن أمكن مع سكان آخرين سكنوا المدينة كأسر منفصـــلة داخـــل النســـيج العمراني القديم أي انفصلوا عن الكتلة القبلية في عين الصحراء ونرى أنـــواع الـــزواج التـــي يمارسها أبنائهم من الجيل الذي تربى في المدينة ولم يشهد حركة التنقل الموسمي، جيل هو فـــي سن الزواج اليوم، في هذا الصنف تتدرج الزيجات بين العائلات الكبيرة داخل أحياء الحشاشـــنة، كأن يتزوج حشاني من حشانية لكن من عائلة أخرى في نفس الحي.

- النوع(3):

يتضمن أزواج من خارج الحي أو من خارج درجات القرابة أو القبيلة، في هـــذا النـــوع يمكن تتبع تطور الزيجات بين المجموعات نفسها وقياس درجـــة انعزاليتهـــا عـــن بعضـــها أو اندماجها وتسارعه ويجيبنا عن التساؤلات بخصوص حركة النساء في هذا المجال.

- نتائج البحث في سجلات الحالة المدنية لبلدية النزلة

-

جدول (12) **أنواع الزيجات عند المجموعات الاجتماعية في بلدية النزلة**

1- المجمـــوعة (أ) الحشاشنة:

السنـــــــــــــة	1985	%	1990	%	2000	%
زواج 1	22	19,5	19	15,1	13	7,143
زواج 2	32	28,3	30	23,8	28	15,38
زواج 3	59	52,2	77	61,1	141	77,47
مجموع العقود (أ)	113	100	126	100	182	100

2- المجموعة (ب) أولاد نايل:

السنة	1985	%	1990	%	2000	%
زواج 1	6	50	3	30	7	41,18
زواج 2	4	33,3	5	50	7	41,18
زواج 3	2	16,7	2	20	3	17,65
مجموع العقود (ب)	12	100	10	100	17	100

3- المجموعة (ج) أولاد السايح ، سعيد ، سوافا :

السنة	1985	%	1990	%	2000	%

زواج 1	12	29,3	7	30,4	14	23.73
زواج 2	10	24,4	6	26,1	24	40,68
زواج 3	19	46,3	10	43,5	21	35,59
مجموع العقود (ج)	41	100	23	100	59	100

4- المجموعة(د) آخرون:

السنة	1985	%	1990	%	200	%
زواج 1	3	23,1	3	18,8	0	0
زواج 2	2	15,4	3	18,8	4	16
زواج 3	8	61,5	10	62,5	21	84
مجموع عقود (د)	13	100	16	100	25	100
مجموع العقود	179	100	175	100	283	100

المصدر: تحقيق شخصي من سجلات عقود الزواج في بلدية النزلة. سبتمبر 2002

من الجدول السابق نستطيع قراءة الإستراتيجيات الزواجية عند المجموعات الاجتماعية المختلفة التي تشكل مجموع سكان بلدية النزلة:

- أ) بالنسبة **للحشاشنة**، الزواج الداخلي (1) من 19.5% سنة 1985، إلى 15.1% سنة 1990، إلى 07.14% سنة 2000. نلاحظ أنها في تناقص واضح حتى وإن كانت قليلة نسبيا منذ سنة 85. الزواج (2) سنة 85 يمثل 28.3 % ، سنة 90 يمثل 23.8% وسنة 2000 يمثل 15.38% . هذه الأرقام تدل على تناقص في عدد الزيجات بين الأسر الحشانية داخل النزلة قد تعوض بزيجات بين نفس المجموعة لكن بين أحياء أخرى في مدينة تقرت، أو القرى والمدن القريبة خاصة تماسين.الزواج (3) في هذه المجموعة هو الأهم سنة85 يمثل 52.2%، ليصل سنة 90 إلى 61.1% ثم سنة 2000 ليصبح في مستوى 77.47% . هذه انسب بالدرجة الأولى دلالة واضحة على التقاليد الحضرية لهذه المجموعة من القديم، ودلالة واضحة على تحولاتهم في الهيكلة الأسرية، مع الأخذ بعين الاعتبار أن معظم الزيجات المصنفة ضمن الصنف (3) الخارجية هي أيضا زيجات كما أسلفنا من نفس المجموعة الحشاشنة تسكن مناطق أخرى في نفس المدينة كبلديات، تبسبست، الزاوية، أو قرى وادي ريغ كتماسين أو بلدة عمر وغيرها هذا ما أظهرته المحادثات مع أسر من هذه المجموعة. ويدل أيضا على انهيار الحدود بين هذا المجتمع والخارج بخروجه شيئا فشيئا من محليته بفضل عوامل متعددة منها إضعاف النظام الأبوي، ، أيضا الفردية المتزايدة نتيجة نظام الأجرة الفردي الذي كسر النظام الأسري التقليدي المعروف الذي يرتبط مباشرة بالواحة وفلاحة النخيل و الدراسة خاصة والعمل في مناطق أخرى والجامعة التي التحق بها عدد كبير من أبناء هذا المجتمع، مسارات حياة أصبحت مختلفة كثيرا عما كان يجري قبل 30 سنة.

- ب) فيما يخص عالم البدو المتمدنين من أولاد نايل، الزيجات المسجلة في بلدية النزلة هو قليل لا يمكن تحليله من خلال الأرقام تحليلا شاملا، يتحتم إذن اللجوء إلى معطيات نوعية أخرى، لكنه يعطي بعض المؤشرات، أولا كون تسجيل العقود بالنسبة لهذه المجموعة بهذه الصفة القليلة في بلدية إقامتهم هو مؤشر في حد ذاته لسلوك معين نحاول فهمه من خلال المحادثات، إذ اقتصر تسجيل الزيجات على 12 عقدا في سنة 85 من أصل 179 عقدا مسجلا في هذه السنة قد تكون هذه السنة في عهد مبكر بالنسبة لتمدنهم واستقرارهم الحديث بالنزلة الذي تم فقط في سنة 1983 والبلدية نفسها أنشئت سنة 1985، وأيضا بالنسبة لسنة 1990 العقود لم تتعدى 10 عقود من أصل 175 عقدا، أي نسبة 5.71% في حين كانوا لا يقلون في هذه السنة عن 47% من عدد سكان النزلة حسب إحصائيات هذه البلدية[1] ونفس الحال بالنسبة لسنة 2000 . 17 عقدا من أصل 283 ، أي 6% فقط . سألنا حول هذه الظاهرة بعض المعنيين من هذه الفئة ، وحسب التصريحات التي حصلنا عليها ، إن التعامل بالأوراق الرسمية التي تفرضها البلدية عند تحرير العقود لا تتوفر عند كل المجموعة، العديد من الأشخاص منسيين ، عقود الوالدين غير مسجلة ، كثيرة هي الحالات المعقدة بسبب " الوثائق" ، بسبب التعقيدات التي تواجه هؤلاء السكان في تسجيل عقودهم يلجأون إما للتسجيل في بلدياتهم السابقة في البلديات الجنوبية لولاية الجلفة التي تتفهم حالاتهم حسب قولهم ، أو الزواج العرفي دون التسجيل مادام الزوجين أقرباء ويتم تأجيل مشاكل " الأوراق" إلى حين تفرض نفسها مثلا عند بلوغ الأطفال سن التمدرس.

من الحالات التي تتكرر كثيرا حالة الشيخ عيسى من البدو المتمدنين له ثلاثة أبناء متزوجين من بنات إخوته وأقربائه وخمس بنات متزوجات ، عقده غير مسجل حتى الآن بسبب أن زوجته منسية، الأبناء يعانون من مشاكل في تسجيل عقودهم وتمدرس أبنائهم. بسبب حالة التنقل الدائم والترحال والبداوة والأمية المنتشرة جعلت حالة هذه المجموعة معلقة بين ولايتين جل الكبار مسجلين في البلديات الأصلية. معظم الذين بدأو التسجيل في تقرت لا تعود إلى أكثر من السبعينيات، هذه الوضعيات تفسر قلة عقود أولاد نايل في سجلات الحالة المدنية للنزلة.

في كل السنوات الزواج عند أولاد نايل من نوع (1) لا يقل عن 30% إلى 50% هذه الزيجات داخل القرابة هي من صفات الزواج الداخلي المفضل عند البدو، لكننا سوف نلاحظ من خلال المحادثات أن هناك تحولات كثيرة طرأت على هذا النوع مما يجعل ممارسات جديدة تطرأ على هذا المجتمع لكن بصفة محتشمة، الزواج من النوع (2) أي داخل العرش والقبيلة، من 33.3% إلى 50% إلى 41.18% هي مؤشرات واضحة على هذه التحولات التي فرضتها عوامل التمدن، تمدن عروش مختلفة في منطقة واحدة تصبح بالضرورة هي الأقرب، إذا ما تعذر الزواج الداخلي إذا تعلق الأمر بالآخرين " البرانية " أو " أصحاب البلاد" من الحشاشنة وغيرهم. الزواج من فئة (3) الخارجي حتى وإن سجل 16.7% و 20% و 17.65% فهذه النسب قد تبدوا عالية بالنسبة لهذه المجموعة لكنها في الغالب تتعلق بنوع من الزيجات بين شخص نايلي قد يسكن النزلة

[1] إحصائيات السكان بمصلحة الإحصاء بلدية النزلة سنة 1990 وسنة 2000.

وليس عين الصحراء قد تزوج بفتاة من منطقة الأصل الجغرافي لهذه الفئة، هو زواج خارجي من فئة (3) بالنظر إلى الموقع الجغرافي لكنه قد يكون زواجا داخليا بالنسبة لهذه الفئة داخل القبيلة.

مسألة الزواج المسمى "عربي" معروفة ومتداولة كثيرا عند الأنثروبولوجيين، الذي يسميه Lévi-Strauss الزواج في درجة قرابة ضيقة Le mariage dans un degré approché هذه العبارة التي تتماثل أكثر مع هذا النوع من الزواج، الذي حسب مفهوم P. BONTE يمثل معيارا norme أكثر منه قاعدة règle. لا يمكن أن يتجاوز عملية وضع زواج البدو في إطاره النظري خاصة قبل توطنهم بالنزلة والآن لأن ذلك يسمح بتوضيح أكثر الديناميكية الاجتماعية لهذا المجتمع. إن النظرة الإحصائية التي قمنا بها بالنسبة لعقود الزواج لا تسمح إلا بتقريب الأسباب التي أدت و تؤدي إلى الزواج من أبناء العم و الذي أثار في تاريخ الانثروبولوجيا ثلاث حوارات و التي لخصها **P .BONTE** - معنى الطبيعة المفاضلاتية préférentiel الذي أعطى هذا النوع من الزواج الأفضلية و ليس المفروض في هذا الزواج المظهر الداخلي endogamique لهذه الممارسة كزواج داخل الخط القرابي الضيق مباشرة بعد مستوى الحرمات و الذي يتناقض مع قاعدة الزواج الخارجي exogamique. يظهر هذا الزواج في درجة قرابة ضيقة، الزواج العربي يتمثل إذا في تزويج الشخص الأكثر درجة من القرب بالنسبة لرابطة الدم. و هذه الفكرة التي يعبر عنها **بيار بورديو Pierre Bourdieu** في نظره حول القضية تجلب الاهتمام عندما يكرر المخبرون و بتأكيد شديد، بأننا أصبحنا نتزوج أقل في خط القرابة الآن أكثر مما كنا نقوم به سابقا هل هم فقط ضحايا لوهم تكرس بفعل اضمحلال العائلات الكبيرة غير المجزأة، بالفعل عندما تنقطع وحدوية العائلة الكبيرة و لم يعد شيء يذكر أو يقوم بصيانة (الشجرة العائلية) ابنة العم يمكن أن تكون غير قريبة من حيث المجال الاجتماعي و الممارس بالمقارنة مع أية قريبة أبوية أخرى (أو حتى أموية) يمكن أن تعوض عمليا ابنة العم المباشرة.

من المؤكد أن نتائج أخرى لهذا الاضمحلال يمكن أن تحس أو تشاهد مثل الزواج من القريبة غير بنت العم المباشرة كزواج يصنف في خانة " الأفضل المتوفر" في حالة الانقسامات العائلية التي تسببت فيها التحركات المتعددة للبدو أولاد نايل خاصة، والتي قادتهم إلى التوطن والتمدن في مناطق متعددة منها تقرت والنزلة، هذا اللجوء إلى تعويض الزواج بابنة العم " بالزواج الأفضل المتوفر" إلى إلقاء أضواء على طبيعة النسق الزواجي عندهم. عند أولاد نايل خاصة الذين تم تمدنهم وتثبيتهم ككتلة اجتماعية واحدة في حي معزول عن عالم المدينة (كان معزولا في سنة 1983 وقت تثبيتهم بتوزيع الأراضي عليهم وفرض البناء، لكن هذا الحي اليوم نتيجة التوسع العمراني قد لحق بالمدينة ولحقت به المدينة، هذا فقط تعميريا لكن اجتماعيا لا يزال الحي في انتظار المدينة). أزمة الحياة القديمة في هذا المجتمع لا تزال قائمة لكن الاستمرار النسبي للنظام الاجتماعي في عملية التمدن و التي تتم في أدنى صورها في هذه الفئة نظرا لتقسيم العمل والفردية الجزئية التي تفسر تنامي الزيجات داخل العرش، يمكن أن نسجل أيضا الواقع النسبي لبعض الزيجات بين والمجموعات الأخرى، إهذا النوع من الزيجات بين المجموعات والأحياء المختلفة نادرة جدا، هذا النوع من الزيجات يتم عادة عندما يكون الرجل بصدد زواجه الثاني وقد بلغ سنا متقدم.

- ج) الزواج في الفئة (ج) أي البدو أيضا من سعيد أولاد عمر والطيبات والسوافا وغيرهم من الفتايت هذه الانتماءات القبلية أيضا لكن مايميزها عن أولاد نايل عدة ميزات أولها أنهم

تمدنوا نسبا قبل أولاد نايل، ثانيا كون مناطقهم الجغرافية التي قدموا منها في مراحل سابقة تعد قريبة نسبيا من منطقة وادي ريغ ، الحجيرة على بعد 70 كلم ، الطيبات على بعد 40 والوادي 95 كلم كان تواجدهم قديما وحتى مجال سكنهم مختلط مع الحشاشنة استطاعوا الاندماج في الأحياء الرئيسية للنزلة حتى قبل أن تكون مقر بلدية. ما يمكن أن نستنتجه من اتجاهات الزواج عند هذه الفئات، زواج (1) تتراوح من 29.3% سنة 85 إلى 30.4% سنة 90 إلى 23.37% سنة 2000هي نسب متأرجحة إذا ما صدقنا المعلومات التي حصلنا عليها بخصوص أسماء العائلات، كون الأسماء كثيرة والعائلات متعددة، الزواج (2) نتقل أيضا من 33.3% إلى 50% إلى 41.18%. الزواج (3) من 16.7% و20% و 17.65% يمكن أن نقرأ من خلالها أن هذه المجموعات ذات الأصول البدوية لا يزال الزواج الداخلي يمثل نسبة عالية، لكن تجربتها التمدنية الأقدم نسبيا وفرت لها عوامل التحول، كما أن فرضية قدوم عائلات جديدة من مناطقهم القريبة تبقى واردة حتى الآن، المحادثات سوف تكشف هذه التحركات.

- د) بالنسبة للفئة (د) تمثل السكان الذين لا ينتمون إلى إحدى التفرعات السابقة، أغلبيتهم تتمثل في عائلات سكنت منفردة إما من مناطق التل، أومن الجنوب بحثا عن الاستقرار والعمل، نظرا لأسعار المنازل المتدنية في الحي القديم، لقرب المنطقة من حاسي مسعود تمكنت عائلات كثيرة من الهجرة والاستقرار وشراء أو كراء منازل، نسبة العقود الموجودة مثلا 8.83% من مجموع العقود لسنة 2000 توضح أهمية هذه الشريحة من حيث العدد في النزلة، هم من الموظفين المتوسطين في مختلف القطاعات، الصحة، التربية، وأيضا من البطالين الباحثين عن العمل أو من العائلات التي انتقلت من الشمال في الظروف الصعبة العشريات الأخيرة.

3 - الزواج المختلط بين المجموعات، بين انفتاح الإمكانيات وترسيخ الشبكات التقليدية

الزواج المختلط بين المجموعات المكونة لسكان البلدية قد يكون مداه مقياسا لدرجة الذوبان والتمدن والحضرية، كما أسلفنا فإن اعتبارات تاريخية وتمثلاتية تقف في وجه سهولة هذا الزواج الذي نرى حسب المعطيات الإحصائية أنه نادر الحدوث وإن حدث فتحت ظروف قاهرة أو حالات نادرة. بالرغم من كون الممارسات الزواجية الحالية مطبوعة بانفتاح الإمكانيات أكثر، دون اختفاء الشبكات القديمة والتقليدية، يمكن أن نشهد الآن أنواع متعددة من الزيجات تتشابك مع الظروف الجديدة والاستراتيجيات القديمة، الزيجات المضاعفة (بين أختين وأخوين هم أبناء عمومة) نجدها خاصة عند البدو المتمدنين مع زيجات أكثر بعدا في دائرة القرابة نجدها في البعد الأقصى جدا حتى تكاد تنفتح إلى غير القرابة عند بض العائلات التي تمكنت من دخول الأنسجة العمرانية في شكل عائلات فردية بسبب نوع النشاط الذي مارسه الأب في تاريخ معين والذي سمح له بالانفصال الفيزيائي على الأقل عن مجموعة البدو والسكن في " البلاد " حسب تعبيرهم، هذا التطور سمح للأبناء من الانخراط في مسار حياة أقرب إلى ثقافة المدينة يتزوجون بفضل العلاقات الجوارية أو المهنية أضيفت لهم كإمكانيات جديدة إضافة إلى إمكانيات القرابة الباقية بقوة خاصة للبنات اللواتي لم ينفتح لهن هذا الباب بعد، حالة من هذه الحالات الشائعة توضحها لنا المحاورة التي أجريناها مع السيد " محمد".

" الوالد كان يعمل سائق شاحنة، استقر في المدينة عام 1970، قام بكراء منزل في النزلة القديمة، ثم تمكن من شرائه من عند صاحبه الحشاني الذي بنى منزلا فيحي جديد، نحن خمسة أبناء وأربعة بنات... الوالدة هي بنت عمة الوالد... تمكن معظم الأبناء من النجاح في الدراسة نحن الآن ثلاثة موظفين، أنا في التعليم تزوجت من معلمة من السوافة وأخي الأصغر يعمل في البريد متزوج من بنت من الشمال قابلها أثناء التكوين... أما البنات وصلن في الدراسة حتى الثانوي، وتزوجن كلهن داخل العرش اثنين منهن عند أبناء خالاتي والأخريات عند أبناء " يقربون لنا "... نحن الآن نعيش كلنا في منزل واحد كبير تعاونا في شرائه وبنائه...الوالدة لا تتفاهم مع زوجاتنا لكونهن في نظرها " برانيات " أما الوالد فلا يولي اعتبارا للموضوع، فهي تتحالف مع بناتها و أزواجهن... لم نتزوج من القرابة كون البنات عندنا لم يدرسوا و لا يفهموننا بالرغم من الآباء يحاولون ربطنا بالعرش لكن السكن في المدينة بعيدا عن العرش الذين بقوا متكتلين في عين الصحراء يتزوجون فقط من بعضهم داخل العرش...".

هذا المسار يمكن أن يكون نموذجيا بالنسبة لأسرة من أولاد نايل عاشت بين جيران مختلفين داخل الأحياء القديمة للنزلة، نلاحظ أن المسار الدراسي والمهني قد أكسب الأبناء من الجيل الذي تربى في المدينة من التحول والتغير عن نفس الجيل الذي بقي أفراده في شكل كتلة واحدة، نلاحظ أيضا أن هذه التغيرات لا تتم بسهولة بسبب مقاومة الأولياء لهذه التغيرات والإمكانيات الجديدة التي تضعف الانتماء الهوياتي هذه المقاومة نجدها واضحة بالنسبة للبنات، فلا يسمح أن تتزوج بناتهن خارج العرش أو دائرة الانتماء مهما كان المستوى، الإمكانيات الجديدة للبنات متاحة فقط داخل مستويات التشديف .ségmentarité .

إن تطور إمكانيات اختيار الزوجة، ولو بالصفة المحتشمة التي لاحظناها، تترجم في الحقيقة تحولا اجتماعيا وتمثلاتيا، بعيد عما كان يجري في بداية السبعينيات، دفتر السفر الذي كتبه **Daniel Pelligra** [1] و سجل فيه ملاحظاته وحواراته ويومياته مع بدو أولاد السايح في وادي ريغ قدم صورة عما كان يجري في وقت عيشه معهم سنة 1972 بدايات التمدن وعهد تطبيق الثورة الزراعية، عند أخذه كنموذج اثنولوجي ومقارنته بما يجري الآن يمكن أن نتوصل إلى فكرة عن التحولات التي وقعت حتى الآن.هذه التحولات التي تجري في المدينة وحتى في كل مدن الجنوب بدرجات مختلفة، في الجنوب الشرقى أين ارتبطت المنطقة بشركات البترول في حاسي مسعود، وانتشار الوظائف وفتح فرص العمل والدراسة، وآثار الثورة الزراعية التي أنهت عهد الخماسة هذه التحولات فتحت المجال نحو إعادة تركيب جديد للأسرة التقليدية سواء عند القرويين القدامى أو عالم البدو المتمدنين قديما وحديثا باختلاف انتمائاتهم القبلية والجغرافية .

تطور النظام الأسري في أشكاله الجديدة الشاهد المادي عليه نلاحظه من خلال السكن والبناء والتوزيع الإقاماتي، بناء المنازل الكبيرة التي تتوسع عموديا بإضافة الطوابق كإعلان عن زواج جيل جديد ، أشكال الأسرة والتعايش تغيرت داخل المجال السكني والعلاقات أيضا تغيرت . كثيرة هي الأمثلة عن زيجات حدثت بين أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات بين أبناء الحشاشنة ونساء من الشمال (القبائل، سطيف، قسنطينة، العاصمة...).

[1] **PELIGRA Daniel,** *Rahala ! Errances bédouines*, éd l'Aube 1998 , Paris , pp 295.

جدول (13) **الزيجات المختلطة بين المجموعات الاجتماعية لسكان النزلة**

الزواج		السنة		
مجموعة الزوج	مجموعة الزوجة	1985	1990	2000
أ	ب	0	0	1
أ	ج	8	6	14
أ	د	12	9	20
ب	أ	0	1	1
ب	ج	0	0	1
ب	د	1	1	2
ج	أ	7	5	8
ج	ب	0	0	0
ج	د	3	5	9
د	أ	4	6	5
د	ب	0	0	1
د	ج	2	3	4
مجموع الزيجات المختلطة		**37**	**36**	**66**
مجموع العقود		**179**	**175**	**283**
نسبة الزيجات المختلطة		**%20.7**	**% 20.6**	**% 23.3**

المصدر: تحقيق شخصي في سجلات الحالة المدنية لبلدية النزلة (تقرت) سبتمبر2001

- **قراءة الجدول**

الخانة الأولى تخص الأزواج من مختلف المجموعات والثانية تخص الزوجات، مثلا في حالة (أ / ب) هو زواج بين حشاني و مرأة أولاد نايل، الرموز المستعملة للإشارة للمجموعات الاجتماعية هي نفسها الخاصة بالجدول السابق أي (أ) مجموعة الحشاشنة (ب) أولاد نايل و(ج) تخص سعيد أولاد عمر والفتايت والطيبات والسوافة أما (د) فتخص العائلات المتفرقة القادمة من مناطق أخرى لا تشكل مجموعة اجتماعية، نتائج هذا الجدول تعلمنا الكثير حول العلاقات بين المجموعات الاجتماعية.

4حركة الأزواج والزوجات

جدول(14) **حركية الأزواج والزوجات بين 1985 - 2000**

سنوات	1985		1990		2000	
حركية	أزواج	زوجات	أزواج	زوجات	أزواج	زوجات
لم يتنقلوا	146	121	152	119	195	158
تنقلوا	33	56	23	70	72	109
مجموع	179	179	175	175	238	238
نسبة الحركية%	%16.75	%31.28	%13.14	%40	25.44 %	%45.97

المصدر: بحث في سجلات عقود الزواج في بلدية النزلة جوان 2001

تنقل النساء عن طريق الزواج حركة كثيفة ويمكن ملاحظتها في جدول تنقل الزوجات السابق الذي استخرجناه من العمل في سجلات عقود الزواج في النزلة لسنوات 1985 إلى 2000 والـذي يعطينا فكرة واضحة عن حركية الأزواج والزوجات بعد الزواج، نلاحظ من خلاله تنقل الزوجات بنسبة حركية(31.28%) في سنة 1985 ونسبة (40 %) سنة 1990 و(45.97 %) سنة 2000، هذه الحركية تشير إلى تنقل العديد من النساء بين المدن والأحياء وإذا مـا أخـذنا فـي الحسـبان إمكانيات المصاهرات والزواج المتاحة في المجموعات الاجتماعية نستنتج الحركة هذه بين المـدن القريبة والبلديات المجاورة.

خلاصة الفصل

من هذا العرض للواقع الاجتماعي والعمراني للنزلـة مـن خـلال المجموعـات والأوسـاط الاجتماعية المشكلة للمجال السكني والإقاماتي، لقد نظرنا إليها ليس كما نظرت إليهـا كثيـر مـن الدراسات والبحوث حول المنطقة كأرقام في جداول، إن الواقع الاجتماعي يثبت لنا الوضع القـائم كونها **مجموعات اجتماعية بين التمايز والذوبان فيما بينها، في إطار مدينية جديـدة فـي مـدن الصحراء اليوم ضمن مجال عمراني ذو منطق عمراني غير واضح المرامي**، أصبح يتطور ضمن منطق متعدد يطبعه التقاطع بين المنطق الاجتماعي الهوياتي الذي يتخذ مـن الهيكلـة الاجتماعيـة والأسرية الجديدة التي أعيد تشكيلها وصيغتها تجاوبا مع التحولات في إطار مجتمع وطني غالـب دون فقدان الهيكلة الاجتماعية التقليدية والأصيلة المعبرة عن الهوية الاجتماعية، إن مؤسسة الزواج هي المعبر الرئيسي عن هذه الاستراتيجيات الاجتماعية والتشكلات الجديدة ، في مواجهـة منطـق مؤسساتي رسمي المطبوع بالنظرة العصرانية التي لا تتكيف معها المجموعات الاجتماعية أو الأسر دون إعادة صياغتها على منوال التصورات والتمثلات الاجتماعية.

هذه الخريطة العمرانية التي تتشكل في النزلة كحي من أحياء مدينة تقرت التـي هـي الأخـرى مشروع عمراني مفتوح في طور الإنجاز ، هي في الحقيقة الهيكل الذي يضم خريطـة اجتماعيـة على شكله ومقاسه، السكان ليسوا مجرد أرقام في جداول، يسكنون ، يتعلمون، يستهلكون، .... بل هم فاعلون أكيدون من خلال ممارساتهم واستراتيجياتهم واحتلالهم للمجال هم يرسمون المدينـة و يخططون لها ويقيمون التقسيمات والعلاقات بينهم ويبنون مساكنهم على صورة هوياتهم الاجتماعية والأسرية ويعيشون المدينة بتمثلاتهم، إن المعرفة الجيدة لهذا الواقع العمراني والاجتماعي في النزلة هو الذي سوف يساعدنا في الفصل التالي على تحديد أنواع الممارسات والاستراتيجيات والتمـثلات التي تتعلق بالمجال الذي تطبعه التحولات في مجال دلراستنا الميدانية النزلة.

الفصـــــل الثـــــالث

التعبئة السكنية: الممارسات والاستراتيجيات وتمثلات المجال في النزلة - تقرت -

1. خطاب الفاعلين الرسميين، التخطيط لحي لبلدية أم لمدينة ؟
2. النشاطات والمهن.
3. الممارسات، السكن مجال للتعبئة الاجتماعية
4. الاستراتيجيات، السكن رهان عقاري وهوياتي !
5. التمثلات، المجال عالم للطقوس للهوية وللرمزية.

مقدمة

في هذا الفصل من الدراسة سوف نركز العمل بالخصوص على مجال السكن الجديد في النزلة أي التوسعات العمرانية الجديدة التي تمت منذ نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات، أحياء المستقبل والنصر وأجزاء من حي عين الصحراء و توسعاته الجديدة وحي عاسو وبعض الجهات من النزلة القديمة والتي شهدت التوسع والتغيير في هذه الفترة المحددة.

كون هذه الأحياء هي التي تمثل حاضر التوسع العمراني لمنطقة الدراسة تظهر فيها وبشكل جلي الإستراتيجيات المجالية، للمجموعات الاجتماعية المختلفة التي تكون سكان النزلة من حشاشنة سكان الواحات القدامى والبدو المتمدنين إضافة إلى عائلات قدمت من مناطق التل أو الجنوب.

إن الممارسات السكنية والمتعلقة بالمجال والتي تخدم إستراتيجيات اجتماعية وأسرية هي من الواقع الاجتماعي المجالي الذي هو من أهم إشكاليات مدن الصحراء الجزائرية اليوم خاصة مدن الصحراء المنخفظة، بين مجموعات اجتماعية ذات علاقات قديمة بالمجال الحضري والتقاليد الحضرية الممثلين في مجموعة الحشاشنة في مجال دراستنا، ومجموعات من البدو المتمدنين والمثبتين في مراحل مختلفة من تاريخ مدن الصحراء. الممارسات والاستراتيجيات التي تغذيها، هي في الواقع وحسب ما يمكن أن نفترضه من الملاحظات التي استقيناها من مجال الدراسة والذي رغم ضيقه فهو نموذج واقعي ومتكامل إلى درجة كبيرة يبين الواقع الاجتماعي في المجال الصحراوي اليوم، هي مواجهة لمنطقين اجتماعيين مختلفين هما من صميم عالم الريف في الصحراء في تحوله الاجتماعي والاقتصادي نحو مدينية يهيكلها منطق مؤسساتي ذو نظرة وطنية شاملة من خلال أدواته وقوانينه المؤسساتية.

من خلال النظر أولا في المنطق الرسمي المؤسساتي الفاعل الذي يسير المدينة أوالحي ويخطط لها، والممارسات الاجتماعية للأسر والمجموعات وفهمها، الممارسات في السكن ومن أجل الحصول على السكن وأيظا في الأحياء والمدينة التي تظهر لنا بعد تتبعها الإستراتيجيات المطبقة الواضحة والخفية لمختلف المجموعات والعائلات من أجل تملك المجال السكني من خلالها يمكن إكتشاف التمثلات من خلال خطاب مختلف الفاعلين في المجال وهي من صميم اشكاليتنا في مجال دراستنا الميدانية النزلة، بواسطة تقصي نوعي يستعين بأدوات إحصائية وهو المنهج الأفضل في الكشف عن ظواهر انثروبولوجية اجتماعية[1].

[1] **العياشي عنصر** *السيرة الذاتية لتجربة في البحث العلماجتماعي* ، علم الاجتماع الأنثروبولوجي أو كيف نعيد تفكير المنهج؟ دفتر رقم 1-2001 وقائع الأيام الدراسية المنظمة من طرف مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بمساهمة جامعة قسنطينة 1997 قسنطينة، ص 29.

1 – خطاب الفاعلين الرسميين، التخطيط لحي لبلدية أم لمدينة؟

منذ بدياتنا في العمل الميداني الذي قمنا به داخل النزلة والذي استمر طيلة إنجاز هذا البحث، وبالرغم من عملنا شبه اليومي مع الفاعلين بمختلف أنواعهم رسميين من مسؤلين محليين ومنتخبين وإدارات محلية واجتماعيين العائلات والمسنين وأعيان المجموعات الاجتماعية، كنا نتسائل دوما هو هل نحن بصدد العمل في حي أم جزء من مدينة أم بلدية مستقلة! ؟ تأكدت لنا مشروعية هذا التساؤل من خلال مقابلاتنا مع هؤلاء الفاعلين.

حسب الملاحظات المباشرة الأولى يتعلق الأمر بمجموعات اجتماعية ذات تقاليد مختلفة وعلاقات بالمجال مختلفة تتجاور في مجال عمراني هو في نفس الوقت حي من مدينة تقرت وبلدية مستقلة للمجموعات علاقات بالحي وبالمدينة أيضا، السؤال الذي يفرض نفسه هو أي تخطيط وأي منطق مجالي من أجل النزلة ؟ هل النزلة حي بلدية أم مدينة في نظر الفاعلين الرسميين؟ هذا التساؤل يعكس مشكلة حقيقية ليست من تصورنا بل هي من الواقع اليومي لتعامل السكان والمجموعات الاجتماعية مع المؤسسات الرسمية والممثلين المحليين.

التقسيم الإداري لسنة 1984 الذي سبق الحديث حوله في الفصول السابقة، هذا التقسيم الإستثنائي في وجوده والذي جعل من الصعوبة على الممثلين المحليين التعامل مع نتائجه على وضوح التسيير الإداري والعمراني للمدينة تقرت. والذي جعلنا نحس بأبعاد المشكلة المتعلقة أساسا بميدان دراستنا وحدوده الحقيقية. حملنا التساؤل إلى الإدارات المحلية والمنتخبين، من خلال محادثتهم، كيف يسير العمران في النزلة من خلا الأدوات الرسمية؟

1. خطاب الرسميين

ممثل عن بلدية النزلة في ملخص لمقبلاتنا معه يقول:

" ... لا نعرف الأسباب الحقيقية لهذا التقسيم - (يقصد التقسيم الاداري للبلديات) - لكن نتائجه سلبية على البلديات الفقيرة النزلة تبسبست والزاوية، بالرغم من عدد السكان الكبير في النزلة (40524) مقابل (32940) في بلدية تقرت لكننا لا نحصل إلا على مداخيل قليلة أقل من تقرت بكثير، حتى مداخيل المطار الذي هو في تراب بلديتنا تأخذه بلدية تقرت بحكم أن التقسيم الإداري لا يتناسب مع التقسيم الجبائي ... بالرغم من كون البلديات في مدينة واحدة لا تفصلنا سوى الشوارع، هذا ينعكس على التنمية في النزلة ويجعلنا نسير بلدية فقيرة داخل مدينة غنية في مواجهة مطالب السكان ومشاكل العمران المعقدة ... حتى الدولة تعتبر بلديتنا ريفية فقد استفدنا من سكنات ريفية مؤخرا مثل أي قرية نائية... "

ويضيف:

" ... بالرغم من كوننا منتخبين لتسيير بلدية إلا أننا نفكر ونتصرف في هذه البلدية على أساس أننا جزء من مدينة تقرت، ونعتبر النزلة كحي كبير من ضمن عمرانية المدينة، وكل البلديات الأخرى التي هي جزء من المدينة تعمل بنفس الشكل... وفي هذا نحن نتبع المخطط التوجيهي للعمران الذي من خلاله تتم مخططات شغل الأراضي... مسألة توزيع الأراضي نقوم بها بواسطة هيئة مشتركة بين البلديات هي الوكالة العقارية، لكن لدينا مشاكل بخصوص العديد من سكان البدو

المتمدنين في عين الصحراء خاصة والذين لا يعتبرون أنفسهم من ضمن البلدية ولا يتصرفون بشكل تمدني ونحن نعاني من وضعيتهم المزرية في هذا الحي الذي يفتقر للتجهيزات الضرورية...".

ممثل الوكالة العقارية والموجودة في بلدية تقرت والمكلفة بتسيير الاحتياطات العقارية للبلديات، في محادثة معه حول قضايا العقار يصرح:

" ... الوكالة تسير الاحتياطات العقارية في كل البلديات من خلال مجلس إداري مكون من رؤساء البلديات بمساعدة المصالح التقنية، حاليا يرئسه رئيس بلدية تقرت، تنحصر مهمتنا في الواقع في بيع الأراضي، إذ أن السكان لا يقبلون على السكن الجماعي ولا يحبذ ونه لأسباب تتعلق بالمناخ ونمط حياتهم وغلاء الأسعارالمعروضة للبيع، يميل الناس للبناء الذاتي الفردي، أو الحصول على السكن الجماعي ثم يطلبون أرض للبناء، ويستعمل هذا السكن الاجتماعي الذي هو سكن جماعي في أغلب الحالات لمدة قصيرة في حياة الأسرة ثم يتم بيعه بطريقة غير قانونية لبناء السكن الذاتي الفردي للأسرة، لهذا نتجنب السكن الجماعي الذي انتهى العمل به منذ مدة قصيرة في تقرت بالرغم من وجود العديد من المشاريع في طورالإنجاز ... مشاكل القوانين المالية والجبائية التي تكرس التفاوت بين البلديات المكونة لمدينة تقرت معظم المداخيل تحتفظ بها بلدية تقرت هذا ينعكس على مستوى الخدمات والتجهيزات التي تقدمها كل بلدية لمواطنيها مما يترجمعلى مستويات المجموعات الاجتماعية التي تكون كل بلدية وكل حي ... المخطط المدير للتعمير والعمران PDAU الموجود حاليا متجاوز نتيجة التقسيم الأخير إذ لم تعد المدينة موجهة نحو مركز معين...".

خطاب المثلين المحليين في هذه الحالة يتموقع بين مجالين مختلفين مجال المجموعات الاجتماعية ومنافساتها فيما بينها من أجل المجال وتحسين ظروف هذه الفئات الاجتماعية والمجال الثاني على مستوى المدينة الذي تبدو فيه المواجهة بين مجموعات ضغط تتعامل مع التقسيمات الإدارية والقوانين وأدوات التسيير الإداري بما يضمن مواقع لمجموعات اجتماعية تاريخية تستمد وضعها من النسق التقليدي القديم، في تقاسمها للمجال وللمنافع، بين تقسيماتها التقليدية التي تؤلف المرجعية الاجتماعية وتعاملها الذكي مع التحولات الجديدة وتطويعها لخدمة نسق اجتماعي طالما تنظم من خلال علاقاته الإجتماعية التقليدية. يتمركز خطاب الممثلين والمنتخبين حول هذه المعالم.

نظرة الرسميين والمنتخبين للسكن والمجال تنخرط في هذا المنطق التعبوي الذي تعرفه المجموعات الاجتماعية ولذلك تعزز الروابط الاجتماعية والعائلية في تقاطعها مع المستويات الاقتصادية ومناصب المسؤولية في عملية تملك المجال وتوزيع العقار السكني.

2. التوجيهات العمرانية من خلال مخططات التعمير

المخطط المعتمد في التنظيم العمراني في تقرت وفي النزلة أيضا هو المخطط الموجه للتعمير والعمران[1] PDAU مع مجموعة من مخططات شغل الأراضي POS المنجزة من طرف مكاتب الدراسات . حددت مناطق التوسع العمراني في النزلة والتوجهات العمرانية.

[1] **URBA**. Setif, *Rapport technique : prémétre d'urbanisation Directeur, Touggourt*, direction générale de l'URBA. Setif, mission d'études de l'URBA. à Ouargla, 1988.

في تحليل هذه الأدوات التي وضعت من أجل تحسين النسيج العمراني للمدينة من خلال فهم وضعها العمراني ومنطقه، فقد حدد مراحل الديناميكية العمرانية للمدينة وحدد أهم المراحل قبل 1962 وبعدها، تميزت الأولى بالتوسعات في العهد الكولونيالي والثانية بسياسة الإحتياطات العمرانية مع غياب تصور شامل وموحد للمدينة متصورا استراتيجية عمرانية تتلخص في ترميم وتجديد وإعادة هيكلة ودمج للنسيج الموجود وأيضا توجيه التعمير الجديد ضمن وجهة احترام خصوصية الأحياء ووضيفتها وربطها في اتجاه مركزي من خلال المحاور.

بالنسبة للنزلة فقد حددت ضمن منطقة سكنية بالدرجة الأولى منطقة موجهة للتعمير السكني الفردي والجماعي:

- الحي القديم المتمثل في القصر العتيق وتوسعاته في النزلة تم توجيهها في إطار عمليات التجديد والترميم وإعادة الهيكلة
- أحياء التوسعات الجديدة وجهت للبناء السكني والتجهيزات الإدارية والأساسية والتجارة فقط ومنعت كل البناءات ذات الطابع الصناعي.
- أحياء عين الصحراء وعاسو التي بنيت من أجل تهيئة محيط مستقر للسكان الرحل برمجت للتهيئة وإضافت التجهيزات من طرق وإنارة عمومية وصرف صحي وتزويد بالمياه والخدمات مع دمجها بالأحياء الأخرى من النزلة.

2- النشاط والمهن الجديدة لسكان النزلة، نشاطات تؤهل لتملك المجال

1. الحشاشنة، لم يعودوا فلاحين !

بتحول هيكل النشاطات والمهن في النزلة كما في باقي مدن الجنوب الشرقي، لم تعد الفلاحة هي الحرفة الرئيسية لسكان الواحات، في أحسن الأحوال أصبحت مجرد نشاط مكمل لميزانيات الأسر، تحول هيكل الأنشطة الإقتصادية كثيرا منذ عقود قليلة، بتأثير التحولات ومنذ إكتشاف النفط بمنطقة حاسي مسعود سنة 1956 توجه كثير من الفلاحين إلى العمل في شركات النفط، نزيف كبير من اليد العاملة والخبرة الفلاحية إستقطبتها هذه الشركات، غير هذا كثيرا في نمط حياة الحشاشنة في النزلة خاصة وفي تركيبة الأسرة ودور المرأة والعلاقات الإقتصادية والإجتماعية، نجد نسبة كبيرة من العمال الصناعيين في تحقيقنا الميداني بالإستجواب الذي قمنا به في النزلة كان عدد من أجابوا بصفة عامل 18.5% أي عدد 102 شخص من 550 . الفلاحة لم يبق لها نصيب سوى 3.6% يمتهنها بعض كبار السن من الذين لم يسمح لهم سنهم آنذاك بالتوجه إلى شركات النفط أو الشركات الوطنية. التحولات في إطار الإندماج في المجتمع الوطني العام أيضا كان لها دور في توجه الحشاشنة بالخصوص نحو المهن والوظائف في القطاع العام والخدمات، نسبة الموظفين والمعلمين والعاملين في قطاع الأشغال العامة والبناء وصلت في إستجوابنا مجتمعة إلى نسبة 21.5% . كما أن البطالة في السنوات الأخيرة أصبحت الطابع السائد في هذا المجتمع التي وصلت إلى 34.9% وهي تمس جميع المجموعات الاجتماعية ونجدها مرتفعة جدا عند مجوعا البدو المتمدنية بعد السبعينيات، علما بأن هذه الأرقام تؤكدها الإحصائيات الرسمية المعتمدة الإحصاء العام للسكن والسكان لسنة 1998 وأيضا الإحصاء السنوي لولاية ورقلة 2001 واحصاء المصالح البلدية لبلدية النزلة التي قارنا معها

هذه النتائج التي تحصلنا عليها من خلال إستجوابنا الميداني. إذا ما حاولنا توزيع السكان المشتغلين على الأحياء في النزلة (الجدول) نلاحظ مايلي نسبة المشتغلين من مجموع السكان في أحياء النزلة القديمة التي غالبيتها من الحشاشنة تمثل 15.10% أما في التوسعات الجديدة النصر والمستقبل والتي غالبيتها أيضا من الحشاشنة أو بعض المجموعات من قدماء المتمدنين 13.80% أما أحياء عين الصحراء من البدو من أولاد نايل نجد نسبة التشغيل لا تتعدى 8.33% و حي عاسو الذي يضم أساسا البدو المتمدنين من أولاد السايح ومنطقة الطيبات 9.65% . هذه الوضعيات، يمكن تفسيرها بالتطور المختلف للأحياء والمجموعات الإجتماعية يصبح فيها العمل والوظيفة نطاق آخر للتعبئة بين الأحياء والمجموعات الاجتماعية المتمايزة والمختلفة.

التحول المهني نستطيع رسمه من خلال تتبع بعض المسارات من خلال التحقيق النوعي التي تدلنا على التحولات العميقة التي طبعت المجموعات الاجتماعية. من مسار أسرة من الحشاشنة والتي تعطينا فكرة عن التحولات في مدة جيلين أو ثلاثة:

من العائلات التي كانت تملك نصيبا مهما من النخيل في النزلة
عادة وفي معظم إن لم نقل كل المحادثات التي مرت معنا نجد الجد كان فلاحا إما يملك بعض النخيل أو خماسا عند عائلات أخرى أو الإثنين معا، في مرحلة الستينيات الأب قد ترك الفلاحة وتوجه إلى حاسي مسعود أو شركة خاصة شركات النقل. عادة ما يحدث أن يبقى الإبن الأكبر للأسرة يمارس الفلاحة ويسمح للأبناء الباقين بالتنقل أو العمل في الشركات،في المراحل الأخرى والتي تبدأ منذ البعينيات والثمانينيات نجد الأبناء وقد تحصلوا على نصيب من التعليم، يتوزعون على الوظائف، نجد عدد كبير من أبناء الحشاشنة خريجي جامعات ومعاهد وفي الجيش ولم تعد النخيل التي توارثوها إلا مصدرا إضافيا مكملا يعهد به الآن إلى فلاحين قلائل بقوا في ممارسة الفلاحة، الفلاح اليوم أصبح يتحصل على الثلث من المحصول وليس الخمس كما كان في عهد الخماسة.

2. البدوالمتمدنين، مهن جديدة !

بالنسبة لمجموعات البدو يختلف المسار المهني والتوزيع على الأنشطة الإقتصادية. بالنسبةلمجموعات سعيد أولاد عمر والفتايت من البدو الذين استوطنوا المدينة مبكرا وكانت لهم علاقات قديمة مع النزلة وتقرت نجدهم قد تمكنوا من الإنخراط في شبكة الوظائف والمهن التي توفرها المدينة نجد منهم الموظفين والمعلمين والتجار، كان ذلك متوازيا مع توزيعهم في الأنسجة العمرانية للنزلة.

بالنسبة لمجموعة أولاد السايح و القادمين من منطقة الطيبات الذين نجدهم خاصة في حي عاسو بالخصوص في النزلة وأحياء أخرى من مدينة تقرت المهن والممارسات التي لاحظنا أنهم يفضلونها هي أكثرها المهن غير الرسمية من تجارة، يشتهر الكثيرمنهم بنشاط الطرابانذو عبر حدود تونس وليبيا هذه القبائل التي كانت تجوب الصحراء بين الوادي سوف والحدود التونسية والليبية اكتسب أبناؤها خبرة في مسالك الصحراء وقدرة على تحمل مشاق الصحراء استعملوها في التهريب الجديد عبر الحدود ، سوق " ليبيا في تقرت أكبر دلالة على هذه الشبكات المنظمة من أبناء هؤلاء البدو.

3. أولاد نايل، لم يجدوا مهنا في المدينة !

أولاد نايل آخر البدو الذين تمدنوا في تقرت والنزلة، أبناؤهم لم يكتسبوا بعد حرفا أو خبرات المدينة، إنخراطهم في حياة المدينة دون مؤهلات مهنية عمق من عزلتهم، طالما اشتغل أولاد نايل النازحين نحو تقرت بجني التمور والعمل الموسمي وعاشوا حياة الترحال متتبعين أغنامهم أو الغلال التي تنضج حولهم، حسب المحادثات التي أجريناها مع الكثير منهم يصرحون أن الشغل هو مشكلتهم الأساسية في المدينة، كان استقرار هؤلاء البدو مرتبطا ببعض الشركات التي وظفتهم كحراس لقواعدها المنتشرة في الصحراء أو حمالين وفي أحسن الأحوال تمكن بعضهم من العمل كسائقي شاحنات يجوبون الصحراء شركات النقل البري وظفت الكثير منهم كسائقين أو مرافقين للشاحنات، هذا الجيل الأول من المحظوظين بمناصب العمل هم الذين أغروا مجموعات كبيرة من أولاد نايل بالإستقرار، لم يعودوا يجدون شيئا من حياتهم الماضية في تتبع قطعان صغيرة من الماشية أغنام وماعز على هوامش الصحراء الجافة، خبرة الرعي ومعرفة الصحراء لم تعد تغني عنهم شيء في حياة المدينة.

في هذا الصدد قمنا بتتبع مجموعة من أولاد نايل في عين الصحراء وأين يمارسون نشاطهم، لاحظنا مجموعات صغيرة من الرجال يخرجون من بيوتهم مبكرين في ثياب بالية ينتظرون حافلة المدينة للتوجه إلى شركة توزيع الإسمنت في الطرف الآخر من مدينة تقرت بالقرب من محطة السكة الحديدية يقومون بملئ الشاحنات بأكياس الإسمنت ثم تفريغها من جديد في ورشات البناء، بعضهم يتوجه إلى سوق تقرت لممارسة بعض النشاطات التجارية الصغيرة أوالبسيطة، منهم الكثيرون الذين يمارسون النقل بواسطة العربات التي تجرها الحمير هي وسيلة النقل التي أدخلوها للمدينة ولاتزال إلى اليوم هي الوسيلة الفعالة في نقل البضائع في تقرت وهي حرفتهم الأساسية، الذين استطاعوا تكوين بعض الثروة منهم يملكون جرار أو شاحنة صغيرة لنقل مواد البناء. هي الممارسات التي يقوم بها هؤلاء في مدينة تقرت أساسا وليس في النزلة مقر إقامتهم. في ظل غياب التأهيل للقيام بأنشطة أخرى، وضياع حرفتهم الأساسية في تربية الأغنام التي أصبح بعضهم يمارسها في بيوتهم، او يعهد ببعض الأغنام لقريب له لا يزال في البادية، وأيضا التسرب الكبير الذي يشهده أبناؤهم من مقاعد الدراسة تبقى البطالة هي الطابع السائد تدل عليه مجموعا من الرجال يتحلقون طوال اليوم في شوارع حيهم عين الصحراء أمام بيوتهم مجموعات تترصف على طول الشوارع أعدادها قد يصل إلى عشرة من الرجال أوالشيوخ، في إنتظار المدينة.

جدول(15) **النشاطات والحرف التي يمارسها سكان النزلة**

المهنة والحرفة	فلاحة	بناء	تعليم	عامل	موظف	متقاعد	تاجر	بطال	أخرى	غير محدد	مجموع
عدد	20	26	53	102	61	34	10	192	47	05	550
نسبة %	3.6	4.7	9.6	18.5	11	6.1	1.8	34.9	8.5	0.9	100

المصدر: تحقيق شخصي 2002

2- الممارسات، السكن مجال للتعبئة الاجتماعية

الممارسات الاجتماعية في عالم السكن واحتلال المجال و تملكه من طرف المجموعات الاجتماعية هي عالم غني مليء بالدلالات، ابتداء من الممارسات الداخلية في السكن والممارسات الاجتماعية المتعلقة بالتعبئة من أجل تملك السكن والمجال، إلى الممارسات في الأحياء والمدينة، إن تشكيل المجال من طرف المجموعات الاجتماعية التي تثبت في مسعاها الميل نحو ممارسات ترسخ الهوية الاجتماعية وهوية الأسرة، بين نظرة الدولة المخططاتية من خلال أدواتها التنظيمية المركزية والمحلية من جهة وممارسات الفاعلين المحليين الاجتماعيين من جهة أخرى بين المنطق المؤسساتي والمنطق الاجتماعي نحاول تتبع الممارسات الاجتماعية في هذا الإطار لفهم تحولات المنطقة والاستراتيجيات الاجتماعية في منطقة دراستنا الميدانية.

إن تحليل الطرق التي تحصل الفئات الاجتماعية بها على سكن جديد ضمن التوسعات الجديدة، أو تحويل سكن قديم، والممارسات المتعلقة بهذا المسعى مع تأقلمها مع الحياة الجديدة التي فرضتها المدينة هذه الممارسات تدخل في إطار إستراتيجيات أسرية واجتماعية نقرأها من خلال وسائل تملك المجال وممارسته، وطرق احتلاله من خلال رهان عقاري وسكني، محاولين تتبع طريقة الأسر في الحصول على سكن وبنائه والحياة فيه وفي الحي من خلال قراءة إحصائية بواسطة نتائج الاستجواب الذي دعم تحليل المقابلات والمحادثات السكان .

ابتداء من مستوى مداخيل الأسر وميزانياتها في مواجهة استراتيجيات مجالية وكيفيات التعبئة المادية والمعنوية لتملك السكن بالنظر إلى أن تكليف بناء السكن من النوع الفردي الشائع في نطاق الدراسة وحسب ما استفدناه من السكان ومن مكاتب الدراسات حوالي مليون ونصف مليون دينار جزائري[1] هذا المبلغ المكلف بالنسبة لرب أسرة متوسطة المداخيل، لهذا تبدأ تعبئة عائلية واجتماعية من أجل الحصول على السكن.

1. الحصول على (المجال) الأرض للبناء

في عملية البناء وإنجاز المشروع وطريقتها والطابع الهندسي المطبق تبدأ المسألة بطلب الحصول على قطعة أرض، هذه المسألة التي تدوم عدة سنوات تطلب هي الأخرى استراتيجيات وتوظيف إمكانيات وعلاقات وضغوطا يلعب فيها التكافل الاجتماعي والمتعلق بالمجموعات الاجتماعية كوننا بصدد مجموعات متمايزة في النسق الاجتماعي والنشاط الاقتصادي ما استخلصناه من المحادثات أن المجموعات والعائلات ليست متساوية في إمكانيات الحصول على المجال بالرغم من تصريحات المسؤولين الرسميين القائمين على عملية التوزيع والعمران في البلدية يؤكدون على طريقة توزيع الأراضي بطرق فردية حسب مقاييس محددة هي الإحتياج ووضعية الأسر وعدد أفرادها ولم يسبق لها الاستفادة، بغض النظر عن انتمائها الجغرافي، في خطاب الممثلين للبلدية والهيئات القائمة على التوزيع.

"... نوزع الأراضي بالتساوي على جميع مواطني البلدية، حسب مقاييس قانونية، تطبقها لجان مختصة، لا يفرق بين التقسيمات الجغرافية للمواطنين، ويوجد الطعون أيضا في الآجال القانونية..."

[1] هذا الرقم حصلنا عليه كمتوسط من العديد من السكان وبتقدير من مكاتب الدراسات بمدينة تقرت في تحقيق شخصي في صيف 2002.

هذا الحديث المطبوع باللهجة الرسمية لممثل البلدية لا يعكس ملاحظاتنا في واقع الأحياء الجديدة المتميزة حسب جولاتنا الميدانية نلاحظ أن الفئة الغالبة من الأراضي والسكنات تخضع لتوزيعات على أساس تقسيم اجتماعي هذا واقع لمسناه من خلال الجولات والمحادثات منها محادثة مع أحد طالبي السكن.

"... منذ وجودنا في حي عين الصحراء عام 1983 لم نحصل على أراضي جديدة في النزل ... وضعنا عدة طلبات لكن دون استجابة ... نحن محقورين ومعزولين .. حتى في حي عين الصحراء الذي نسكنه الآن لا يوجد الطريق والمرافق الضروري ... البلدية تمنح الأراضيلبعض السكان المحظوظين فقط ..."

يتبين أن الحصول على المجال مسألة تخضع هي الأخرى لمجموعة من المنافسات الجتماعية، الحشاشنة بفعل التقسيم الإداري لسنة 1984 وتقسيم البلديات الذي منحهم نوع من الرقابة على مجالهم كمجموعة اجتماعية تعتبر نفسها هي الأصلية في هذا المجال كما حرمهم من الرقابة على مجال المدينة تقرت التي وقعت بفعل هذا التقسيم تحت تأثير مجموعا ت أخرى اكتسبت أدوات الإدارة المحلية .في هذا الجو تخضع الأراضي المخصصة للبناء لشبكة من الضغوطات والإستراتيجيات والممارسات التنافسية توظف فيها شبكات من المعارف والمستوى الاقتصادي للأسرة وتظيف الأموال بالنسبة للفئة التي تعوزها الوسائل الإدارية مثل السوافا وسعيد أولاد عمر، بالرغم من أن طلب الحصول على الأرض تتحكم فيه الوكالة العقارية التي تعمل على مستوى الدائرة تقرت، لكن الواقع الذي لاحظناه بالنسبة لتوزيع الأراضي يخضع لكثير من التوازنات والتنافس الاجتماعي.

متوسط ثمن قطعة أرض للبناء في النزلة بمساحة متوسطة حوالي 250م2 حسب موقعها تقدر ب 400 ألف دينار في المناطق القريبة من وسط المدينة وعلى الشارع الرئيسي في التوسعات الجديدة ومن 200 ألف دينار إلى 150 ألف دينار في المناطق الأبعد والداخلية في الحي .هذه الأسعار المتعامل بها في الواقع حسب تصريحات السكان .في الجدول التالي من خلال مكان مجيء الأسر أي السكن السابق وطريقة الحصول على السكن نتعرف على حركة المجموعات الاجتماعية نحو الأحياء الجديدة في النزلة

. جدول (20) **مكان قدوم الأسر للأحياء الجديدة في النزلة**

السكن السابق أو الأصل الجغرافي	عدد الأسر	النسبة%
من النزلة الأحياء القديمة	403	73.2%
من بلديات تقرت الأخرى	66	12%
من خارج تقرت	72	13%
غير محدد	09	1.6%
المجموع	550	100%

المصدر : تحقيق شخصي 2002

جدول(21) **طرق الحصول على السكن في أحياء النزلة الجديدة**

طريقة الحصول على السكن	عدد الأسر	نسبة%
استفادة وبناء	265	48.1%
شراء أرض وبناء	148	26.9%
شراء مبني	124	22.5%
غير محدد	13	2.3 %
مجموع	550	100%

المصدر : تحقيق شخصي 2002

2. مصادرالتمويل

حسب الملاحظات فإن بناء المنازل هي الأخرى تحتاج إلى تمويل كبير بالنسبة إلى المداخيل المتوسطة لمعظم الأسر، يتعلق الأمر بتمويل شراء الأرض إذا كانت من البيع بين السكان أنفسهم، ثم الحصول على مواد البناء التي تتطلب هي الأخرى مجهودا من العلاقات أثمان مواد البناء في السوق الحرة تقدر ب3 أضعاف الثمن الرسمي المعلن عنه في مخطط الإنجاز، زيادة على أثمان النقل واليد العاملة التي تحاول الأسر تخفيفها قدر الإمكان، الناتج هو أن يستمر مشروع البناء مفتوحا إلى عدة سنوات حسب مراحل يخلق هذا نوع من الأحياء تطبع كل مدن الجنوب أحياء مشاريع لا تنتهي، الحل الثاني يكمن في توظيف مصادر متنوعة لاستكمال المشروع الادخار العائلي أو الشخصي لرب الأسرة ثم يوظف جزء كبير من الدخل الشهري لرب الأسرة مما يؤثر بصورة كبيرة على ميزانية استهلاك الأسرة لعدة سنوات متواصلة، يتم في الغالب تعاون أفراد الأسرة جميعهم خاصة الموظفين منهم، وبيع ممتلكات الأسرة كالسكن القديم أو الجزء الموروث منه، أو بيع السكن الجماعي الذي كان سكنا مؤقتا يستعمل في عملية التمويل، كما تساهم المرأة بصورة واضحة في هذا التمويل ببيع مصوغاتها التي احتفظت بها لمثل هذه الشدائد لتعزز دورها في الحياة الأسرية في هذه العملية اللجوء إلى القروض يمثل نسبة ضعيفة جدا حسب السكان عملية الاقتراض من الصناديق والمؤسسات عملية معقدة الإجراءات البيروقراطية وأيضا لا يطمئنون إليها من وجهة نظر الدين خاصة وأنهم مقبلون على مشروع حياتهم ومقدس يتعلق " بعتبة الدار".

جدول(22) **مصادر تمويل السكن والبناء في النزلة**

مصادر تمويل السكن	عدد الأسر	نسبة %
ادخار	219	39.8%
تعاون الأسرة	292	53.9%
قرض من مؤسسة	21	3.8%
غير محدد	18	3.2%
مجموع	550	100%

المصدر تحقيق شخصي 2002

مشاركة العائلة في البناء يصبح أيضا مصدرا مهما لتخفيض النفقات ولإبراز مساهمة الأسرة الجماعية في البناء والإنجاز تدعم الممارسات الرسمية وغير الرسمية في الوصول إلـــى تجســيد مشروع الأسرة

جدول (23) **طرق إنجازالسكن التي يلجأ إليها في النزلة.**

طريقة البناء	عدد	نسبة
من إنجاز مقاولات	81	14.7%
من إنجاز حرفيي بناء دون عمل الأسرة	237	43%
بنائين مع مشاركة الأسرة في العمل	219	39.8%
تعاون بطرق تقليدية(تويزة ، عوانة)	07	1.2%
غير محدد	06	1%
مجموع	550	100%

المصدر :تحقيق شخصي 2002

يمكن ومن خلال الجدول إظهار درجة مشاركة الأسرة في إنجاز السكن بنسبة 39.8 %هذه النسبة المعتبرة والتي هي في تنامي بالنظر إلى محدودية المصادر التمويلية الأخرى هذا العمل الذي يعطـــي بالضرورة الصفة الأسرية للسكن نستنتج منها أن السكن هو قضية الأسرة بأكملها وحتى للمرأة دور في ذلك حسب المحادثات، هذه الطرق على حساب إضعاف الطرق التقليدية التي كانت تتم فـــي القصـــور القديمة في التعاون الجماعي بين أفراد المجموعة أو الحي المسماة في المنطقة التويزة أو العوانة بالنسبة لقبائل بدو الطيبات هذه الطرق التقليدية حسب تقصياتنا لم تعد تمارس إلا بنسب قليلة نتيجـــة التفكـــك الاجتماعي التقليدي لحساب التعاضد الأسري الأضيق .أسلوب المقاولات هو الآخر في النمو هذه النسبة 14.7 %قد تخص بعض الفئات من ذوي الدخول المرتفعة خاصة من إطارت الشركات البترولية .

إن النتيجة الأساسية لهذا المركب من الصعوبات لتعبئة المصادر التمويلية ومدة العمل الطويلة من أجل إنجاز السكن الفردي من النوع الشائع في كل ربوع الوطن الآن المؤلف من الطـــابق الأرضـــي وطوابق أخرى حسب القدرة وحسب توسع الأسرة لكن السمة البارزة وذات الدلالة هي ترك الأســـلاك الحديدية تنبئ بتوسع عمودي آخر في الحسبان..

جدول(24) **حالة إنجاز السكنات في أحياء النزلة**

نوع البناية	عدد	نسبة	منزل كامـــل الإنجاز	لا يزال في طور الإنجاز
أرضي	320	58.1 %	54	266
أرضي + طابق	163	29.6 %	26	137
أرضي + طابقين	45	8.1%	15	30
فيلا	19	3.4%	07	12
غير محدد	3	0.5%	/	/
مجموع	550	100%	102	445

المصدر : تحقيق شخصي 2002

الملاحظ أنها بنايات في حالة من استحالة إنهاء الأشغال، كثير من السكان يسكنونها بغير اكتمال العائلة تحتل السكن الأرضي المنجز في عناصره الداخلية الأساسية أما الواجهة فتبقى في الانتظار مع الطوابق الأخرى في إنتظار التمويل، مشاريع أخرى لم تشهد البداية أبدا مما يعطل كثيرا أشغال البلدية في إنجاز الطرق والشبكات .

3. أي هندسة جديدة للتوسعات الجديدة؟

من الشكل الهندسي التقليدي في القصور إلى السكن الفردي الجديد هناك اختلافات وتنوعات تعبر عن رغبات جديدة ومتنوعة، في السكن الجديد أغلب السكنات لم تحترم المخطط الهندسي الذي يسلم مع ملف الاستفادة من قطعة الأرض يمكن إيجاد مخططات جديدة بعيدة عن الهندسة التقليدية في المنطقة .عناصر هندسية فرضتها عوامل طبيعية وأخرى أضيفت تأثرا بإنفتاح هذا المجتمع على ما يجري على الصعيد الوطني، يمكن تصنيف السكنات في الأحياء الجديدة إلى ثلاثة أصناف حسب درجة إنجازهـــا ونـــوع الهندسة المستعملة.

- صنف بسيط مصغر : له علاقة بصعوبات التمويل والانجاز نظرا لبساطة مداخيل أصحابها، يكتفي بطابق أرضي واحد الواجهات غير معالجة، غياب الصقل والداخل غير مكتمل الإنجاز ينتظر فرص التمويل، هذا السكن هو الغالب في الأحياء الجديدة في النزلة.

- صنف متوسط : يحتوي على طابق واحد أو أكثر تبرز خصوصياته في التوزيع الداخلي، وفي تهيئة المرآب القاراج " يمكن لهذا القاراج أن يحتل مساحة معتبرة من مساحة الأرضية، تبقىهذه المنازل مفتوحة على توسع عمودي مرتقب مع توسع العائلة والزيجات الجديدة.
- صنف مميز : تظهر فيه المعالجة المتقدمة للواجهات خاص بالأثرياء الجدد لا نجده في النزلة يأخذ جهة أو حي خاص لكنه بين السكنات الأخرى يبدوا مميزا ويدل على أهمية الأسرةالتي تقطنه ونجاحها المادي.

.

في إنجاز المخططات تتعدد الرغبات وتتنوع الأشكال الجديدة المستوحاة من عدة مشارب ثقافية، لكن الطابع التقليدي الذي طمست معظم ملامحه الظاهرة قد أحتفظ منه بعدة عناصر بتأثير الثوابت الثقافية الاجتماعية وأيضا العوامل المناخية خاصة الحرارة في فصل الصيف التي يحسب حسابها في معظم الأشكال الهندسية الجديدة، الحوش الداخلي يبقى هو العنصر الأساسي الموجود والمحافظ عليه وأيضا فصله عن الفضاء الخارجي .عناصر جديدة نجدها قد أدخلت وأصبحت من الطابع الهندسي المتداول في هذه الأحياء الصالون أو غرفة المعيشة التي عوضت" بيت الضياف"التقليدية، كما قد يضاف صالون خاص بالنساء، هذه العناصر تأخذ الكثير من التهيئة والاعتناء والتأثيث كونها تعكس مستوى العائلة.

في مقابلة مع مكتب دراسات هندسية في المدينة تكلم حول تقييمه لهندسة المنازل والعناصر التي يطلبها السكان بمختلف مجموعاتهم الاجتماعية:

"... يمكن أن أقيم على العموم الطلبات التي يعبر عنها السكان في منطقة النزلة التي تعاملت معها كثيرا، أن معظمهم يطلبون المخططات فقط من أجل الحصول على مواد البناء من الدولة، لا علاقة للمخططات التي ننجزها بما يطبق في الواقع، من الذين يرغبون في تطبيق المخططات يشاركوننا في مناقشة مخططهم ويشترطون بعض العناصر، كما أن المرأة أصبحت تفرض رأيها في نوع المخطط إما أن تصاحب زوجها عندنا، أو تتم المشورة في المنزل ثم يعود صاحب المنزل إلى المكتب مزودا بملاحظاتها، نلاحظ تأثير نمط الهندسة المعمارية التي يشاهدها النساء في المسلسلات المصرية، يشترطون صالون ومدرج يؤدي إلى الطابق الأعلى من الصالون، أثناء الإنجاز تظهر التعديلات والتغييرات بحث لا يشبه الإنجاز مخطط البناية إلا قليلا، تضيف العائلات حمام خاص بالضيوف ومدخل مستقل للضيوف، ومطبخ واسع مع جناح للأكل، يطلب تخطيط الشرفة " البالكون "لكنه لا يستعمل إلا كتوسيع لمساحة الطابق الأعلى، بصمات الأسرة ورغباتها لابد أن تنفذ في المخطط القابل للتعديل والتغيير أمام كل فكرة جديدة، الشيء المركز عليه كثيرا هو القاراج خاصة إذا كان السكن في موقع قابل للتجارة، كل المخططات التي ننجزها قابلة للتوسع الأفقي وهي مسألة هامة بالنسبة لكل الأسر يحتاطون لتوسيع منازلهم مع زواج أبنائهم، التفكير الاجتماعي يفرض نفسه بالرغم من القوانين، العائلات تمزج بين النمط التقليدي والنمط الحديث وتستفيد من مزايا كل نمط، كما يراعى المناخ كلهم يطلبون تهيئة السطح للجوء إليه في الليلي الصيفية الحارة ... الرجال الميسورين يطلبون تهيئة جناح خاص لكل إبن متزوج مع جناحه الخاص به "...

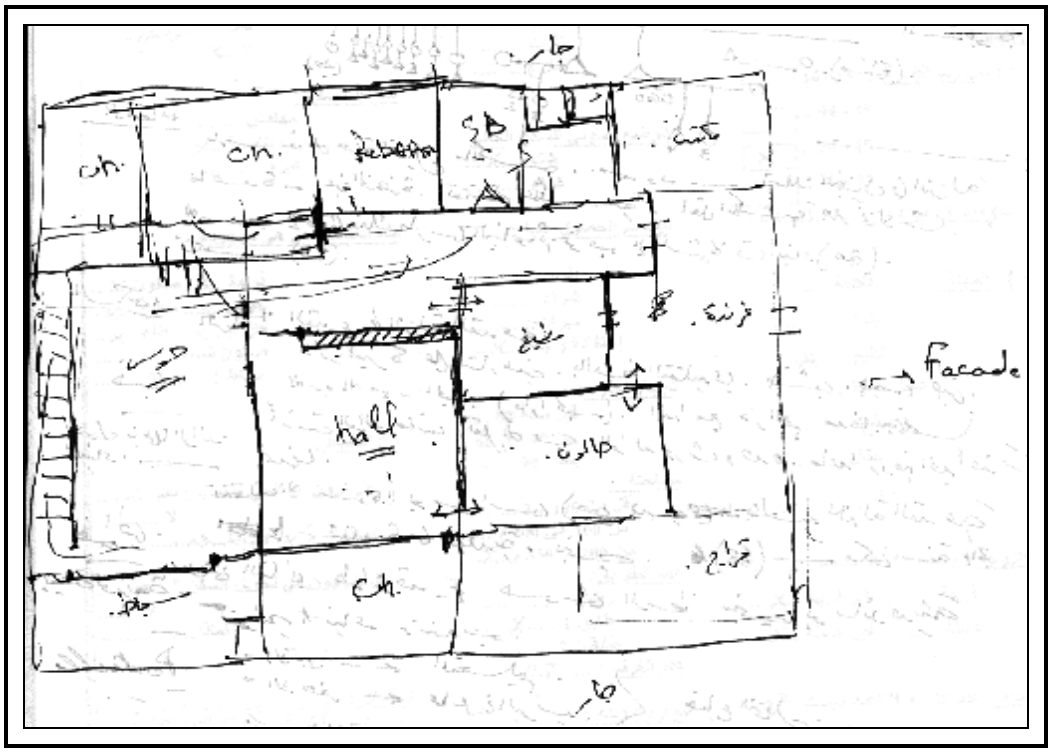

المصدر: تحقيق شخصي للطالب 2002

هندسة منزل حسب ما رسمه صاحبه وقام بإنجازه

4. الأسر وتملك المجال السكني

ملكية السكن الفردي لما لها من قيمة رمزية كبيرة ، إذ نجد السكن الفردي في قمة الهرم السكني في حظيرة السكن بالنسبة لانزلة، حتى وإن وجدت بعض الأنواع الأخرى بدرجة قليلة كالسكن الجماعي بخلاف بلدية تقرت التي استحوذت على معظم المشاريع السكنية الجماعية، هذا النوع في الواقع السكني الصحراوي يصبح كمرحلة انتقالية للأسرة، عدد هام من الأسر وقبل أن تصل إلى الحصول على قطعة أرض وتمويل بناء السكن الفردي تكون قد مرت بالسكن في العمارة ، هذا السكن الذي يستعمل في الغالب لتمويل عملية بناء السكن الذي تملكه الأسرة.

جدول(19)الوضع القانوني للسكن في النزلة

شكل السكن	ملك	كراء	غير محدد	مجموع
عدد	517	26	7	550
نسبة	%94	%4.7	%1.2	%100

المصدر تحقيق شخصي 2001

3- الاستراتيجيات، السكن رهان عقاري وهوياتي!

1. مسارات الإقامة والعلاقات مع المجال

مسارات إقامة وتنقلات الأسر والعائلات في مختلف أحياء مجال دراستنا النزلة تعطينا فكرة واضحة عن علاقات هذه الأسر بالمجال واستراتيجيات المجموعات الاجتماعية في إحتلالها لهذا المجال سواء كان الحي أو المجال السكني، في تتبع هذه المسألة بدأنا أولا من دراسة نتائج الاستجواب الميداني حيث طرحنا السؤال حول مكان ميلاد أرباب الأسر، والسكن السابق للأسرة وأيظا معطيات إحصائية أخرى تتعلق بالخروج والدخول من وإلى بلدية النزلة في تقاطع هذه المعطيات مدعمة بالتحقيق النوعي عن طريق المقابلة والمحادثة لمعرفة التركيبة الاجتماعية لسكان الأحياء الجديدة في النزلة ومن خلالها رسم المسارات الإقاماتية للأسر والمجموعات الإجتماعية. نتائج الاجابات في الجدول الموالي عن سؤال حول مكان ميلاد أرباب الأسرأعطى الإجابات التالية:

جدول(16) **مكان ميلاد أرباب الأسر في بلدية النزلة**

مكان الميلاد	النزلة	تقرت	تبسبست الزاوية	حجيرة الطيبات	مدن مجاورة	ولايات أخرى	غير محدد	مجموع
عدد	207	33	21	124	42	87	36	550
نسبة	%37.6	%6	%3.8	%22.5	%7.6	%15.8	%6.5	%100

المصدر استجواب شخصي 2001

أظهرت نتائج مكان الميلاد أن 37.6% من المستجوبين هم ولدوا في النزلة أصلا[1]، جلهم من الحشاشنة ونسبة الذين ولدوا في الحجيرة أو الطيبات وهي مناطق مجموعات سعيد أولاد عمر أو أولاد السايح 22.5% ، وهي تمثل الجيل من هؤلاء البدو المتمدنين قديما في النزلة يسكنون ضمن الأحياء الرئيسية في النزلة وفي التوسعات الجديدة، ونسبة الذين ولدوا في ولايات أخرى 15.8% تشير أساسا إلى أولاد نايل أو بعض القادمين من ولاية بسكرة أو الوادي، إشارة إلى أن الذين سجل مولدهم في النزلة أو تقرت من أولاد نايل قليل جدا ،
و الذين نجدهم قلة في الأحياء الجديدة، يتركزون بالخصوص في حي عين ىالصحراء. القادمين من البلديات المجاورة التي هي من جسم مدينة تقرت 6% من تقرت و3.8% من بلديات تبسبست أو الزاوية، نلاحظ من خلالها تمركز الحشاشنة في البلديات الخاصة بهم من هذه التركيبة التي مست الأحياء الجديدة في النزلة بالخصوص نستنتج من قراءتها مع كل التحفظات الممكنة، التوزيع المجالي للمجموعات والعائلات في أحياء النزلة الجديدة خاصة.

قليل من الذين ولدوا في تقرت يذهبون للسكن في النزلة، إلا إذا تعلق الأمر بأسر تعود، بعد أن ولدوا في النزلة وتنقلوا إلى تقرت في السبعينيات مثلا إلى أحياء في تقرت يعودون للنزلة بعد التقسيم الإداري الجديد، نتيجة توفر أراضي للتوزيع، من البلديات الأخرى تبسبست والزاوية لم نلحظ حركة تنقل في الإقامة بين البلديات بالنسبة لأرباب الأسر، البدو المتمدنين قد تمركزوا في تمدنهم في المناطق المقابلة للطرق والمسالك المؤدية إلى مناطق قدومهم واستقروا بها تحقيقا لوجودهم قرب المدينة تقرت وفي نفس الوقت ضمان الربط بينهم وبين مناطقهم الأصلية، ما عدا أولاد نايل نايل الذين كان تثبيتهم بحي عين الصحراء ليس من اختيارهم.

في جدول خاص بسؤال حول الإقامة السابقة ضمن الاستجواب الميداني نسبة الذين تنقلوا داخل النزلة 73.2% وهذه النسبة العالية تشير بوضوح إلى حركة السكان بين الأحياء، الحشاشنة يتوسعون في المجال بالخروج من النواة القديمة إلى الأحياء الجديدة، المجموعات الأخرى تميزت بالثبات في أحياء عين الصحراء وعاسو منذ إنشائهما في 1983 ، 12% جاؤا من تقرت وبلدياتها الأخرى، من خارج مدينة تقرت 14% بمقارنة القادمين من تقرت من عائلات أقل من القادمين من خارج المدينة كون المساكن في بعض أحياء النزلة قليلة السعر وأحياء البدو المتمدنين التي ما زالت تستقبل عائلات من مناطق مجيء هؤلاء يجعل النزلة محطة للإستقرار في انتظار التنقل نحو وسط المدينة تقرت أو أحياء أفضل.

جدول (17) **مكان قدوم الأسر إلى النزلة**

الإقامة السابقة	النزلة	تقرت	خارج تقرت	غير محدد	مجموع
عدد	403	66	72	10	550
نسبة	%73.2	%12	%14	%1.8	%100

المصدر: استجواب شخصي في أحياء بلدية النزلة جوان 2001

[1] النزلة قبل 1984 لم تكن بلدية بل حي، سجلات الميلاد التي تخص سكان النزلة قبل هذه السنة سجلت في تقرت ثم نقلت إلى البلدية بعد انشائها

في جدول مستمد من نتائج الإحصاء العام للسكن والسكان سنة 1998 يتعلق بالهجرة لبلديات مدينة تقرت نلاحظ أن الهجرة نحو البلديات النزلة تبسبست والزاوية هي بلديات تستقبل أعداد من السكان والعائلات بين 1987 و1989 أما بلدية تقرت فالعكس، فهي حسب الاحصاء قد فقدت من سكانها في اتجاهات أخرى هذا الوضع يمكن أن يفسر بكون حركة الأسر من مناطق قدوم البدو المتمدنين، الحجيرة ، الطيبات، الوادي سوف، مسعد وغيرها ما تزال موجودة سواء كحركة عائلات أو كنساء للزواج.

جدول(18) **حركة السكان في بلديات مدينة تقرت بين 1987-1998**

البلديات	لم يغيروا بلدية إقامتهم بين87 ــ 98	سكان دخلوا من بلديات أخرى بين 87 - 98	سكان غادروا نحو بلديات أخرى بين87 - 98	التيجة +أو -
تقرت	20126	1473	4212	- 2739
النزلة	22313	3218	1302	+ 1916
تبسبست	17113	2165	1190	+ 995
الزاوية	8457	977	227	+ 750

ONS 1998 N° 331

في بحثنا النوعي والذي ركزنا فيه على تتبع عينات من هذه المجموعات على ضوء النتائج الإحصائية، في شكل نحاو ل فيه معلمة بعض المسارات الإقاماتية في تواريخ مختارة على أساس التطور العمراني للنزلة وتقرت نربطه مع حوادث معروفة للسكان ونحاول معرفة أين كانوا يسكنون خلالها، ومعرفة أسباب تنقلهم،

إن مسألة تملك المجال والسكن من خلال الممارسات الملاحظة هي مسألة رهان عقاري وهوياتي تسعى إليه الأسر والمجموعات الاجتماعية بتطبيق استراتيجيات اجتماعية وتعبئة معقدة في مواجهة المنطق الرسمي المؤسساتي للدولة وأيضا المنطق الذي فرضته طريقة الحياة المدنية الحديثة ، السكن بطبيعته الثقافية يأخذ وبدرجة كبيرة المعايير الثقافية للمجتمع في التحول.

يمكن تتبع الإستراتيجيات الاجتماعية من خلال نوعين من التضامن الاجتماعي إتضحت لنا من خلال تحليل المقابلات التي أجريناها مع السكان ومع الممثلين المحليين، يتمثل هذان النوعان في التضامن العائلي والاجتماعي القائم على أساس الروابط القرابية نجده واضحا خاصة في المجموعات حديثة التمدن عند أولاد نايل أو أولاد السايح أوسعيد أولاد عمر ، النوع الثاني والذي يتقاطع مع الأول يتمثل في التضامن العمودي القائم على أساس المستوى الاقتصادي المرتبط بالمهن والوظائف. و مناصب المسؤولية في الإدارة المحلية وأدوات التسيير المحلي هذان النوعان من التضامن يمكن أن يتقاطعا في في شكل متعامد يمكن أن تحلل من خلاله مجموعة الإستراتيجيات المطبقة من أجل السكن.ومن أجل احتلال المجال. الشكل التالي والذي تصورناه كشبكة من التقاطعات الأفقية العائلية والاجتماعية والعمودية الاقتصادية والمهنية يسهل عملية تفسير هذه الاستراتيجيات.

2. تصور مخطط للإستراتيجيات

الشكل (14) رسم تخطيطي يوضح شبكة التضامنات الأفقية والعمودية عند المجموعات الاجتماعية في النزلة.

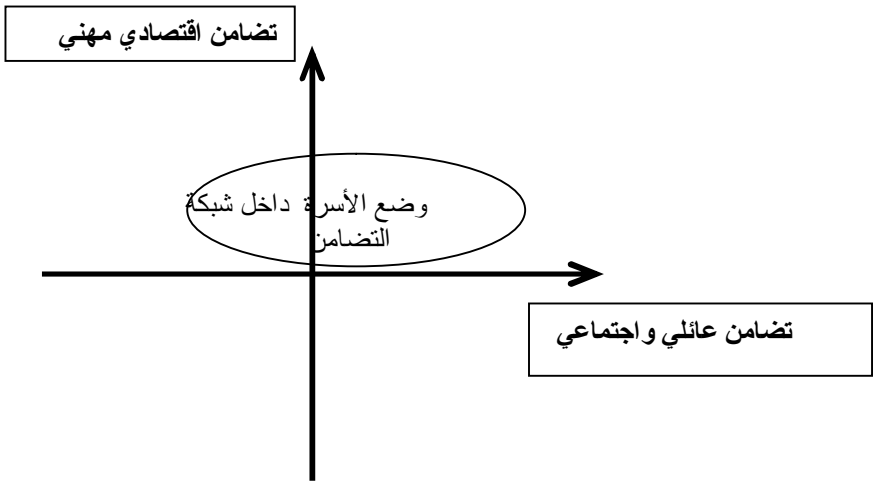

المصدر: تصور وإنجاز الطالب

من الشكل التخطيطي الذي تصورنا من خلاله الإستراتيجيات المطبقة من طرف الأسر وحتى المجموعات الاجتماعية في مجال دراستنا الميدانية في النزلة يمكن فهم الإستراتيجيات أولا في إطار أفقي متعلق بالأسرة والمجموعة الاجتماعية من خلال الروابط القرابية والهوياتية تتم فيه التضامنات بدرجة كبيرة وواضحة ضمن الأسرة الواحدة المركبة والتي تبقى في شكل من التضامن المادي والمعنوي سواء كانت الأسرة تحتل مسكنا واحدا أو مساكن متفرقة يبقى التظامن بين أفراد الأسرة الواحدة فعالا، يتعداه التظامن الأفقي إلى مجال المجموعة الاجتماعية يتخذ شكل حلقات دائرية تضعف كلما إبتعدت عن المركز يظهر هذا التظامن الأفقي في أوجه لدى المجموعات المتمدنة لتظهر فيه المجموعة في شكل جسم متكامل.أما التظامن العمود يوالذي يتقاطع مع الأول في مستويات مختلفة يعتمد على وضع الأفراد الإقتصادي ووظائفهم ودرجة المسؤلية التي يحتلونها، بهذا يوضع نوع من النسق الفعال الذي يسمح لكل مجموعة بتوظيف أرصدتها من الروابط الاجتماعية وأرصدة أفرادها الاقتصادية، من خلال هذا التقاطع يمكن تفسير وتحديد مستوى الأسر والمجموعات الاجتماعية ودرجة فعاليتها في احتلال المجال.

كنا بصدد القيام بمقابلة مع أسرة من النزلة من جملة المقابلات الخاصة بالبحث اخترناها على أساس أنها أسرة معروفة في النزلة بنشاط رب الأسرة السياسي وتمثيله في المجالس المحلية فقد رحب بنا في منزله ليعرض لنا منزله وشكل تخطيطه ويحدثنا حول ظروف النزلة. دخلنا برفقته إلى منزله الكبير في حي المستقبل الجديد منزل ذو طابقين لاحظنا المدخل الخاص بالضيوف يؤدي إلى صالون واسع أثاث رفيع، عدد الأرائك والكراسي الموجودة توحي بأن هذا المكان يستقبل العديد من الناس، وقد وجدنا قبلنا مجموعة من الرجال كانوا في انتظاره لجملة من المسائل تتعلق بالانتخابات التي كانت على الأبواب علما بأنه أي صاحبنا كان يتهيأ للترشح لمنصب. اختلط شعورنا بين وجودنا في منزل عائلي أو في مقر حزب من الأحزاب، وقد سمح لنا بالحضور إلى الحديث الذي كان يدور حول التحضيرات، في الوقت الذي كان فيه الأبناء الكبار بتوزيع الشاي والحلوى على الحضور الذين يألفونهم جيدا. كل الحضور كانوا من الحشاشنة لاحظنا وجود شخص واحد من السوافة وكان مدير مدرسة حسب ما عرفنا . معظم الحضور تربطهم قرابات من درجات مختلفة، الإبن الأكبر والذي جلس قربي كونه طالب جامعي يدرس الحقوق بين لي درجة القرابات بين الحضور الذي بلغ عددهم حوالي 12 فردا ثم سألته عن وظائف هؤلاء الأشخاص تبين أن أحدهم رئيس بلدية سابق وآخر مسؤول في البريد عدد من المعلمين وبعض المسنين من الأعيان.ومدير دار شباب . دار الحديث حول التجنيد في الحملة الانتخابية وما يستطيع كل عضو أن يقوم به، من العبارات التي لفتت انتباهنا هي استعمال كلمة " ... *هذا لينا... وهذا خاطينا*... " كررت كثيرا ومن تتبعنا لطريقة استعمالها ومن هم المقصودين بهذا التصنيف تبين أن هذه التصنيفات تبنى على أساس معقد بين الوظائف
و المسؤوليات وأيضا القرابات الأسرية والاجتماعية في مركب واحد جاهز للتعبئة من أجل هدف واحد وهو ضمان توزيع من المنافع والمكانات المتناسب مع هذه التركيبة وبينت كيفية تنسيق الروابط الاجتماعية لخدمة المجموعة الاجتماعية ومصالحها وبالضرورة مصالح الأفراد والعائلات التي تتشكل منها. تجدر الإشارة أنه طيلة الحديث لم يشر إلى الحزب أو برنامجه. يصبح الحزب في هذه الحالة مجرد وعاء تنظيمي يحتوي هذه الاستراتيجيات الاجتماعية.

بالنسبة لأحياء أخرى من النزلة رأينا أن نتعرف على موضوع الإستراتيجيات من خلال جولتنا في السوق المسائي الذي تعود أولاد نايل على إقامته في حيهم أثار إنتبا هنا هذا السوق وتوجهنا إليه عدة مرات، هو سوق صغير جدا في ساحة خارج السكنات يعقد كل مساء عادة بعد صلاة العصر – الصلاة لا تزال هي التوقيت الذي يظبط به السكان نشاطاتهم اليومية- ملاحظتنا الأولى هي التجمع الذي تم بين سكان الحي وآخرين قدموا من تقرت أي بعض من أولاد نايل الذين يسكنون داخل مدينة تقرت وأخرين قدموا من البادية تدل عليهم طريقة لباسهم وبعض

الشاحنات العسكرية القديمة من نوع (ماجيريس الألمانية الصنع) المرقعة التي تضمن النقل من وإلى مناطق الهضاب مكان بدو أولاد نايل، السوق لا يحتوى على تبادل وسلع بل مجرد بعض الخضر أو اللحم المذبوح في المنازل ورخيص الثمن، وحتى إهتمام الرجال وهم الوحيدون في السوق مع بعض الأطفال يدور حول التجمع والحديث وتلقي الأخبار. التفسير الوحيد الذي يفرض نفسه أن هذا المكان ليس سوقا بالمفهوم الإقتصادي بقدر ما هو مكان تجمع إجتماعي (lieu de socialisations) لهذه المجموعة الإجتماعية تبدو الروابط متينة بين سكان عين الصحراء وأبناء عمومتهم من سكان " البلاد " حسب تعبيرهم و سكان " الصحرة " . هي نقاط من السكن توحي بمراحل من التمدن المرن أو دخول المدينة على مراحل والإندماج داخلها لكن دون التخلي عن الخطوط الخلفية التي لا تزال تربطهم بأوطانهم وأراضيهم ، تدور الأحاديث التي استمعنا إليها عن أخبار المطر في البادية

والمواشي وأسعارها – تبين أن كثير من سكان عين الصحراء يملكون مواشي يتكفل بهـا أقربـائهم الذين بقوا في حياة البادية والعكس كثير من أثرياء المواشي البدو يشترون قطـع أرض أو منـازل يسمحون للفقراء من أقربائهم في حي عين الصحراء بالسكن فيها مؤقتا. الأقرباء من سـكان تقـرت يأتي بعضهم كل مساء ليس للشراء بل لتوطيد العلاقات القرابية الضيقة والواسعة . أكبر إهانة يمكن أن توجه إلى رب أسرة يسكن المدينة هي أنه نسي أبناء عمومته وأصبح يتكبر عـنهم أو بـدأ فـي الحديث بلهجة سكان المدينة الحشاشنة . الموضوع الذي يستهوي الأحاديث هو إنجاز الطريق الجديدة التي تربط بين تقرت ومسعد، يعلق عليها أولاد نايل آمالا كبيرة في أنها سـتعزز الـروابط وتمـنح للعاطلين والفقراء والذين لا يملكون مهنة تؤهلهم للاندماج في المدينة في أن تفتح لهؤلاء الذين طالما انتظروا المدينة أن تحسن أحوالهم الاقتصادية لكنها عزلتهم في نظـرهم أن هـذه الطريـق سـوف يستعيدون بها مكانتهم وتمكنهم من زراعة أراضيهم التي خلفوها ورائهم أو غير ذلك من الأعمال.

من خلال المثالين الذين أدرجناهما بخصوص الحشاشنة في النزلة وكيف يحضرون للإنتخابـات وأولاد نايل في حي عين الصحراء والروابط القبلية النشيطة والتي لاحظنـا فعاليتهـا فـي السـوق المسائي الذي فسرناه على أنه مكان إجتماعي بالدرجة الأولى، نفهم الكثير من الإستراتيجيات التـي تطبقها هاتين المجموعتين الاجتماعيتين البارزتين في النزلة الأولى في مواجهة تحـولات تشـهدها المدينة في محاولة ترسيخ مكانتها ومكانة أفرادها، والثانية في تعزيز الروابط القرابية للمحافظة على كيان قبلي تهدد المدينة بتفكيكه، ومحاولة ربط هذه المجموعـة بخطوطهـا الجغرافيـة والهوياتيـة للتعويض عن فشل تجربة تمدن مروا بها منذ الإستقلال في بقائهم منعزلين عن المدينة خاصـة فـي مجال الوظائف والأنشطة التي لم تهيء لهم المدينة أسبابها، وعزلهم المجالي في حي وضع أصـلا كمنطقة على هامش المدينة وبقي دون توسع حتى حوصر بالتوسعات الجديدة.

في نظرهم وحسب تصريحاتهم قد إنتهى ذلك العهد الذي كان فيه أهل المدينة يستقبلونهم فيه كـل خريف بالترحاب عندما كانوا يخيمون على أطراف الواحة ليشتغلوا في جني التمور، اليوم المدينـة ترفضهم لأنهم يقتسمون المجال معهم ولم يستطيعوا الذوبان ضمنهم كثير من العوائـق الاجتماعيـة والنفسية وحتى لون البشرة يصعب ذلك، ولذلك فهذه المجموعات الاجتماعية في النزلة تتواجه أكثـر من كونها تتجاور، هذه المواجهة غذتها دون قصد ربما طريقة تخطيط وتسيير المدينة المؤلفة أصلا من مركبات إجتماعية مختلفة تحافظ على هوياتها يمكن أن تتكامل والتاريخ أثبت ذلك لكن صعب أن تذوب في بعضها البعض.

5 – التمثلات، المجال السكني عالم للطقوس للهوية وللرمزية

التمثلات هي أنساق من المرجعيات تسمح للفرد والمجتمع بتفسير ما يحدث حوله[1]، إن التمثلات متعلقة بالموقع الذي يأخذه المتحدث في المجتمع، الموقع الاقتصادي أو الاجتماعي، الفرد ينشأ لنفسه تمثلا لمحيطه وتحولاته من خلال حياته ويومياته ومعارفه، في الميدان، الأنثروبولوجي يقوم بعمل مضاعف، إنه يلتقط معطيات ويشارك في حياة المدروسين من أجل الفهم أكثر، ويفسر السلوكيات خاصة الكلامية منها يعزز فهمه بأنساق ثقافية أودينية لبناء تمثلات ذهنية وعامة لهؤلاء[2] ، وما يهمنا منها هو تمثلهم للمجال الذي يعيشونه، إن محاولة معرفة الطريقة التي يعيش بها الأفراد مسكنهم وحيهم ومدينتهم، ويرون بها انتمائهم خصصنا لها جانب هام في محادثاتنا مع السكان في ميدان دراستنا باختلاف المجموعات الاجتماعية التي ينتمون إليها والأحياء التي يقطنونها من النزلة.

الملاحظات في الميدان قادتنا إلى اتباع وجهة النظر النفسية الاجتماعية psycho-sociale للحضرية، مجال / مجتمع، في تحليلها المجال espace يمكن أن يكون عاملا لإحداث الرابطة الاجتماعية، مع تحولاته أيضا إذن ومن وحي التحليل بين الأسر والمجموعات الاجتماعية، فان السكن والاقامة في حي من الاحياء يتحول إلى رهان اجتماعي للمجموعة المحلية ناقل(vecteur) للترقي الاجتماعي. هناك الرابط العاطفي بين الساكن ومسكنه، هذا المكان المشحون بالرمزية فالتمثل الاجتماعي يتكون من خلال رمزية بعد تحليلها يمكن أن تقودنا إلى معرفة معنى هذا الشيء الذي هو المجال عند سكانه.

ننطلق في تصورنا من فرضية أن ما يوجه تمثلات السكان هو مكان قدومهم من خلال أقدميتهم في الحي والمدينة .و من خلال تدخلاتهم في منزلهم وبنائه أو تهيئته تحدد مصالحهم وأهدافهم. للرمزية أيضا دور هام في تفسير طريقة التفكير والعلاقة العاطفية مع المجال سواء كان الحي أو السكن، من خلال مجموعة من الطقوس الممارسة يمكن الولوج إليها بمعايشة السكان أثناء تأدية هذه الطقوس ومحاولة الوصول إلى تصوراتهم المتعلقة بالمجال والسكن بدرجة أخص.

1. تمثل المجال الإقاماتي في النزلة

- الحشاشنة

---

[1] **SPERDER Dan**; *L'étude anthropologique des representations : problèmes et perspectives* in Les représentations sociales sous la direction de Denise Jodelet, sociologie d'aujourd'hui PUF Paris 1989 pp 115-130.

[2] **SPERDER Dan** ibid , p 122 .

نظرة السكان في النزلة لحيهم وتصوراتهم المجالية هي التي تحدد ممارساتهم واستراتيجياتهم السؤال الذي حاولنا طرحه في مسار محادثاتنا مع السكان، هو كيفية تصورهم لإنتمائهم لهذا المجال الذي يحتلونه ويعيشونه ؟

إنطلاقا من فرضيتنا الأولى حول إختلاف التصور للمجال وتمثله إنما يختلف في مجال دراستنا حسب إختلاف المجموعة الاجتماعية التي ينتمي إليها الشخص، فمثلا إذا ما وجهت السؤال لشخص من " الحشاشنة " حول انتمائه وعلاقته بمدينته[1] ، إذا كان الأمر يتعلق بتمييزه عن مناطق أخرى من مدينة تقرت يجيبك:

" *... أنا من النزلة...* "

المقصود بهذا الجواب قد يفسر على كونه تصريحا بالانتماء أو بهوية ما، تميزه عن غيره من سكان المدينة، أم بمجرد كونه يسكن في حي معين؟ الإنتماء للنزلة بالنسبة للحشاني قد يؤدي الدورين معا. أما إذا كان الأمر يتعلق بتمييزه عن آخرين من خارج المدينة يجيب "*... أنا من تقرت...* "، المحادثات التي أجريناها تحمل الكثير من

الدلالات حول مسألة تمثل الحشاني لمجاله في الحي وفي المدينة. منذ جيل واحد أوجيلين في فترة الاستقلال تحول هذا التمثل كثيرا من الروابط المحلية الضيقة إلى مجال واسع بفضل المدرسة والجامعة والخدمة الوطنية وأيضا الشركات الوطنية والبترولية جعلت هذه المجموعة الاجتماعية في ظرف قصير تمدد من روابطها سواء الأسرية والاجتماعية والإقتصادية إلى مستوى الوطنية، لم يعد ذلك الشعور بمشكلة لون البشرة يشكل عائقا ولا الحرفة في وجه أبناء الحشاشنة اليوم.

"*... أنا أشتغل موظف في التعليم متحصل على ليسانس درست في العاصمة وأخي الأصغر مني ضابط في الجيش، الوالد إشتغل سائق شاحنة في شركة وطنية، ولدي إخوة منهم في الجامعة خاصة البنات اللواتي نجحن في الدراسة، تزوجت منذ عامين وزوجتي من مدينة قسنطينة ولدي ثلاثة أبناء، كنا نعيش في المنزل القديم في النزلة أما الآن نحن نبني مسكنا جديدا كبيرا ...* ".

الجزء من المحادثة هذه مع أحد أبناء الحشاشنة توحي أن الأسرة الحشانية اليوم هي أسرة من النموذج الوطني إنفتحت أمام الأبناء آفاق التعليم والوظيفة والروابط الاجتماعية المنفتحة وإمكانيات الترقي الاجتماعي وبالتالي فإن تصور المجال الاجتماعي خاصة تمدد ليشمل كل هذه الروابط والنشاطات النزلة لم تعد تعني لهم سوى محل إقامة، أما كهوية وإنتماء لم تعد النزلة لتضم كل هذه العناصر الجديدة من جراء التحولات في مدة وجيزة.

- البدو المتمدنين في النزلة، أي تمثل للمجال؟

أولاد نايل وعلاقاتهم بالمجال الذي يعيشون فيه في النزلة ركزنا عليها دون البدو المتمدنين الآخرين في مجال النزلة، كونها تبرز وإلى حد بعيد قضايا التمدن في مدن الصحراء، وتحول مجتمع

[1] قمنا بتوجيه السؤال ضمن تقصياتنا النوعية والمقابلات الميدانية في النزلة على العديد من السكان بمختلف المستويات التعليمية، وفئات الأعمار (الطالب).

قبلي إلى حياة المدينة بشكل منعزل عن المدينة تشكل تجربتهم مرحلة حية لما شـــهدته مجموعـــات أخرى قبلهم من قضايا التحولات وقضايا تمدن البدو في واحات الصحراء.

من خلال تجربة العمل الميداني في حي عين الصحراء الذي تسكنه أغلبية هامة من أولاد نايل مع مجموعة من الباحثين كنا نقوم بجولة ميدانية لهذا الحي برفقة الأستاذ مارك كوت والأستاذ سعيد بلقيدوم، قصدنا السوق المسائي الذي يقام كل يوم وسبق أن لاحضنا بأنه مكان للربط الاجتماعي لهذه المجموعة بين مراحل متعددة من التمدن أكثر من كونه سوقا لتبادل السلع، بحضورنا في مجموعـــة أثرنا حركة كبيرة من الفضول خاصة عند مجموعة كبيرة من الأطفال التي تجمعت حولنا في منظر أحسسنا من خلاله أننا كنا نبدوا كجسم غريب عن هذا الجسم الاجتماعي المتماسك في مجاله المحدد، ولما كنا نتجول في الحي ونسجل ملاحضاتنا متوجهين صوب النزلة القديمة تبعنا الأطفال في جلبة

كبيرة لكن الملفت للإنتباه عندما توقف الأطفال عن السير معنا في نقطة معينة بين الحيـــين النزلـــة القديمة وحي عين الصحراء مسجلين بذلك حدود مجالهم في تصورهم ودون أن يكون ذلـــك مميـــزا بإشارة مادية معينة فقد فهم الأطفال النقطة التي يجب أن يتوقفوا عندها وهي في نظـــرهم مجـــالهم الخاص، قد نقل هولاء الأطفال بصورة ما في نظرنا تصور الكبار لهذا المجال الذي يعيشون فيه وأن حدودا معينة تفصلهم عن باقي سكان النزلة " ... ناس البلاد..." كما لايزالوا يسمونهم منذ أن كـــان أولاد نايل ينصبون الخيام بالقرب من المدينة منذ عقود مضت.

البدو المتمدنين يحاولون دائما القفز على النزلة في تمييز أنفسهم، يقول مثلا:

" ...*أنا من تقرت أسكن في حي عين الصحراء*... "

هذا التصور الذي لم يستطع التقسيم الإداري لأربع بلديات مستقلة تغييره. التقسيم الذي ينظر إليه السكان بأنه غير عادل وغير واقعي . في نظرهم كما جاء في كلام أحد الأعيان من النزلة:

" ... *هذا التقسيم لا ندري كيف تم تخطيطه كرس التفاوت بين البلديات تقرت هي المستفيدة فيه ظلم للنزلة وتبسبست والزاوية هي كلها مدينة واحدة ... لقد أسهم من وضعه في تكريس العنصرية فـــي البلاد بين الحشاشنة وغيرهم...*"

- <u>المجال البيتي، تمثله والمخيال الذي يحمله</u>

الزيارات الميدانية التي قمنا بها لمجموعة هامة من المنازل في الأحياء المختلفة من النزلة تؤكد وبدرجة هامة الاختلافات بين المجموعات الاجتماعية المكونة لسكان النزلة من جهة ومن جهة أخرى تجعلنا نلج إلى عالم مليء بالطقوس والرمزية، " *الدار*" كما يسميها سكان المنطقة هذا الفضاء المغلق

... بصورة عامة يعني المكان، المحيط، الرقعة الجغرافية التي تحتوي الحركات والأشياء ، وإذا كانت" الدار " شكلا فضائيا جغرافيا وهندسيا وثقافيا واجتماعيا متميزا بتميز الإنسان الذي بناه تلبية لرغباته المعاشية...[1] .

خلاصة الفصل

المجال ليس محايدا، إن المجال الإقاماتي والسكني في قناعتنا بعد هذا العمل الميداني في النزلة كنموذج عن المدينة الصحراوية اليوم، ماهو إلا تعبير عن الهيكل الاجتماعي والتمثل الاجتماعي لساكنيه، إذ هو تعبير عن العالم السوسيو - ثقافي لهذا المجتمع في التحول، يعد عالما للتعبئة والرهانات والهوية، عاكسا للهيكلة الاجتماعية والأسرية الجديدة.

التخطيط الرسمي والمؤسساتي المطبوع بالعقلانية العصرانية والذي يفرض نماذج وحلول مصدرها الدراسات والتخطيط والذي تم في معظمه على مستويات رسمية ووطنية لم تطلع بصفة كافية على نمط حياة هؤلاء السكان وحاجاتهم المعنوية والكيفية وعلاقاتهم الاجتماعية وحدود مجالاتهم التي يرسمونها ويحددونها فيما بينهم كمجموعات تحتل فضائات هي تعبير على هويات اجتماعية وثقافية نلاحظ أنها تترسخ وتزداد كلما إشتدت حركة العولمة، في بحث كل مجموعة وكل فرد عن ذاته وكيانه، هذه المخططات التي جلبت العمارات ذات الطوابق والسكنات الضيقة إلى الصحراء الواسعة، كان لابد لها أن تصدم مع المنطق الاجتماعي والثقافي المحلي لتنتج عنها تركيبة جديدة هي المحصلة للتمازج بين المنطقين.

إن التحولات المجالية التي شهدتها منطقة الدراسة هي تحولات عميقة، غيرت في فترة وجيزة نسبيا نسقا دام قرونا طويلة، الممارسات المهنية الجديدة أعادت تصنيف المجموعات والنخب في هذه المنطقة، الحشاشنة تحولوا من فلاحين إلى وضائف وأنشطة جديدة سمحت بها ظروف الإندماج في المجتمع الوطني العام، أما البدو المتمدنين فقد كانت مراحل تمدنهم هي محطات إكتساب وظائف جديدة، هذه الوظائف والأنشطة ساهمت أيظا في التوزيع المجالي الجديد، المجموعات مستفيدة من الوضع التقليدي والتضامنات الاجتماعية والأسرية وتركيبها في شبكة فاعلة مع الوضع المادي والسلطوي للتمركز في المجال وتملكه بطريقة ليست محايدة هي الأخرى، إنها تعبير واضح ومتعمد عن الهوية الاجتماعية والإقتصادية الجديدة، من خلال تمثلات السكان لمجالهم وما يعنيه لهم المنزل، الحي، المدينة، تصنع الأسرة والمجموعة لنفسها إنتماء وبالتالي هوية.

---

[1] **محمد سعيدي** ، " *الدار - المرأة " رمزية الفضاء بين المقدس والدنيوي في الثقافة الشفوية*، **في إنسانيات**، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية ، عدد 2 خريف 1997 ص 07 .

الملخص

هذا البحث كتجربة عمل ميداني في عالم المجال، العالم الحي والعامر بالدلالات الإنسانية، قمنا بمعلمة مساره بمشاركة المبحوثين أنفسهم، لنتمكن من تحقيقه كمعرفة لعالم تملك المجال الإقاماتي في حي من أحياء مدينة تقرت، مدينة في طور التحول في الجنوب الجزائري، كمحاولة لفهم مدينية صحراوية جديدة في طور التشكل والإنجاز على المستوى العمراني ببعده الاجتماعي، الذي يصبح الإنسان فاعله الأساسي، مطبوع بتلاقي أثر عدة فاعلين، من خلال ممارساتهم في المجال وتجاه المجال، إن قراءة التمثلات والتعابير السكنية والهوياتية التي تجعل من المجال وسيلة التعبير عن حدودها وهويتها الاجتماعية الجديدة في ظرف متجدد هي طريقة الفهم العميق لمدن الصحراء اليوم.

الخطاب وبكل أشكاله، كواقع أنثروبولوجي والذي يسمح بالتواصل مع الفاعلين، إذ أن الخطاب الإقاماتي ما هو إلا خطاب هوياتي.

من خلال التحقيق النوعي أوصلنا البحث إلى مناطق الظل في العلاقة بين الإنسان في هذه البيئة الصحراوية الجافة والقاسية، ومجاله المتغير دوما بتغير سياسات المنطق الغالب المفروض في أغلب الأحيان. أوصلنا أيضا إلى حقائق منطق التصورات الجماعية، والإستراتيجيات الاجتماعية والأسرية التي هي في الواقع تركيبة من أشكال الروابط القراباتية التقليدية والاقتصادية الجديدة في ظل الاندماج في المجتمع الوطني العام.

في حدود ميدان دراستنا، حي النزلة – تقرت – ، بلدية حسب التقطيع الإداري لسنة 1984، يتعلق الأمر بتعايش مجموعات اجتماعية مختلفة لفئتين، من السكان أساسا، سكان الواحات القدامى مزارعي النخيل وبناة القصور المسمون " الحشاشنة " و مجموعات من البدو المتمدنين(سعيد أولاد عمر، فتايت، سوافة، طيبات، أولاد نايل....) الذين بدأ تثبيتهم منذ عشرينيات القرن الماضي ولم ينتهي حتى اليوم.

لم تعد الواحة اليوم كما كانت في ماض قريب ! ، ينظر إليها كتلك الصورة الفلكلوراتية (folklorisante) التي يتصورها السواح أو عشاق الصحراء! كعالم من السحر والسخاء وسذاجة أهلها وكرمهم، إن حقيقتها الاجتماعية والعمرانية اليوم تؤدي بنا إلى الوقوف على ساحة من التحولات العميقة وإعادة التشكل.

إن انهيار علم البدو ووصول أعداد لا تنتهي من " آخر البدو" " غرقى الصحراء " (naufragées du Sahara)، وبعد ضياع عالم البدو منذ أن بدأت شاحنات الفرنسيين بتعويض الجمل في شق الصحراء، أحال مجتمعات بأكملها على البطالة و التسكع في مدن الواحات، كباحثين عن العمل والمأوى، وضعية كانت السبب في ضياع ثقافة بأكملها ومعارف بالصحراء، هذه المجموعات التي استوطنت المدن، بين اختيار العزلة أو التمدن.

الحشاشنة سكان واحات وادي ريغ ، هؤلاء السود الذين كانوا خماسة لفترة طويلة في تاريخ المنطقة. الاستقلال، الثورة الزراعية، شركات النفط...، هذه التحولات الجديدة فتحت أمام أبنائهم

آفاقا جديدة، التمدرس والعمل في الشركات البترولية و الخدمة الوطنية وحتى التلفزة...، وسائل جعلت أبناء هذه المجموعة ينسون ماضي آبائهم والترقي الاجتماعي والاقتصادي، في مدة وجيزة سهلت عليهم ذلك تقاليد حضرية تقليدية في هذا المجتمع والتي لاحظناها من خلال تقاليد الزواج المنفتح على مجموعات أخرى ومدن أخرى وأشكال هندسة منازلهم التي يبنونها الآن.

هياكل اجتماعية وأسرية جديدة، تسجل مجال جديد في مدن الصحراء، تشكلت من هذه المجموعات الاجتماعية، أشكال من التعايش في الأحياء وفي المجال السكني دلالاتها هي إعادة تشكيل هيكلة اجتماعية وأسرية جديدة، استجابة لتحولات جديدة شهدها المجال العمراني الإقاماتي والسكني، الحي الهوياتي لتمييز مجموعة اجتماعية تبرز هويتها أو ثرائها، المنزل الفردي الكبير القابل للتوسع عموديا لإيواء الأسرة المركبة في مكان الأسرة الممتدة التقليدية، هذا بالرغم من الوجود المظهري للأسرة النووية التي أحدثها نظام الأجور الفردي والشقق ذات الغرفتين، الأسر الجديدة تهيئ مجالها المنزلي على صورتها اليوم.

هذه التجربة الميدانية التي حكمنا عليها نحن في البداية قبل غيرنا كونها " أنثروبولوجيا استعجالية " حاولنا من خلالها وقبل كل شيء تقديم الدليل على نجاعة إشكالية عمرانية في الصحراء هي من واقع إشكاليات التنمية في الصحراء، لفهمها لابد من توظيف وسائل معرفية متعددة في إطار تعدد التخصصات، ينفتح موضوعنا على أفق واسع هو وضع معالم حقل بحثي جديد يتوغل في حاضر الصحراء اليوم.

كلمات مفتاحية
واحة، المجال، العمران،
البدو المتمدنين، الحشاشنة، التحولات، الإستراتيجيات الاجتماعية،
الحي، السكن، الزواج، الأسرة.

Résumé

Cette recherche comme une expérience d'un travail de terrain dans un monde vivant, chargé des Signes humaines, l'espace, et l'espace habité en particuliers. sont parcours nous l'avons balisé avec la participation des acteurs eux-mêmes, pour pouvoir l'inscrire comme une compréhension du monde de l'appropriation de l'espace résidentiel dans un quartier à Touggourt, une ville en phase de transformation au Sud Est Algérien, une tentative de compréhension d'une citadinité Saharienne nouvelle en cour de réalisation, au niveau urbain dans sa dimension sociale ou l'homme devient son acteur principal, caractérisé par le croisement des effets de différents acteurs, a travers leurs comportements et pratiques dans l'espace, la lecture des représentations et les expressions habitantes et identitaire qui fait de l'espace son outil d'expression dans un nouvel contexte.

L*e discourt comme une réalité anthropologique, nous a permis de pénétré et communiqué avec ces acteurs, sous forme de dit ou document ou comportement qui permettent de conclure que le discourt résidentiel n'est qu'un discourt identitaire.*

N*otre recherche nous a conduit ver des zones d'ombre dans la relation entre l'homme dans cet environnement Saharien aride et dur, et son espace en changement par des politiques dominantes et imposé le plus souvent, nous a conduit a la logique des représentations collectives, des stratégies familiales qui sont en réalité une combinaison entre des types de relations, parentales et économiques.*

D*ans les limites de notre terrain de travail la commune de Nezla à Touggourt, commune selon le découpage administrative de 1984, il s'agit de cohabitation des groupes sociaux distincts, les anciens cultivateurs de dattes et bâtisseurs des Ksours « les Hachachnas », et les Bédouins sédentarisé (Siid Ouled Ameur, Fetait, Souffis, Taybet, Ouled Nayel…).*

L*'Oasis n'est plus comme elle a été, il ne s'agit plus de l'image folklorisante que l'imagine certains touristes ou amoureux de Sahara ! , comme un lieu magique de générosité et de naïfté…, sa réalité sociale et urbaine d'aujourd'hui nous conduit sur un champ des changements et*

reconstitutions profondes et rapides, ces transformations ne se passants pas toujours pacifiques et amicales.

***L**'effondrement du monde des bédouins, et l'arrivé des interminables « derniers nomades » naufragé de désert depuis que les camions des français on prit la place du chameau qui a mis au chaumage des populations entières qui viennent trôler dans les villes du Sahara, plus comme des marchants mais cette fois comme des chercheur du travail et de l'abri. Situation qui a causé la perte de toute une culture et un savoir du Sahara, ces populations ont habité les « gourbis » prés des villes en situation de marginales en attente des villes qui ne viennent pas ver eux entre le choix de la marginalisations ou de vivre la vie de « Nass elbled[1] » les Hachachnas.*

*« **N**ass elbled » eux, ces noires anciens Khammès chez les « moudjahria[2] », les changements ont permis a leurs enfants des nouvelles perspectives, l'école le travail dans le sociétés pétrolières le service national et même la télévision des possibilités qui fonts oubliés a ces jeunes les passé de leurs ancêtres Khammès, et qui leur offre le développement sociale et économique facilité par leurs traditions citadines, ces changements observé dans les possibilité du mariage ouvert a des autres groupes et autres régions, et aussi dans leur nouvel architecture de maisons.*

***D**es structures sociales et familiales nouvelles, marquant un espace nouvel dans les villes de Sahara, des types de cohabitations différentes leurs enseignement et de constaté la reconstitution de la famille complexe qui vient remplacé la famille étendue traditionnelle, malgré l'apparence nucléaire provoqué par la paye individuelle ou l'appartement « f2 », une famille qui construit son espace habité a son image d'aujourd'hui, « la grande maison individuelle avec les bouts de ferrailles en haut… », qui se trouve dans le quartier qui affiche mieux son identité résidentielle.*

***C**ette expérience de terrain, nous l'avons jugé nous même comme une anthropologie brève, en essayant de convaincre de la pertinence d'une problématique urbaine au Sahara, est'elle une urbanité Saharienne ou une urbanité au Sahara ? Pour la comprendre mieux il faut mobilisé des outils de savoir interdisciplinaires, Notre sujet aura son ouverture sur un champ de recherche utile à la réalité du Sahara aujourd'hui.*

---

[1] *Le mot employer par les nomades sédentarisé pou désigné Les gens de la ville les Hachachnas.*
[2] *Des anciennes familles féodales de blancs habitants à Touggourt.*

- ***Mots clés***

Espace, Oasis, stratégies sociales, bédouins sédentarisé, transformations, mariage, famille, maison, quartier, urbanisation.

Summary

***T**his research is an experiment work of ground in an alive world, heavy with the human Signs, space, and inhabited space in particular, these later are ways we marked out with the participation of the actors themselves in order to be able to inscribe them as a comprehension of the world and appropriate residential space in a district in Touggourt, a town in phase of transformation in the South East of Algeria, this attempt is to comprehend a new Saharian citadinity during the realization at the urban level in its social dimension where now has become its principal actor, characterized by the crossing of different actors effects, through their behaviors and practice in the space, the reading of representations and the way of life, made the space its tools of expressions in a new context.*

***T**he Discourse as an anthropological reality, allowed us to penetrated and communicated with these actors, as to get a conclusion, which has no more than an identical discourse.*

***O**ur research led us towards a dark place in which relation between man in this arid and hard Saharien environment, and its changing space. Were due to some dominant and imposed policies, as a result, these conditions conducted us to a logic of the collective representations, and the family strategies which actually, seem to be a combination of parental and economical types of relations in the global national society.*

***W**ithin the limits of our work, the district of Nezla in Touggourt,(in the administrative division of 1984), is characterized by the co-habitation of different social groups; ancient farmers of dates and builders of Ksours " the Hachachnas", and settlers Bedouins (Siid Ouled Ameur, Fetait, Souffis, Taybet, Ouled Nayel …).*

***T**he Oasis is not as it was in the past , seen as a folk image, the social and urban reality of today led us to a changing field and deep reconstitutions.*

***T**he collapse of the Bedouins world, and the arrival of " the last nomads " ; who left the desert since the French lorries had been substituted by camels,*

created unemployment urthin the host society, taking into account the loss of their culture and knowledge of the Sahara and start of a new life in " gourbis"; their new shelters or the outskirts of the towns, waiting for the convenient opportunity to dwell inside the towns.

***T**he new generations of "Nass Elbled" the Hachachnas, those black "Khamase" who were farmers on the palm groves of "Elmoudjahria" have taken another way in life through the follouring perspectives; the school, oil companies, military service and even television. All these perspectives made them forget their ancestors past and at the same time, offered them social and economical development which facilitate their citadin traditions. These transformations have been observed in open marriage possibilities with other groups and in their new houses architecture.*

***N**ew social and family structures marked a new space in the Saharian towns and types of different co-habitation. That taught us to note the reconstitutions of the complex family, this new form of family constructed inhabited space on its image of today,(the big individual house with scrap iron on the roof) this kind of house is built-up in a district that expose better the identity to its owner.*

***T**his experiment work of ground was judged by ourselves as a brief anthropology, trying to convince the pertinence of the urban problematic in the Sahara, is it a Saharian urbanity? Or an urban in the Sahara? In order to make it clear , we have to mobilise tools of - interdisciplinary- knowledge .that world open subject on a useful research field open of the Sahara today.*

- ***Key words**:*

  Space , oasis, social strategy,
  , nomad , transformations, marriage, family, house, district, urban

المراجع بالعربية:

المؤلفات:

1) عبد الرحمان (بن خلدون): *كتاب العبر ديوان المبتدأ والخبر* الطبعة الثانية المجلد السابع بيروت 1921.

2) **علي بن موسى (بن سعيد)**: *كتاب الجغرافيا*، تحقيق **إسماعيل العربي**، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر1970.

3) **محمد أحمد الزعبي** ، *التغير الاجتماعي*، ط1 دار الطليعة1982.

4) **ياقوت الحموي**، *معجم البلدان*، الجزء الرابع بيروت ــ دون تاريخ.

5) **ناصر الدين سعيدوني**، *دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني*، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984.

6) **فاروق مصطفى إسماعيل** " *التغير والتنمية في المجتمع الصحراوي"* دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990.

7) **عبد القادر حليمي**، " *جغرافية الجزائر، طبيعية بشرية اقتصادية"* ط2 دمشق 1968.

8) **محمد حسن غامري**–" *المناهج الأنثروبولوجية*". القاهرة، 1986.

الدوريات، الوثائق

9) محمد سعيدي، " *الدار- المرأة " رمزية الفضاء بين المقدس والدنيوي في الثقافة الشفوية*" **في إنسانيات**، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، عدد 2 خريف 1997.

10) عابد بن جليد:*" أنثروبولوجيا مجال جديد مسكون: رهانات عقارية ومجالية الطبقات الوسطى بوهران وضواحيها (الجزائر*)" في **إنسانيات**، (المجلة الجزائرية في الأنتربولوجية والعلوم الاجتماعية)، عدد 2 خريف 1997.

11) محمد مدني *« السكن إكراه أم حرية*" بحث حول البيت الفردي الوهراني » في **إنسانيات**. المجلة الجزائرية في الانتروبولوجية والعلوم الاجتماعية. CRASCعدد 2 1997.

12) **نذير معروف**: *المخيال التاريخي بين التخمين والحقائق أو مسألة المصادر: حول الاستقرار البشري في الوسط الصحراوي*. في **إنسانيات**، المجلة الجزائرية في الأنتربولوجية والعلوم الاجتماعية، عدد2 خريف 1997.

13) **العياشي عنصر** *السيرة الذاتية لتجربة في البحث العلماجتماعي*، علم الاجتماع الأنثروبولوجي أو كيف نعيد تفكير المنهج؟ دفتر رقم 1-2001 وقائع الأيام الدراسية المنظمة من طرف مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بمساهمة جامعة قسنطينة 1997.

14) الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، عدد 2166 الأربعاء 26 ربيع الأول عام 1405هـ.

15) أرشيف دائرة تقرت

قواميس:

16) **مدكور إبراهيم**: معجم *العلوم الاجتماعية*، الهيئة المصرية العامة للكتب

17) **عبد النور جبور ، إدريس سهيل** ، *المنهل. قاموس فرنسي عربي*، بيروت1985.

المراجع الأجنبية:

Ouvrages :

18) Alain ROMEY : « *Histoire, M閙oire et soci閳é ; L'exemple de N'goussa : oasis berb閙ophone du Sahara (Ouargla)* . L'Harmattan AWAL, 1992.

19) (A) BERNARD: « *enqu 阾 e sur l'habitat rural des indig 鑞 es de l'Alg 閙 ie* Fontana, Alger, 1921.

20) Amos RAPOPORT « *pour une Anthropologie de la maison* Collection Aspects de l'evbaisne ; dunod. Paris,1972.

21) (B). GHIGLIONE (B) MATALON *玃 es enqu 阾 es Sociologiques th 閙 ries et pratiques* » ; Ed Armand colin, Paris, 1978.

22) Catherine BONVALET et **Pierre MERLIN** (sous la direction de) *« les transformations de la famille et l'habitat* Bibliographie comment . Documents Affaires Sociales, Paris, 1988.

23) Claude LEVI-STRAUS : « *Anthropologie structurale* PLON Paris, 1974.

24) Dan SPERDER; « *L'閳ude anthropologique des repr閴entations : probl鑞es et perspectives* in Les repr閴entations sociales (sous la

direction de **Denise JODELET)**, sociologie d'aujourd'hui, PUF, Paris 1989**.**

25) Daniel BERTAUX : *« Les R閏its de vie* » ; Nathan ; Paris, 1997.

26) Daniel DUBOST, « *La ville, les paysans et le d閞eloppement agricole au Sahara Alg閞ien* .in Le nomade L'Oasis et la ville, Fascicule de Recherche, n°20 URBAMA, 1989.

27) Daniel PELLIGRA, *« Rahala ! Errances b閵ouines* , ed l'Aube, Paris, 1998.

28) Edmond SERGENT ; *le peuplement Humain du SAHARA* institut Pasteur d'Alg閞 ie ; T 31 n°1, 1953.

29) Fathi HASSAN, « *Construire avec le peuple histoire d'un village d'Egypte, Gorna* 4閵, sindbad, Paris 1985.

30) Fran鐵is DESINGLY, *« L'enqu阾e et ses M閏hodes, le questionnaire,* Nathan, Paris, 1992.

31) Fran 鐵 is LAPLANTINE; *la description ethnographique*; Nathan ; Paris, 1996.

32) Ghristion BROMBERGER ; *« du grand au petit ; variations des 閏helles et des objets d'analyse dans l''institut r 閏ente de l''ethnologie de la France* , in Ethnologie en miroir, la France et les pays de langue Allemande ;E[d] de la Maison des sciences de l'homme, 1987.

33) Gorges CONDEMNIAS, « *introduction : l'espace Social* in l'espace social a propos de l'Asie du sud-est; Flammarion, 1980.

34) Gorge PEREC: « *Esp 鐳es. D'espaces* . Galil 閑, Paris, 1974.

35) Jaques BERQUE : « *Les villes, entretien interdisciplinaire sur les soci 閏閾 musulmanes* Ecole Pratique des Hautes Etudes, Paris, 1958.

36) Jean FRANCOIS (sous la direction de…)**, «** *le Maghreb hommes et espaces* . Amand colin – collection U, Paris, 1985.

37) Jean BISSON : *« les nomades des d閰artements Sahariens* Paris, 1958.

38) Jean BISSON : *le chaanbi et le Hammam : Zelfana, boite noire de l'am閿agement au Sahara Alg閞ien* , in le nomade L'oasis et la ville, Fascicule de Recherche, n °20 URBAMA, 1989.

39) Jean COPAINS:*" Introduction a l'ethnologie et l'anthropologie* ; NATHAN, Paris.1996.

40) Marc COTE « *l'Alg閞ie ou l'espace retourné* Media-plus Alg閞ie, 1993.

41) Michel LERIS. « *Cinq 閏udes d'ethnologie de racisme de Tiers Monde* Deno 雒 / Gonthier Paris,1969.

42) Mondher KILANI ; *« introduction a l''anthropologie* E[d] Laval Lausanne.

43) M M. ROUVILLOIS BRIGOL. (et Autres). « *Oasis du Sahara alg閞ien, 閏udes de photos – interpr閏ations* n° (64). Institut g閞graphique national, Paris, 1978.

44) Nadir MAROUF; « *lecture de l'espace Oasien* . Sindbad, Paris, 1980.

45) (P) PASSAGER « *Ouargla (Sahara de constantinois) Etude historique g閞graphique et m閶icale – archi* . institut Pasteur d'Alg閞ie, T 35, 1957.

46) Patric GOBORIEAU *« l''閏riture ethnologique. R閞lexion Sur la composition des terte*.1997

47) Pierre BOURDIEU, *« la maison kabyle ou le monde renversé* , in Esquisse d'une th閞rie de la pratique, Droz, Paris /Gen閞e ,1972

48) Pierre FONTAINE « *Touggourt capitale des Oasis* DERVI, Paris, 1952.

49) Pierre ROBERT « *habitat traditionnel et polarit structurale dans l'aire Arabo- Musulman ……* .

50) Pierre Robert BADUEL: (sous la direction de) *: Habitat .閏at. Soci閏 au Maghreb* .CNRS, Paris, 1988.

51) . **Pietro LAUREANO,** « *SAHARA, Jardin m閏onnu* Larousse Paris, 1991.

52) (R) HERTZ « *sociologie religieuse et folklore* , 1 閺 PUF, Paris, 1970.

53) Ramon BASAGANA et **Ali SAYAD** *« Habitat traditionnel et structures familiales en Kabylie* M 閞oires du CRAPE, n°23 Alger 1974.

54) **Rey CAPOT** « *le Sahara Fran鋤is* » ; PUF ; 1953 ; Paris

55) **Robert CHESSWELL** et **Maurice GODELIER***; « outil d'enqu 陵 e et d'analyses anthropologique »* Maspero ; Paris, 1976.

56) **Rocher GUY** « *Organisation sociale »* . DEHMH 1986

57) **Thierry PAQUOT**(sou la direction de) *« le Monde des villes, Panorama urbain de la plan鑁e »* 閐 Complexe 1996.

Th 鑣 es :

58) **Allaoua AMMICHE** *« l'espace urbain de Touggourt (OUED RIGH) : '' 閔 ude d'am 閖 agement ''* **,** Th 鑣 e Doctorat de l'universit de Provence.

59) **Brahim DAJINE** *« instruments d'urbanisme et d 閔 eloppement urbain en Alg 閞 ie (PUD, PAUD, POS) cas de Tebessa et Bekkaria »* Th 鑣 e de Magister en urbanisme, Constantine.

60) **Cherif RODSLI** *« la notion du Quartier dans la pratique urbanistique »* M 鬧 oire de Magister d'urbanisme, Constantine, 2002.

61) **Fairouze DIABI** *« le Rapport identit – Architecture – conception, Approche et perspective »* Th 鑣 e de Magister en Architecture, Constantine, 2001.

62) **Hammou KOCEIR** *« D 閔 eloppement de l'habitat rural en Alg 閞 ie, pou une meilleure satisfaction des besoins, l'exemple de Ouargla »* M 鬧 oire de dipl 彪 e d'architecture, institut sup 閞 ieure d'Architecture de l'閔 at 1981- 1982.

63) **Leila BABES** *« Tribus – Structures sociales et pouvoir politique, dans la province de Constantine sous les Turcs »* M 鬧 oire pour le DEA

d'閏 udes politiques, facult□ de droit et de sciences politique D'aix-Marseille, 1981.

64) Nicolas PUIG *« Derri 鑢 e le cimeti 鑢 e, un lignage Awlad sidi Abid □ Tozeur □* Th 鑢 e de Doctorat 1998.

Revues :

65) Abdelkader LAKJAA *; « L'habiter identitaire : El 鬧 ents pour une probl 鬧 atique d'une urbanit□ en 鬧 ergence* □ . in **Insaniyat** ; (Revue alg 鬧 ienne d'anthropologie et de sciences sociales) ; N°2 – Automne – 1997.

66) Georges MARCAIS, *« DAR □ , article de L'Encyclop 鬩 ie de L'ISLAM*, E.J. Brill, Leiden, 1965.

67) Jean Pierre COURSO; Michel SABOULIN; □ *M鬩ages et familles vers de nouveaux modes de vie* □ In ECONOMIE ET STATISTIQUES, N° 175, Mars 1985.

68) L 鬧 n Charles FERAUD « *les Ben – Djellab, sultans de Touggourt* □ ; Notes historiques sur la province de Constantine ; in Revue africaine N° 23. 1879.

69) Marc COTE *« dynamique urbaine au Sahara* □ in **insaniyat** (Revue alg 鬧 ienne d'anthropologie et de sciences sociales) n°5 Mi-Ao 鸝, 1998.vol,2

70) Jean Pierre COURSO; Michel SABOULIN; « *M鬩ages et familles ; vers de nouveaux Modes de vie* » ; in ECONOMIE ET STATISTIQUES, N° 175, Mars 1985.

71) .Sa 飉 BELGUIDOUM ; « *Urbanisation et urbanit□ au Sahara* □ in M 鬩 iterran□ , Revue g 鬧 graphique des pays m 鬩 iterran 鬧 s n° 3-4 2002.

Archives, documents , Dictionnaires.

72) Alex MUCCHIELLI (sous la direction de) *« Dictionnaire des m閏hodes qualitatives en sciences humaines et sociales »* Armand colin, Paris, 1996.

73) Pierre BONTE, Michel IZARD ; « *Dictionnaire de L'ethnologie et de L'anthropologie*, 2 閽, Paris, 1991.

74) Annuaire Statistique de la Wilaya de Ouargla, Ann閑 1986et 2001.

75) ONS, R閟ultats de l'exploitation Exhaustive du 4閙e Recensement G閚閞al de la Population et de l'Habitat -1998-

76) POS, el moustakbal, Bureau D'閚udes D'architecture et D'urbanisme, Touggourt, 2000. Krima Ahmed.

77) POS, MESTAOUA Touggourt,

78) PDAU

79) M.A.GHOISY « *Document relatif à la mission dirig 閑 au sud de l'Alg 閞 ie, textes troisi 鑞 e volume. Hydrologie, statistiques, m 閚閜 rologie et anthropologie.* » Minist 鑢 e des travaux publics. Chemin de fer transsaharien. Paris 1895.

إحصائيات أساسية لمدينة تقرت

- توزيع سكان دائرة تقرت حسب الوضعية العائلية والجنس

الوضعيات	ذكور	إناث	المجموع	نسبة الذكور	نسبة الإناث
أعزب	42787	37558	80345	% 53.25	% 46.74
متزوج	16977	17560	34537	% 49.15	% 50.81
مطلق	109	826	935	% 11.65	% 88.34
أرمل	131	2658	2789	% 4.69	% 95.30
غير محدد	14	35	49	% 28.57	% 71.42
المجموع	60018	58637	118655	% 50.58	% 49.41

المصدر : ONS 1998

- توزيع نسب السكان النشطاء حسب البلديات

الوضعية	تقرت	النزلة	تبسبست	الزاوية	الداءرة	الولاية ورقلة	الوطن
نشطاء	% 31.1	% 27.1	% 30.1	% 26.1	% 28.6	% 23.2	% 27.7
متقاعدون أو ممنوحون	% 3	% 2.3	% 2.6	% 2.2	% 2.52	% 1.9	% 3.3
آ خرون	% 65.3	% 69.7	% 67.2	% 71.6	% 68.45	% 74.6	% 68.9
غير محدد	% 0.7	% 0.9	0	% 0.1	% 0.4	% 0.4	% 1

المصدر : ONS 1998

- مستوى التعليم في تقرت

	أمي			إبتداءي			متوسط			ثانوي		
	ذ	إ	%	ذ	إ	%	ذ	إ	%	ذ	إ	%
البلديات												
تبسبست	418	265	2.8	4253	4136	34.1	3471	2751	25.2	2103	1819	15.9
النزلة	79	69	4	5352	5061	31.2	4590	3476	24.2	2342	2056	13.2
الزاوية	166	72	1.9	2009	2031	32.2	1700	1424	24.9	896	683	12.6
تقـــــــرت	293	239	1.9	4059	3924	33.3	3796	3082	19.1	3025	2663	13.4
الدائرة			2.65			32.7			23.35			13.77
النسبة الوطنية			1.5			29.9			20.7			13.1

- نسبة الأمية في سن 10 سنوات

البلدية أو المنطقة	عددالمتمدرسين	نسبة التمدرس	نسبة الأمية لسن10 سنوا
النزلة	4499	% 85	% 29.5
الزاوية	1897	% 88.3	% 28
تقرت	3567	% 88.5	% 18.6
تبسبست	3369	% 88.5	% 20.4
الولاية ورقلة		% 83.47	% 28.4

النسبة الوطنية		% 82.21	% 31.66

- الأسرة

البلديات	عدد الأسر	عدد السكان	متوسط الأفراد في الأسرة
تقرت	4836	32940	7.98
النزلة	5788	40524	7
تبسبست	4315	29840	6.92
الزاوية	2098	15381	7.33
الدائرة	17037	118685	7.30

المصدر : ONS

- عدد الأسر حسب جنس رب الأسرة

البلديات	ذكور	الإناث	المجموع	عددسن 35 – 40
تبسبست	3756	559	4315	1383
النزلة	5123	665	5788	1810
الزاوية	1868	230	2098	681
تقرت	4309	527	4836	1532
الدائرة	15056	1981	17037	5406

المصدر: ONS

- توزيع السكنات حسب البلديات وحسب حالة الإشغال

البلديات	السكنات المشغولة	%	السكنات غير المشغولة	%	مجموع
تبسبست	3828	83.3	766	16.7	4594
النزلة	4988	75.7	1602	24.3	6590
الزاوية	1788	79.4	463	20.6	2251
تقرت	4469	84.5	818	15.5	5287
مجموع الدائرة	15073	80.50	3649	19.49	18722
نسبة الإشغال الوطنية		81.2		18.8	

المصدر: ONS

- توزيع السكنات المشغولة حسب نوع السكن

البلديات	سكن جماعي	%	سكن فردي	%	آخر	%	تقليدي	%	سكن مؤقت	غير محدد	مجموع
تبسبست	765	20	464	12.1	6	2	2553	66.7	4	36	3828
النزلة	78	1.6	659	**13.2**	**3**	**1**	4187	83.9	22	39	4988
الزاوية	19	1.1	1734	97	3	2	25	1.4	1	6	1788
تقرت	660	14.8	3376	75.5	18	4	44	1	290	81	4469
الدائرة	1522	10.09	6233	41.35	30	0.19	6809	45.9	317	162	15073
الولاية	/	11.9	/	40.5	/	3	/	44.4	/	/	/
الوطن	/	16.1	/	56.3	/	7	/	21.1	/	/	/

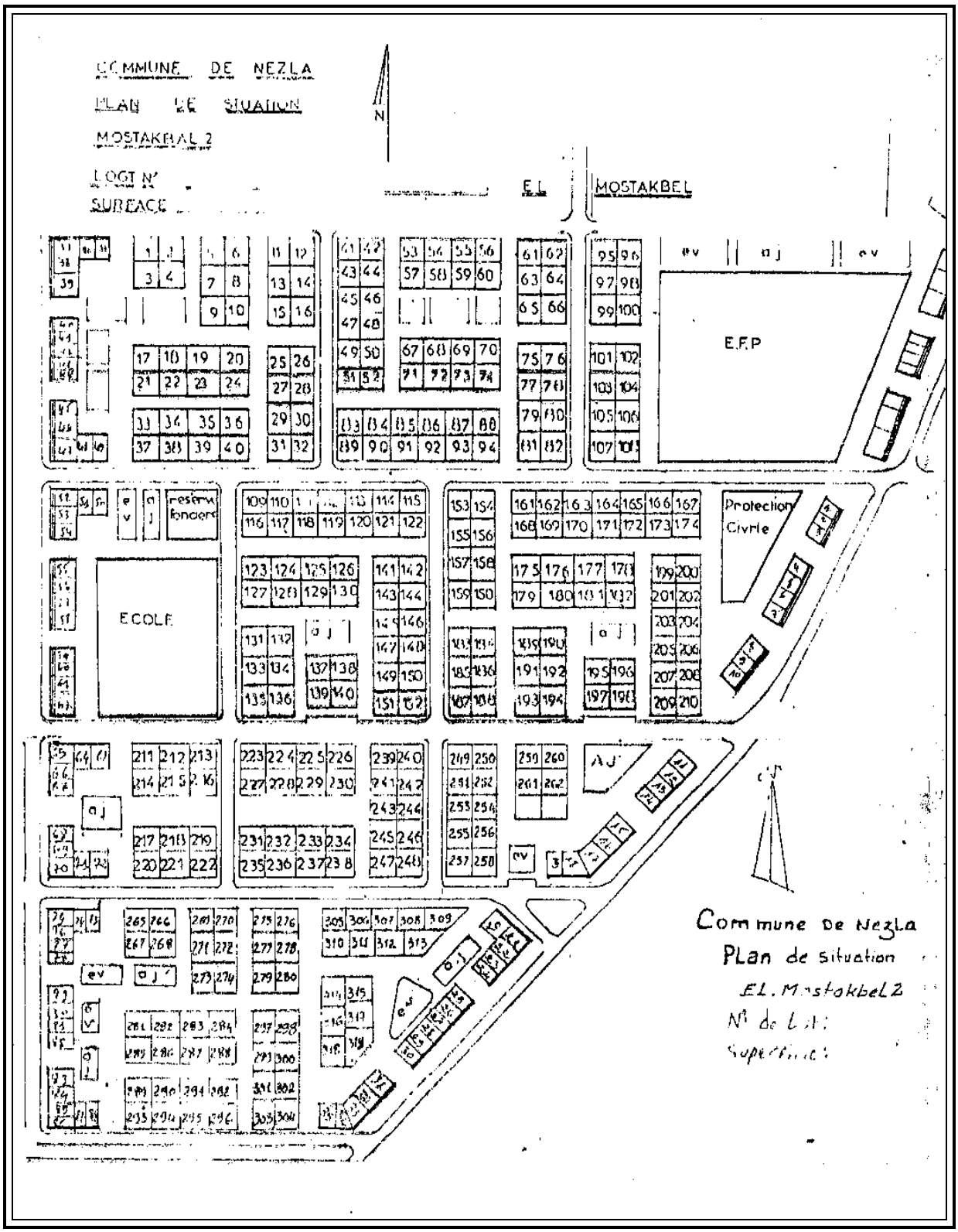

المصدر: بلدية النزلة – المصلحة التقنية

مخطط موقع حي المستقبل – النزلة- نموذج لتخطيط توسعات السكن الفردي الجديدة

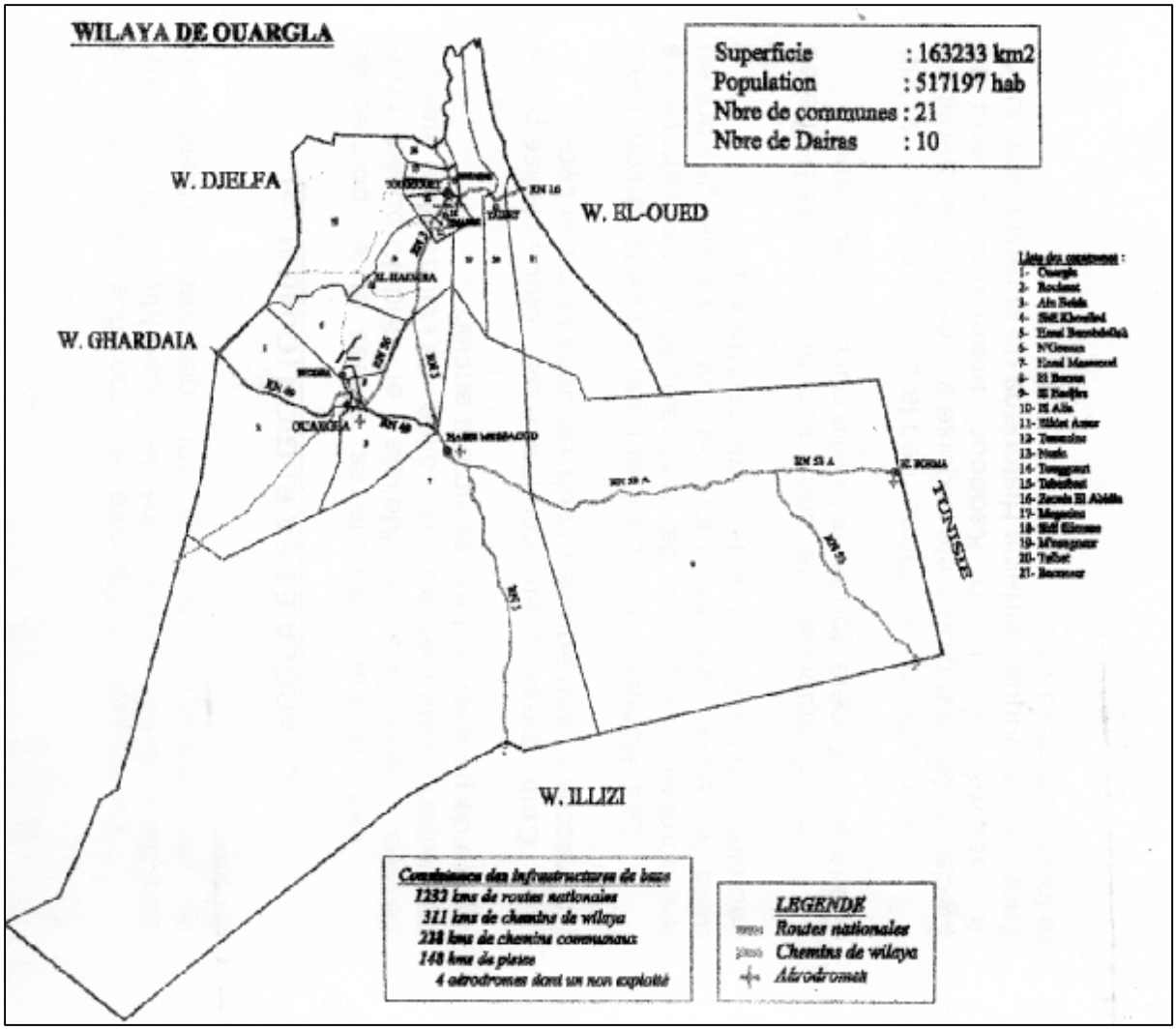

المصدر: الدليل الإحصائي لولاية ورقلة 2003

ولاية ورقلة

الملاحق

جامعة منتوري ــ قسنطية

استجواب ميداني حول

الأسرة والسكن في النزلة

(نجيب بلا أو نعم أو بإشارة × في المكان المناسب)

1) الاسرة :

أ) سن رب الأسرة :

15 - 34 .....

35 - 44 .....

45 - 54 .....

55 وأكثر .....

ب) مكـــان ميلاده : .....

ج) المهنة .....

هـ) الزوجة :

واحدة ..... متعدد .....

قريبة ..... غير قريبة

.....

عاملة ..... غير عاملة

.....

د) الأبناء : عدد الأبناء ...

سن الأكبر ..... سن الأصغر

.....

و) هل يوجد أبناء متزوجون في المزل؟

نعم .....

لا .....

قرابة زوجاته:

أقرباء..... لا .....

هل الطبخ مستقل ؟

o نعم .....

o لا .....

بطاقة رقم : .....

عنوان السكن

.....

.....

2) **السكن :**

مكان السكن السابق:

- النزلة.....
- تقرت.....
- خارج .....

الوضع القانوني للسكن الحالي

- ملك .....
- كراء .....

كيف تم الحصول عليه :

- بناء .....
- شراء .....
- ميراث.....
- إستفادة و بناء .....

تاريخ إنجازه :

- قبل سنة 80 ...
- بين 80 90 ....
- بعد 90 ....

مساحته :

- أقل من 100 م 2 .....
- من 100 إلى 200 م ...
- من 200 – 350 م .....

عدد الطوابق:

- أرضي .....
- طابق 1 .....
- طابقين 2 .....

عدد الغرف : .....

موارد تمويله :

- إدخار : .....
- تعاون أفراد الأسرة: .....
- قرض : .....

هل هو مكتمل

- نعم : .....
- لا : .....

ما بقي إنجازه : .....

.....

كيف تم بناؤه:

- حرفي .....
- مقاول .....
- عمل الأسرة .....

هل يوجد سكن آخرللأسرة:

- نعم.....
- لا .....

مخطط السكن :

- مهندس.....
- رب الأسرة.....
- غيره .....

هذه العناصر هل هي موجودة:

- فرندة ..... صالون .....
- حوش ..... سطح .....
- قاراج ..... فناء .....
- صالون نساء .....
- سباط : .....

3) المحيط :

هل ترون أن الحي مناسب :

- نعم .....
- لا .....

- لماذا ؟

.....

هل ترغبون في تحويل السكن ؟

- نعم .....
- لا .....

- لماذا.....

ماهي المشاكل بخصوص الحي.....

.....

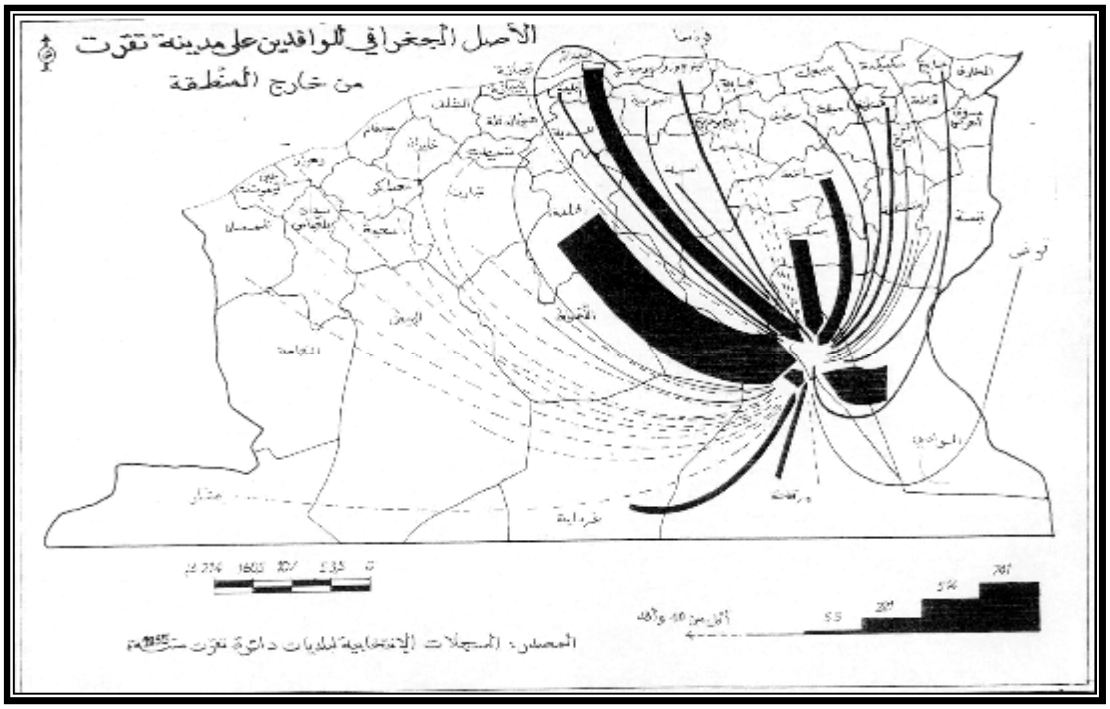

المصدر: السجلات الانتخابية لبلديات دائرة تقرت سنة 1995

الأصل الجغرافي للوافدين على مدينة تقرت من خارج منطقة وادي ريغ

الخريطة في الأعلى تعطينا فكرة واضحة عن الوافدين إلى مدينة تقرت، بما فيها النزلة منطقة الدراسة ، من خارج وادي ريغ. نستنتج الأربع ولايات الأولى التي يفد منها السكان إلى تقرت 1- الجلفة. 2- الوادي سوف .3- ورقلة. 4- باتنة .

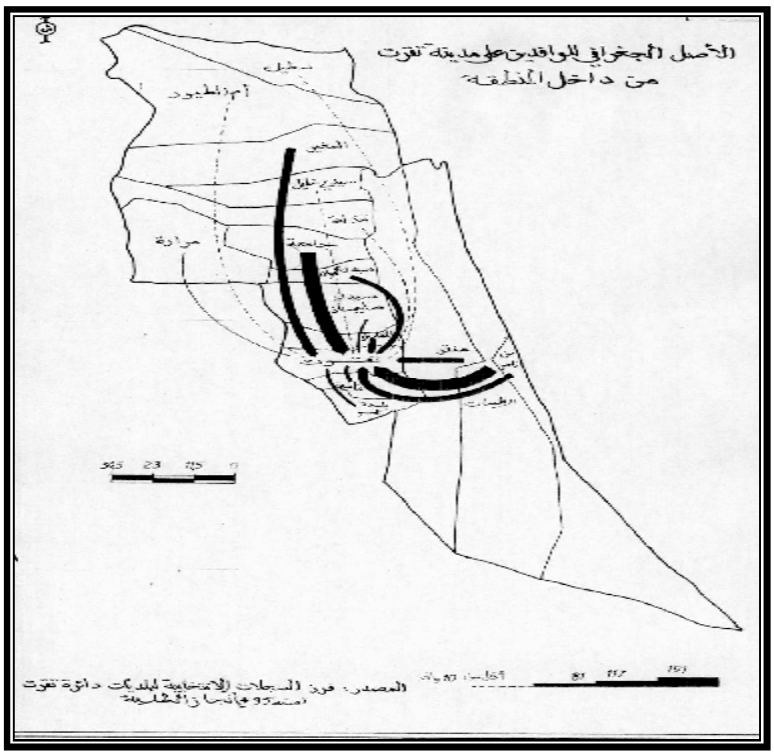

في الأسفل الوافدين إلى المدينة من داخل مجال وادي ريغ ، تبين الحركة السكانية والإتصال الاجتماعي بين قرى ومدن وادي ريغ الذي يثبت الوحدة المجالية لمنطقة وادي ريغ.

الأصل الجغرافي للوافدين على تقرت من داخل منطقة وادي ريغ

المصدر فرز السجلات الإنتخابية لدائرة تقرت سنة 1998

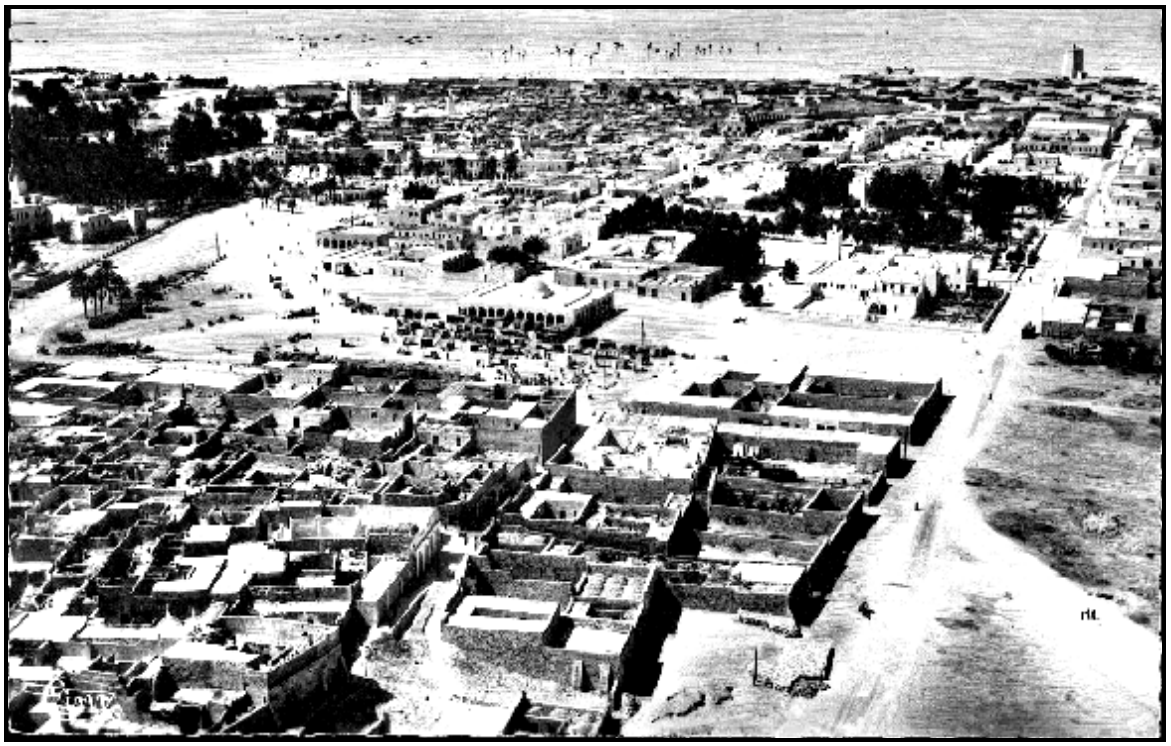

صور لمدينة تقرت أخذت في الخمسينيات من القرن العشرين، الأعلى تبدو ساحة السوق المغطى في مركز الصورة تحيط بها أحياء، لاقار في أعلى الصورة وفي العمق يبدو خزان الماء، في أسفل الصورة جزء من حي سيدي بوعزيز وهو من القصور القديمة.

الصورة في الأسفل من داخل المسجد العتيق الذي بناه بني جلاب، الصومعة الشهيرة في المدينة التي تطل على المدينة التاريخية مستاوة بأبنيتها التقليدية.

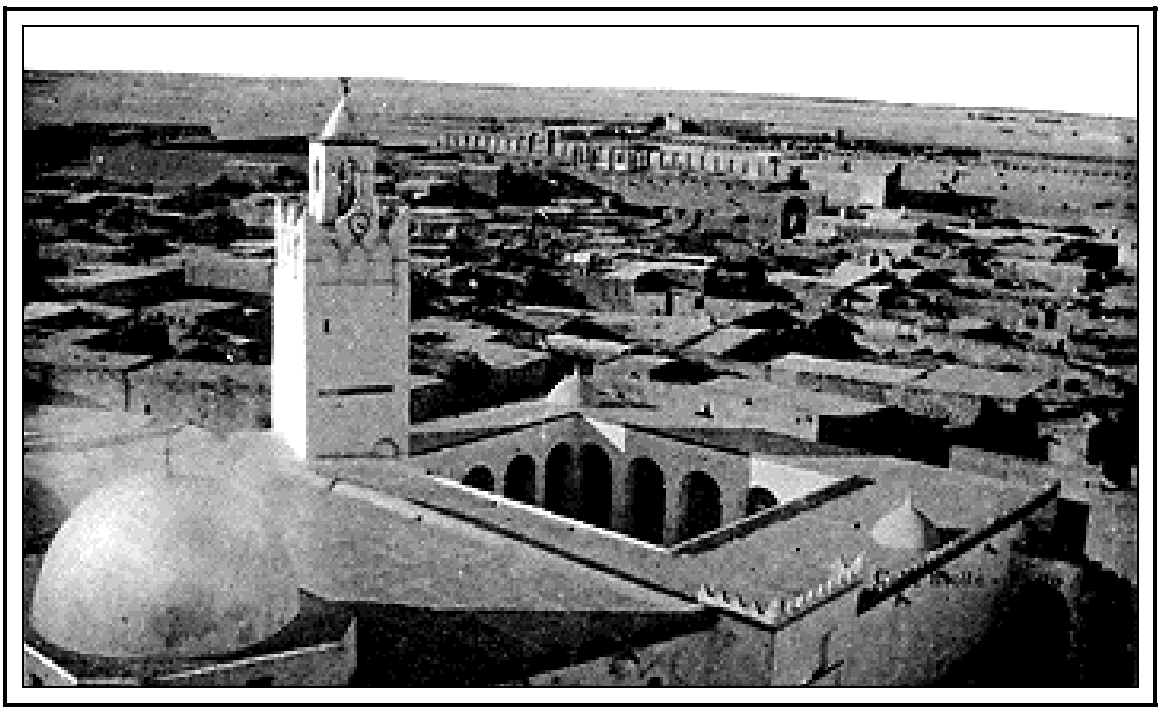

المصدر : Piere FONTAINE. Touggourt capital du Sahara .

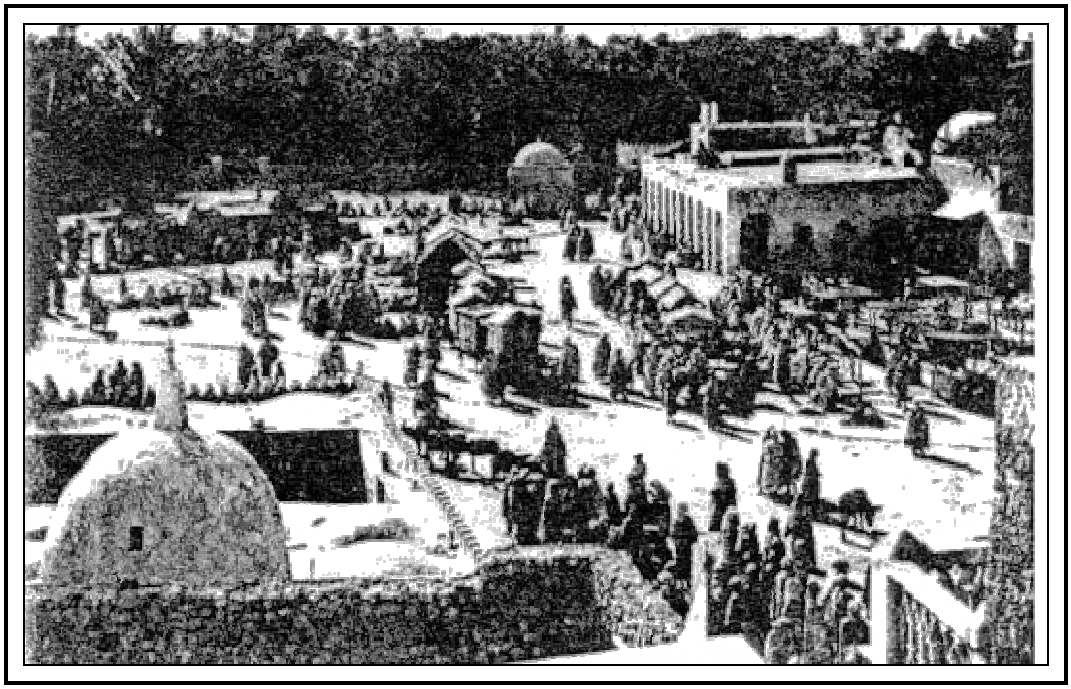

المصدر: Piere FONTAINE. Touggourt capital du Sahara

في الأعلى صورة لسوق تقرت في حدود 1950، يوم السوق

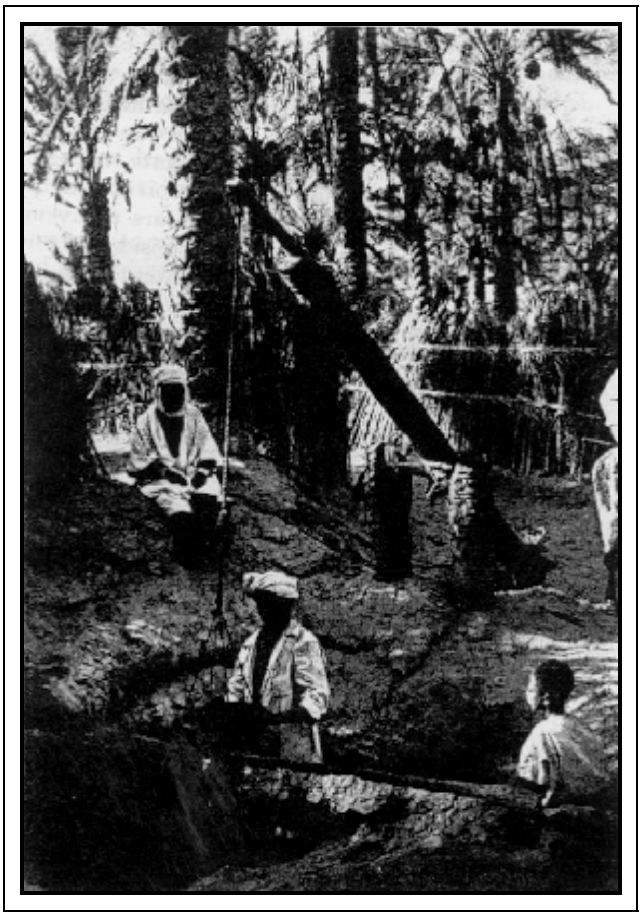

الصورة المقابلة

الغطاسة ، حرفة حفر الآبار التقليدية ، حرفة اختفت وبقي إسم الحرفة " غطاس " تحمله عائلات في المنطقة

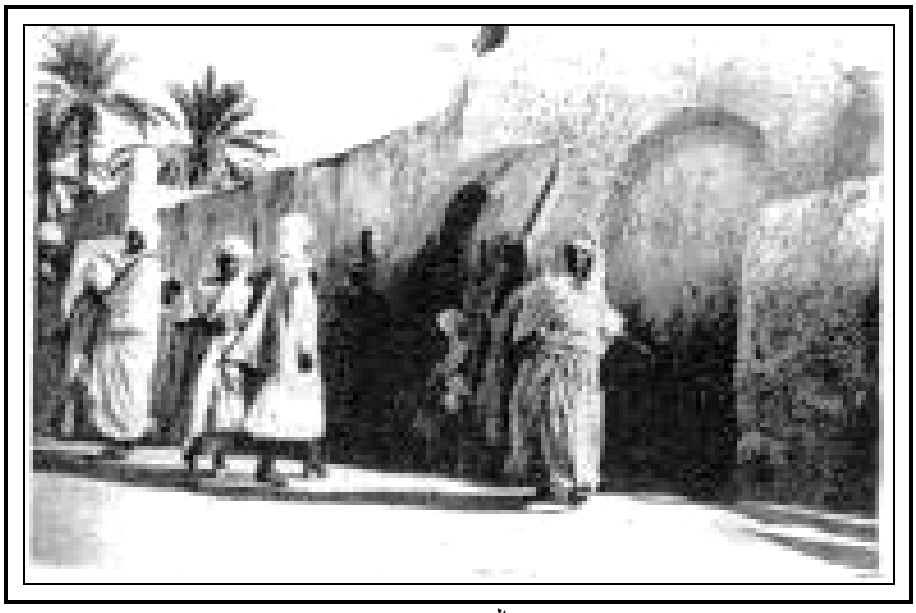

المصدر: Piere FONTAINE. Touggourt capital du Sahara

أولاد نايل في النزلة

مخيم للرحل بالقرب من مدينة تقرت في حدود الخمسينيات

المصدر: Piere FONTAINE. Touggourt capital du Sahara

صورة للطالب

صورة عامة لعمران مدينة تقرت وقت إنجاز الدراسة يبدو في وسط الصورة نموذج البناءات الكبيرة التي بدأت تنتشر في الشوارع الرئيسية ، ذات الوضائف المتعددة ، المحلات التجارية والمآرب في الطابق الأرضي والطوابق الأعلى للسكن.

شارع في النزلة تبدو المنازل الكبيرة التي تتوسع عموديا مع الشرفات التوسعات التي تفرضها زيجات جديدة وتوسع في عدد أفراد الأسرة ، المنازل تبدو أيضا فضاءات مغلقة .

صورة للطالب 2003

صورة للطالب 2003.

مصير القصور القديمة، صورة تبرز جانب من مستاوة المدينة التاريخية التي لم يبق منها سوى هذه المنازل المنهارة بعد ترحيل سكانها نحو أحياء جديدة .

صورة للطالب 2003.

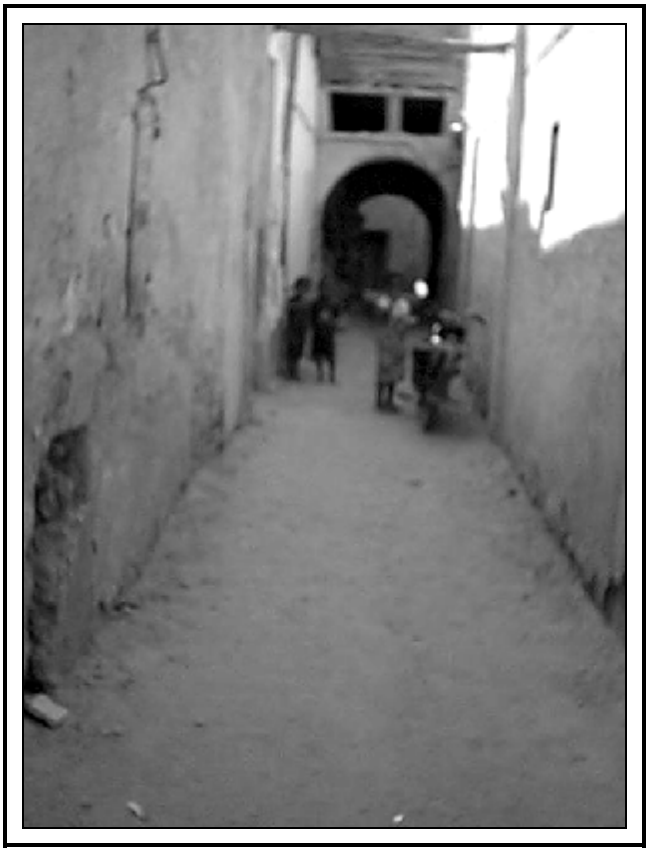

شوارع النزلة القديمة

صورة للطالب 2003

طفل وبنت من سكان النزلة، أبناء جيران منذ زمن بعيد.